الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

دعاوى المناوئين لدعوة الإمام حسن البنّا
عرض ونقد

إعداد الطالب

عبد الله محمد حمدان العقّاد

إشراف فضيلة الدكتور

أحمد جابر العمصي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين

1434هـ/2013م

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إهداء

إلى شهداء الأمة في كافة أصقاع المعمورة، وشهداء فلسطين العظماء الذين قدموا أرواحهم فداءً لمجد وعزة فلسطين والمسلمين، وكتبوا على جدار الزمن نشيد العزة والإباء !

❖ إلى أمي درة قلبي، وأبي عنواني وموجهي الأول، وزوجة أبي الغالية؛ فجميعهم فضلهم عظيم بعد الله تعالى عليَّ إذ سددوا خطايا نحو ما يرضي الله ربنا، فعملوا جاهدين أن نحيا في ورحاب المساجد .

❖ إلى زوجتي العزيزة التي ما فتأت أن وفَّرت كلَّ سكينةٍ وهدوء؛ لأنهي هذه الأطروحة العلمية، وكانت شريكة لي أيضا في بحثي هذا بحثها لي كلما حدثتها عن عظمة الإمام حسن البَنّا، وذلك تقديراً في إبراز هذا النموذج الفذ كي يبقى معلماً وعلماً !

❖ كما أهديه إلى أشقائي وشقيقاتي الأعزاء، الذين كانوا مثالاً للسند والعضد في كل مفرق ومفترق، واسمحوا لي أن أخص شقيقتي الكبرى أم الفضل التي قضت في حادث سير (رحمها الله رحمة واسعة) حيث لم تكن شقيقة وفقط، بل كانت لنا ركناً ركيناً، فلكَم كنتُ أتمَنى أن تكون معنا في هذه المناسبة . . ولكنه قدر الله الغالب !

❖ وإلى إخواني شباب وأشبال مسجد الجامع الكبير الذين قضيت أكثر ما مضى من عمري بين ظهرانيهم متعلماً ومعلماً، ذلك المسجد الجامع الذي احتضن الدعوة في مهدها بعد أن أذن الله لها بالتجديد . .

❖ وإلى كل رفقائي وزملائي في العمل من لدن عملي في مدارس الأقصى بالمجمّع الإسلامي، مروراً بزملائي في مدارس الأونروا، والزملاء في كتلة التغيير والإصلاح، والزملاء بوزارة الداخلية .

❖ إلى كل هؤلاء أهدي بحثي هذا . .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وعرفان

«لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»(١)

وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النمل: ١٩)

فالحمد والشكر لمن هو أهل الثناء والحمد، على نعمه الجليلة، وآلائه العظيمة التي لا عد لها ولا حصر، فأحمده على توفيقه سبحانه للانضواء في نهج من أراد بهم خيراً، ثم أن أكرمني ومَنَّ عليَّ باستكمال دراستي العليا وليس آخرها توفيقه سبحانه وإعانته لي في إتمام هذا البحث فله الحمد في الأولى وله الحمد في الآخرة.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى من كان ملهماً لي منذ عرفته، إنه أستاذي وشيخي القدير فضيلة الأستاذ الدكتور: أحمد جابر العمصي رئيس قسم العقيد الإسلامية بكلية أصول الدين الذي تشرفت بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، فلم يألو جهداً في نصحي ورعايتي، وأغدق عليَّ من واسع علمه، وسديد رأيه، وعظيم خبرته؛ ما أضفى على البحث رونقاً وجمالاً، وتصويباً وأحكاماً، حتى خرج إلى النور على الوجه الأليق والأتم، فجزاه الله عني خيراً.

والشكر موصول إلى أستاذيَّ الكريمين، فضيلة الأستاذ الدكتور: أحمد يوسف أبو حلبية العميد الأسبق لكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية- غزة، والنائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن كتلة التغيير والإصلاح ورئيس لجنة القدس البرلمانية، وفضيلة الدكتور: محمد بخيت عميد كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية- غزة. على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث وقد أفرغا له من وقتهما، وأسبغا عليه من واسع علمهما، ولطائف فهمهما، وقيم ملاحظاتهما، وسديد توجيهاتهما؛ ما نراد من شأن البحث رفعة وتمكيناً، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر في هذا المقام هذا الصرح الشامخ، والمنارة العلية صاحبة الرتبة السنية، مخرجة الشهداء، وعلى دربهم القادة، ومن خلفهم جحافل النصر والتحرير بإذن الله عز وجل، وأخص بالشكر كليتي العزيزة أصول الدين وكذلك عمادة الدراسات العليا، وكلية التربية التي أكملت فيها دراسة الدبلوم العام.

أخيراً: شكر لكل من ساهم ولو بالقليل الذي قد لا يذكر في سبيل اخراج هذه الرسالة إلى النور وأسأل الله أن يجدوها جميعاً حسنات مثقلات في صحائف أعمالهم يوم القيامة.

---

(١) سنن أبو داود- كتاب الأدب- باب شكر المعروف، رقم (٤٨١٣) ج٤ ص ٤٠٣، وقال الألباني صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أَن لا إِلهَ إِلا اللَّه وحدَه لا شرِيكَ لهُ، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ ورضى اللهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد قيّض الله لهذه الأمة علماء أجلاء، وأئمة نجباء فهموا الإسلام وبينوا معانيه، وأظهروا أسراره وأحكامه كل بحسب علمه وما أداه إليه اجتهاده وجهاده؛ فتركوا لمن بعدهم ثروة علمية وعملية هائلة، تمثلت في جهدهم المشكور وعلمهم المحفوظ؛ فجعل الله لهم القبول في الأرض!

فكانت حركة إسلامية جامعة، ودعوة ربانية تلقتها الأمة بالقبول، وعقيدة سلفية صادقة توارثها العلماء وطلبة العلم جيلاً بعد جيل، من أشهر تلك الدعوات دعوة الإمام حسن البَنّا (رحمه الله) الذي عاصر فترة زمنية حرجة، كان من أخطر أحداثها في القرن الرابع عشر الهجري إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية؛ وما آل إليه وضع المسلمين من ضعف وانهيار وتشرذم، فقد داهمت بلاد المسلمين في عقر دارهم موجة إلحاد وإباحية قوية جارفة طاغية، تعصف في العقول والأخلاق؛ فظهرت كتب وجرائد ومجلات، وحركات ودعوات كل ما فيها ينضح لإضعاف أثر الدين الإسلامي بل والقضاء عليه في النفوس والأفهام!!

ولكن إرادة الله تجلت في أن يكون الإمام حسن البَنّا (رحمه الله) الرجل المؤمن العميق الإيمان، الفصيحٌ اللسان، القوي الحجة والبرهان، القريب إلى أفئدة الناس على نحو لم يتكرر كثيراً؛ ليواجه هذه الهجمة الشرسة، وفق برنامج واضح المعالم، يستند على قاعدة (الإصلاح بالإسلام)، فتميز بذلك برنامجه الإصلاحي عن كل البرامج الإصلاحية التي كانت تملأ الساحة السياسية والثقافية العربية والإسلامية.

فسلك في ذلك طريقاً شعبيًا يكفل العصبة المؤمنة، وطريقة تعليمية تنشر العقيدة المسلمة، والفهم الصحيح الشامل للإسلام ونظامه، وأخذ يكافح في سبيل ذلك كفاحاً أدهش الجميع، حتى ركز للإسلام مكانته في المجتمع والنفوس المؤمنة ببساطةٍ معجزةٍ في اقناعها، وبأسلوبٍ ممتعٍ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في سهولته، وبمنطق أرضى به العامة والخاصة، وبروحٍ إنشائيةٍ هدفت إلى المبادئ الأساسية للإسلام فتركزها، وابتعدت عن الخلافات الفرعية وتشعبها، متفهم للوسط الذي تعيش فيه، فتعرَّف على مواضع الداء في الأمة الإسلامية، ومتفقِّه لأسرار الإسلام على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة؛ فوصل بالأتباع إلى مرحلة فهم الإسلام الكامل الشامل، كما كان في عهد صدره الأول، مما مكَّنه أن يضطلع بمكانة الأبوة والإمامة والريادة لظاهرة الصحوة الإسلامية الكبرى.

كيف، لا..؟ وقد تتلمذ الإمام البَنّا (رحمه الله) على أيدي أساتذة كرام في الفكر والأدب والعقيدة واللغة، والتقى العشرات من أعلام الدعوة الإسلامية ورجال الفكر من كل مكان، وأخذ منهم خبرتهم وتجربتهم.

ولعل دعوة في الشرق كله لم تظفر بما ظفرت به دعوته، من كثرة الأقلام التي تناولتها، غير أن كثيراً منها تناولتها بأسلوب العرض الحماسي الذي يصدر عن دافع الإيمان الملتهب، بخلاف القلة التي تناولت الدعوة بالطريقة العلمية التي تصدر عن العقل المحض المستند للأصول العلمية الذي يعتمد أكثر ما يعتمد على كشف الحقيقة المجردة؛ ليعرضها في بساطةٍ بعيداً عن التكلف والتعقيد[1].

ولكنَّ سنة الابتلاء لكل دعوة حق في كل زمان ومكان أن تجد لها من المعارضين والمناوئين من يقف في طريقها، ويعمل على معاكساتها وإحباطها، ولكن النَّصر لها في النهاية؛ ولهذا وطَّن الإمام نفسه على مقابلة ذلك بمنهجية إيمانية مبنية على رؤية علمية تعي الواقع بأبعاده الفكرية والأمنية؛ فواجه الشبه والأقاويل بمنهجية العمل الإيجابي، فقال: «نحن والحمد لله موطِّنون العزم على أن الناس لا يتركوننا من غير نقدٍ ولا تشويه لدعوتنا؛ فإنَّ كل من أسس مبادئ صالحة لابد وأن تحارب، سنة الله في خلقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)، فهي طريق محفوفة بالمخاطر، مفروشة بالشوك مليئة بالعوائق تحتاج إلى صبر و جهاد..»[2]، وأضاف قائلاً: «أنَّ الإشاعة والأكاذيب لا يقضى عليها بالرد

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٤٦.

(٢) حديث الثلاثاء- الإمام حسن البَنّا ص ٤٩٨-٤٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا بإشاعة أخرى، ولكن يقضى عليها بعمل إيجابي نافع، يستلفت الأنظار، ويستنطق الألسنة بالقول؛ فتندحر الإشاعة، ويظهر الحق» [1].

فإنَّه وإزاء هذا الميراث الدعوي العظيم كان لابد أن ألقي الضوء على تصورات ومعتقدات وفكر دعوة الإمام الشهيد حسن البَنّا، وذلك من خلال رد دعوى المناوئين، بميزان عدلٍ دقيق مستقيم معروف، وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة الكرام الذين هم خير الأمة من بعده، ومن سار على دربهم واقتفى أثرهم، من الأئمة الأعلام إلى يوم الدين، بدراسة علمية موضوعية تحت عنوان:

دعاوى المناوئين لدعوة الإمام حسن البَنّا، عرض ونقد

أولاً: أهميـــة الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في البندين الآتيين:

البند الأول: الوقوف على معتقدات الإمام حسن البَنّا وفكره الدعوي، لأن قيمة أي دعوة من الدعوات مرتبط بالوقوف على تصوراتها ومعتقداتها، التي تنطلق منها وحدة المشاعر، وتتبني عليها العبادات التي تمثل وحدة الشعائر، والنظام الذي يمثل وحدة الشرائع.

البند الثاني: الذب عن دعوة الإمام حسن البَنّا ورد دعاوى المناوئين، وبالتحديد الذين هدفوا إلى تشويه وطمس تاريخنا بتضخيم الآفات إن وجدت واختلاقها إن لم يكن لها وجود، ومعلوم أن الأخيار إن رأوا من عظمائهم خيراً أذاعوه، وإن رأوا شراً دفنوه! ولكن ذلك لا يمنع من النقد البَنّاء؛ إذ أننا لا نعتقد بعصمة غير الأنبياء من البشر.

ثانياً: مبررات الموضوع:

يمكن أن تجمل مبررات طرق هذا الموضوع في البنود الأربعة الآتية:

١- إن دعوة الإمام حسن البَنّا التي أسسها في ذي القعدة عام ١٣٤٧هـ آذار ١٩٢٨م- بعد سقوط الخلافة الإسلامية واليُتم السياسي- قد بلغت الآفاق، وأضحى أنصارها بعشرات الملايين، فلذا وجب الاهتمام بفكره الدعوي وعقيدته.

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص١٠٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- لمّا كان التشريع هو فقه الدين في الفروع؛ فإنَّ العقيدة هي فقهه الأكبر، وهي منطلق الإصلاح، فلزم التعرف على مفردات فكره الدعوي، وقضايا العقيدة التي تأسس عليها منهجه الإصلاحي الذي يقوم على تكوين الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، ثم الحكومة المسلمة، ثم الدولة، ثم الخلافة الإسلامية، وأخيرًا يكون الوصول إلى «أستاذية العالم».

٣- تعرض الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى دعاوى المناوئين والحاسدين، ولم تسلم جوانب الدعوة المختلفة عنده من الطعون، غير أن الطعان في فكره الدعوي والعقيدة يُصيب أم الدماغ؛ فوجب إقامة الوزن بالقسط بين مادحيه وقادحيه!

٤- وقوف البعض على بحث أو دراسة فقيرة أو سماع لمقتطفات مشوهة أو مقطوعة من سياقها؛ يُوجب تناول البحث في هذا الموضوع بالحصر والبيان، ووجوب سَدَّ هذه اللبنة من الأهمية بمكان، وبحول الله وقوته أطرق هذا الباب، وألج تلك الطريق، وأسلك ذلك المسلك الصعب الشاق.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث وسؤال المختصين ترجَّح أنه لا توجد دراسة علمية تناولت الناحية العقدية والفكرية والدعوية والسياسية للإمام حسن البَنّا بالبيان والتحليل غير:

١- كتاب الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية شبهات وردود، للأستاذ توفيق الواعي، وجد فيه عرض لجوانب هامة لدعوة الإخوان المسلمون.

٢- كتاب فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، لعضو مكتب الإرشاد الأستاذ: جمعة أمين عبد العزيز.

٣- كتاب فصول في العقيدة بين السلف والخلف، للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي، تناول فيه آيات وأحاديث الصفات والأولياء وكرماتهم والقبور ومبتدعاتها والتوسل.

٤- رسالة لنيل درجة الماجستير- ١٩٥٣م (الإخوان المسلمون والمجتمع المصري: محمد شوقي زكي) إشراف د: محمد كمال خليفة.

وجاء هذا البحث ليضيف جمالاً وكمالاً- بعون الله- فيجمع ما تفرق في بطون الكتب والبحوث، ويقدم للباحثين عن الحقيقة صورة كاملة عن دعوة هذا الإمام الذي تملأ مناحي الفضاء الإعلامي، وهي اليوم ملؤ بصر العالم وسمعه..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: منهـــج البحث:

يعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

خامساً: طريقة البحث:

١. عرض موقف الإمام حسن البَنّا، موضحاً استدلالاتِهِ من خلال مؤلفاته وما أثر عنه فـــي رد الدعوى التي تنال من دعوته.
٢. الوقوف على أقول علماء أهل السنة والجماعة في القضية المطروحـــة مـــع التوضـــيح والتعقيب على الأقوال؛ لبيان مدي موافقته لمذهب أهل السنة أو مخالفته، وبيـــان وجـــه الحق في ذلك.
٣. شرح معاني المصطلحات والكلمات الغريبة.
٤. تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، فإن كان الحديث مخرجاً في الصحيحين وغيرهمـــا يكتفى بعزوه للصحيحين، مع بيان اسم الكتاب والباب.
٥. توثيق اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة في الحواشي السفلى فقـــط. أمـــا التوثيـــق الكامل للمصدر والمرجع سيكون في فهرست المراجع بنهاية البحث.

سادساً: خطـــة البحث:

فقد اشتملت خُطة البحث على المقدمة، وأهمية الموضوع، ومبرراته، ومـــنهج البحـــث، وطريقته، وفصوله المتنوعة ومطالبه المتعددة، ومايتفرع منها من فروع محددة.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الإمام حسن البَنّا عصره وحياته واستشهاده

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصر الإمام حسن البَنّا.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الحياة العلمية.

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية والدينية.

المبحث الثاني: حياة الإمام حسن البَنّا واستشهاده.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: شيوخه وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: مكانته السياسية.

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: استشهاده.

الفصل الثاني

دعاوى حول منهج الإمام حسن البَنّا في الدعوة والقضايا السياسية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دعاوى حول منهج الدعوة عند الإمام البَنّا.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دعوى الجمع بين المتناقضات.

المطلب الثاني: التربية في دعوته.

المطلب الثالث: العمل الجماعي المؤسسي.

المطلب الرابع: البيعة وما أثير حولها من شبهات وردود.

المطلب الخامس: دعوى غلو الإخوان في شخص البَنّا.

المبحث الثاني: منهج الإمام البَنّا في الاختلاف.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الاختلاف وأنواعه وأسبابه.

المطلب الثاني: موقف البَنّا من الخلاف.

المطلب الثالث: موقفه من الهيئات ومؤسسات العمل الإسلامي.

المطلب الرابع: موقفه من المسائل التي لا ينبني عليها عمل.

المبحث الثالث: منهج الإمام البَنّا في القضايا السياسية.

وفيه ستة مطالب:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: موقفه من العمل السياسي.

المطلب الثاني: موقفه من الحكم (الحاكمية).

المطلب الثالث: موقفه من الدستور المصري.

المطلب الرابع: موقفه من القانون الوضعي.

المطلب الخامس: موقفه من الديمقراطية والمجالس النيابية.

المطلب السادس: موقفه من الأحزاب السياسية.

الفصل الثالث

دعاوى حول منهج الإمام حسن البَنّا في قضايا العقيدة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مكانة العقيدة في دعوة الإمام البَنّا.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: منهجه في عرض قضايا العقيدة.

المطلب الثالث: دعوى إهمال الإخوان الجانب العقدي.

المبحث الثاني: عقيدة الإمام حسن البَنّا في توحيد الأسماء والصفات.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات عند الإمام البَنّا.

المطلب الثاني: المشابهة بين صفات الله تعالى وصفات الخلق.

المطلب الثالث: التفويض في الصفات.

المطلب الرابع: شبهة التفويض التي أثيرت حول عقيدة البَنّا.

المطلب الخامس: موقفه من الخلاف في آيات الصفات وأحاديثها.

المبحث الثالث:دعاوى المناوئين لموقف الإمام البَنّا من البدعة الابتداع.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة البدعة.

المطلب الثاني: بدعة التكفير.

المطلب الثالث: بدعة التصوف.

المطلب الرابع: دعوى في مسائل اتهم البَنّا بابتداعها.

وفيه ثلاثة فروع:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الأول: الذكر الجماعي

الفرع الثاني: التوسل بالمخلوقين

الفرع الثالث: القبورية

المطلب الخامس: موقفه من ادعاء معرفة الغيب(الكهانة، المعرفة، الرمل).

المطلب السادس: موقفه من التمائم والودع والرقى.

المبحث الرابع: دعاوى المناوئين لعقيدة الإمام البَنّا في الولاء والبراء

المطلب الأول: عقيدة الولاء والبراء عند البَنّا.

المطلب الثاني: دعاوى حول مسائل عقيدة الولاء والبراء عند البَنّا.

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: موقفه من حقيقة الصراع مع اليهود

الفرع الثاني: موقفه من التنصير

الفرع الثالث: موقف البَنّا من الأقليات الدينية

الفرع الرابع: موقفه من القومية

الفرع الخامس: موقفه من الوطنية

الخاتمة

وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الطالب وتوصيات تفيد البحث العلمي.

المصادر والمراجع.

فهرست الآيات القرآنية.

فهرست الأحاديث.

فهرس المحتويات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الإمام حسن البنّا
عصره وحياته واستشهاده

وفيه مبحثان

المبحث الأول: عصر الإمام حسن البَنّا

المبحث الثاني: حياة الإمام حسن البَنّا واستشهاده

www.manaraa.com

المبحث الأول

عصر الإمام حسن البَنّا

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية.

المطلب الثاني: الحياة العلمية.

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية والدينية.

www.manaraa.com

المطلب الأول

الحياة السياسية

إن الإمام البَنّا (رحمه الله) عاش في فترة زمنية شهدت فيها المنطقة تحولات سياسية خطيرة، وإن أحداثًا جساماً شكلت مفصلاً وفارقاً في التاريخ المعاصر، وأنه يمكن تلخيص المشهد السياسي في عصره بجملة نقاط هامة هي:

أولاً: كانت مصر في هذه الفترة تُحْكَم بواسطة الأحزاب السياسية التي تشكلت بعد ثورة ١٩١٩م[١]، وفي مقدمتها حزب الوفد[٢]، من خلال النظام الديمقراطي الغربي القائم على الصراع بين مواقع التأثير، وهو ما أوقع الأحزاب المصرية الناشئة وقتذاك في صراع على الحكم بين قصر عابدين وقصر المعتمد البريطاني الذي كان جاثماً على أنفاس البلد في ذلك الوقت.

صراع تعاطت فيه الأحزاب السياسية المصرية الناشئة وقتئذ كافة وسائل الإغراء السياسي أو المادي على السواء، الأمر الذي أودى بها إلى الانحراف بعيداً عن رسالتها الأصلية في مجال العمل الوطني، وهذا ما أكد حرص الإمام البَنّا (رحمه الله) أن يضع مشروعه السياسي مضبوطاً بقيم الإسلام نصب عينيه[٣].

ثانياً: على الرغم من الاستقلال الشكلي الذي نالته مصر في ذلك الحين بموجب دستور٢٣ فبراير ١٩٢٢م، كانت في تراجع مطرد، حيث مات أو نفي غالبية رموز الحركة الوطنية،

---

(١) ثورة ١٩١٩ م في مصر قامت تعبيراً عن غضب الأمة المختزن منذ عهد الاحتلال، فتخرج في مظاهرات قوية ضد المستعمر الغاصب. وكان الإنجليز يدركون أنها ثورة إسلامية، ويرون في ذلك الخطورة البالغة، كما عبّر عن ذلك اللورد اللنبي المندوب السامي في مصر بقوله: إن الثورة تنبع من الأزهر، وهذا أمر له خطورته البالغة.. أفرجوا عن سعد زغلول وأعيدوه إلى القاهرة. [هوية الأمة: محمد محمد بدري- مجلة البيان العدد٥٤ ص:٥٨].

(٢) الوفد حزب سياسي شعبي ليبرالي، تشكل في مصر سنة ١٩١٨م، وكان حزب الأغلبية قبل ثورة ٢٣ يوليو المصرية، التي أنهت عهد الملكية، وحولت البلاد إلى النظام الجمهوري، ولم يعد الحزب إلى نشاطه السياسي إلا في عهد الرئيس أنور السادات، بعد سماحه للتعددية الحزبية، وقد اتخذ لنفسه اسم حزب الوفد الجديد سنة ١٩٧٨م. [انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا ttp://ar.wikipedia.org].

(٣) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٢٧٣، والدولة الإسلامية في فكر الإمام حسن البَنّا- أحمد التلاوي موقع إخوان أون لاين ١٩/ ٢٠٠٦/٧م، وملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا- عدنان أبو عامرص ٢٨- ٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالتالي ماتت أو نفيت مشاريع الاستقلال والتحرر الوطني، فحكم العلاقة بين حكام مصر والمعتمد البريطاني استمرار السيطرة البريطانية والحد من قوى التحرر.

ثالثاً: أن الحزبية السياسية كانت قائمة على مفهوم إقليمي ضيق، هو مصر للمصريين، بعيداً عن الوَحْدة العربية أو الجامعة الإسلامية، وكان معنى هذا كله اختراق ثورة ١٩١٩م التي تشكلت في أحضان مفهوم إسلامي وعربي جامع، وهذا ما دعا الإمام البَنّا (رحمه الله) أن ينظر إلى ما أُطلق عليه اسم (الحركة الوطنية) على أنه ليس هو الأسلوب الصحيح، مع أن الصورة الوطنية المجردة فتنت الكثيرين وهي التي كانت باهرة إذ ذاك، فرآها الإمام البَنّا (رحمه الله) قاصرة عاجزة.

رابعاً: كان من أخطر الأحداث التي هزت الوجود الإسلامي، إنه وفي ٢٢ رجب ١٣٤٠هـ، ٣ مارس ١٩٢٤م إلغاء الخلافة الإسلامية، فزال (الرمز) وتحطم (الوعاء) الذي حافظ بشكل أو بآخر على وَحْدة الأمة وتكامل دار الإسلام، والذي أبقت عليه الأمة واعتصمت به منذ ظهور الإسلام![1]

وتعدُّ دولة الخلافة العثمانية ظاهرة تاريخية فريدة، فهي من أبرز الدول العالمية في التاريخ؛ فقد شغلت حيزًا كبيرًا من الزمان والمكان، إذ عاشت أكثر من ستة قرون، وامتدت رقعتها الجغرافية إلى آسيا وأوروبا وإفريقيا، وكانت جيوشها أكثر جيوش العالم عددًا وأحسنها تدريبًا وتسليحًا وتنظيمًا، فقد عبرت جيوش هذه الدولة الفتية البحر من الأناضول إلى جنوبي شرق ووسط أوروبا، وفتحت بلاد اليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا والمجر ورودس وكريت وقبرص وألبانيا حتى بلغت مشارف فيينا – عاصمة النمسا – وجنوبي إيطاليا؛ فكانت أول دولة إسلامية تصل إلى هذا العمق في الأرض الأوروبية.

استطاعت الخلافة العثمانية أن تجمع معظم المسلمين تحت راية واحدة وخليفة واحد، وخاضت خلال هذا التاريخ الطويل العديد من الحروب على مختلف الجبهات كان النصر فيها سجالا بينها وبين أعدائها، وظلت رغم ضعفها شوكة قوية في ظهر أعداء الإسلام الذين عملوا على تصفيتها في حملة منظمة استمرت أكثر من ٢٢٠ سنة.

---

(١) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص٢٠، و حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٤٧١، والدولة الإسلامية في فكر الإمام حسن البَنّا– أحمد التلاوي، موقع إخوان أون لاين– ١٩/ ٢٠٠٦/٧م، ملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا– عدنان أبو عامر ص٢٦– ٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان إسقاطها على أيدي الكماليين[١] بالحادث الصاعق، ولكن الأمة ما وقعت تحت براثن الاستعمار والغزو العسكري إلا بعد أن تخلت عن دستورها القرآني ومنهجها الرباني، وأنها لو استمسكت به، لما استطاع غازٍ أن يغزوها، أو مستعمر أن يسيطر عليها.

وكان السؤال هو: ماذا بعد بالنسبة للإسلام؟ وقد أقصيت قيادته، فتفرقت الأقطار الإسلامية، وأصبحت عرضة للقضاء عليها، حيث كان ذلك مخطط الصهيونية العالمية، والنفوذ الاستعماري لتقسيم ميراث الدولة العثمانية، والقضاء على الوَحْدة الجامعة، وإثارة خلافات العنصر والدم، وظهور دعوات إقليمية وقومية، ترمي إلى التفرقة والخلاف، حيث ظهرت بعد ذلك مخططات تسليم سورية ولبنان إلى فرنسا، والعراق إلى بريطانيا، وإقامة وطن قومي في فلسطين للصهيونية[٢] العالمية[٣].

خامساً: وكانت الحركة الوطنية إذ ذاك تتحرك في إطار الفكرة الغربية، وكان هذا أكبر نصر حققه الاحتلال والنفوذ الغربي، أن قضى على الرعيل الأول والمدرسة الإسلامية التي واجهت الاحتلال أول الأمر، أولئك الأبرار الذين آمنوا بأن قضية الوطن العربي أو المصري إنما هي

---

(١) نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك ولد سنة (١٢٩٩هـ = ١٨٨٠م) بمدينة سالونيك، أما أبوه فهو "علي رضا أفندي" وقد كثرت الشكوك حول نسب مصطفى، وقيل إنه ابن غير شرعي لأب صربي، ويذكر الكاتب الإنجليزي "هـ.س. أرمسترونج" في كتابه: "الذئب الأغبر" أن أجداد مصطفى كمال من اليهود الذين نزحوا من أسبانيا إلى سالونيك وكان يطلق عليهم يهود الدونمة، الذين ادعوا الدخول في الإسلام. وبعد تخرجه في الكلية العسكرية في إستانبول عين ضابطًا في الجيش الثالث في "سالونيك" وبدأت أفكاره تأخذ منحنى معاديًا للخلافة، وللإسلام، وما لبث أن انضم إلى جمعية "الاتحاد والترقي"، واشتهر بعد نشوب الحرب العالمية الأولى حين عين قائدًا للفرقة ١٩، وهُزم أمامه البريطانيون مرتين في شبه جزيرة "غاليبولي" بالبلقان رغم قدرتهم على هزيمته، وبهذا النصر المزيف رُقّي إلى رتبة عقيد ثم عميد، وفي سنة (١٣٣٧هـ = ١٩١٨م) تولى قيادة أحد الجيوش في فلسطين، فقام بإنهاء القتال مع الإنجليز – أعداء الدولة العثمانية – وسمح لهم بالتقدم شمالاً دون مقاومة، وأصدر أوامره بالكف عن الاصطدام مع الإنجليز.

توفي أتاتورك عام ١٣٥٦هـ بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين. لقد أصيب مصطفى كمال بمرض قبل وفاته بسنين بمرض عضال في الكلية لم تعرف كنهته. وكان يتعرض لآلام مبرحة مزمنة لاتطاق، كانت السبب في إدمانه على شرب الخمر مما أدى الى إصابته بتليف الكبد والتهاب في أعصابه الطرفيه وتعرضه لحالات من الكآبة والانطواء –وقد تدهور في المستويات العليا للمخ– لذلك كان هذا الديكتاتور مثلاً فريد في القسوة والتنكيل والأنانية المدمرة. انظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط – (١ / ٤٧٨)، وانظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث – ٣ – (٨٧ / ٢٩٨).

(٢) حركة سياسية يهودية، هدفها الرئيس إقامة دولة يهودية في فلسطين، وذلك بتشجيع هجرة اليهود في أنحاء العالم كافة إلى فلسطين، وإقامة تجمعات يهودية جديدة في هذه البلا [انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا ttp://ar.wikipedia.org].

(٣) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٣٠-٣١-٤٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قضية إسلامية أساساً، وأنها لا تعالج إلا عن طريق إعلاء فكرة الوَحْدة الإسلامية، والجامعة القرآنية[١].

وبذلك فقد ساءت الحالة السياسية في تلك الفترة، وظهرت العديد من المؤلفات التي دعت إلى إقصاء السياسة عن الدين، ففي رمضان ١٣٤٣هـ، أبريل ١٩٢٥م نشر الشيخ علي عبد الرازق[٢] كتابه الإسلام وأصول الحكم، فهو أول كتاب يكتبه مسلم بل وشيخ أزهري يتولى منصب القضاء الشرعي يزعم فيه أن الإسلام دين لا دولة! [٣].

وأحدث ذلك جدلاً عميقاً وتحولاً خطيراً مما استجلب الكثير من ردود العلماء والغيورين وكان منهم العلامة بن عاشور[٤] الذي قال: «إن الملك العادل الحق لا يتنافى مع الرسالة بل هو تنفيذ لها، وإن من الأنبياء من اجتمع لهم الملك والنبوة مثل داوود عليه السلام»[٥].

وإزاء تلك الحالة كان لا بد من نهضة فكرية ترمم ما أحدثه هذا الفكر المشوه من خراب في جدار الفكر الإسلامي، فما حدث هو أخطر من احتلال الأرض، ونهب الثروات.

سادساً: وقع الوطن العربي والإسلامي تحت براثن الاحتلال الغربي الذي بدأ في القرن السابع عشر في الهند وأرخبيل الملايو (بريطانيا وهولندا) ثم بالوطن العربي: الجزائر ١٨٣٠م، مصر ١٨٨٢م وبعدها السودان وبعدها سورية والعراق وفلسطين، وفي هذا يقول الإمام البَنّا (رحمه الله) وهو يصف مشهد حاضره الإسلامي: "أننا نحن المسلمين وقد بلغ تعدادنا أكثر من أربعمائة مليون نسمة، وبعد أن وصلنا إلى هذا العدد الضخم، صادفتنا الحوادث التي غيرت كثيراً من سلطاننا السياسي وجعلتنا دويلات، وأصبح كثير من المسلمين مهضومي الحقوق، ضائعي القيم في أماكن كثيرة، ومن هذه الدويلات ألبانيا ويوغسلافيا، وغيرهما من الدول الصغيرة، ومن هذه

---

(١) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٣٢-٢٧٤.

(٢) علي حسن أحمد عبد الرازق (١٨٨٨– ١٩٦٦) هو مؤلف كتاب الإسلام وأصول الحكم الذي يدعو إلى فصل الدين عن السياسة والذي أثار ضجة بسبب آرائه في موقف الإسلام من«الخلافة، سُحب منه شهادة العالمية، عمل بالمحاماة، ثم انتخب عضواً في مجلس النواب، ثم عضواً في مجلس الشيوخ، ثم اختير وزيراً للأوقاف. [ويكيبيديا، الموسوعة الحرة].

(٣) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص٢٢-٢٣.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور(١٢٩٦– ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩– ١٩٧٣ م) : رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و(موجز البلاغة) وكتب كثيرا في المجلات. [الأعلام للزركلي ج٦ ص١٧٤-١٧٥].

(٥) نقد علمي لكتاب الإسلام ونظام الحكم– العلامة الطاهر بن عاشور ص١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعوب البنغاليون، وأصبحت هذه الأمم لا راعي لها وقد انقطعت صلتهم بمعين الإسلام، حتى كاد يخشى على قدراتهم من انقطاعهم عن الإسلام بالكلية»[١].

سابعًا: كان لقضية فلسطين وتصريح (بلفور) [٢] ١٩١٧م بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بالغ الأثر في الكشف عن هذا الخطر الجديد، وما يتصل به من محاولات السيطرة على البلاد العربية وعلى بيت المقدس، وإعادة بناء هيكل سليمان.

وانكشاف مدى هذا الخطر والمقررات التي اتفق عليها اليهود في مؤتمر (بال)[٣] في سويسرا ١٨٩٧م[٤].

ثامناً: وكان من مكونات المشهد السياسي الذي انعكس على واقع الحياة السياسية في تلك الفترة المحن التي تعرضت لها جماعة الأخوان المسلمين من قبل الحكومات المصرية المتتالية، بدءاً من المحنة الأولى للإخوان المسلمين على يد حسين باشا[٥] وبضغط من السفارة البريطانيا والقيادة الإنجليزية، فصادرت حكومته مجلتي التعارف، والشعاع الأسبوعيتين، ومجلة المنار

---

(١) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا: أحمد عيسى عاشور ص٤٧٠- ٤٧١.

(٢) وعد بلفور، وبلفور هو وزير خارجية بريطانيا آنذاك، ووعده هذا عبارة عن خطاب-لا يحمل أي صبغة قانونية- أرسله إلى اللورد اليهودي روتشلد الممول اليهودي المشهور مؤرخاً بتاريخ ٢/ ١١/١٩١٧م، أصبح الأصل الرئيسي الذي يعتمد عليه اليهود في إقامة دولتهم. قال بلفور في وعده: (إن الحكومة تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وسوف تبذل خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية).[فلسطين حتى لا تكون أندلسا أخرى: راغب السرجاني مصدر الكتاب: دروس صوتية قام تفريغها موقع الشبكة الإسلامية-ttp://www.islamweb.net)].

(٣) مؤتمر بال في سويسرا عقده هرتزل في أواخر القرن التاسع عشر(١٨٩٧م) : هو نقطة التحول بالنسبة للعالم الإسلامي، إذ دأبت بعده اليهودية العالمية على تنظيم الخطط وإحكام الأحابيل والشباك التي تصطاد بها المسلمين للوصول إلى أرض الميعا

وأما هرتزل فهو صحفي يهودي نمساوي ولد سنة (١٨٦٠) وفي سنة (١٨٩٤) حضر محاكمة الضابط اليهودي (دريفوس) الذي يحمل الجنسية الفرنسية ولقد أثرت المحاكمة في نفس هرتزل.

وبعد هذا الحدث بسنة أي سنة (١٨٩٥م) أصدر كتابه (الدولة اليهودية). وفي سنة (١٨٩٧) وأعلن هرتزل في نهاية المؤتمر أن الدولة اليهودية قامت وحدد لذلك زمنا لا يتعدى خمسين سنة. [انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ (١٨/ ٣٥٥)]

(٤) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد: أنور الجندي، ص:٤٧٥.

(٥) حسين سري باشا (١٨٩٤-١٩٦٠) هو سياسي مصري. عمل رئيساً لوزراء مصر لمدة ثلاث فترات قصيرة. خدم أولا كرئيس للوزراء من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٢ خلال دخول مصر في الحرب العالمية الثانية وغزو الألمان =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشهرية، ومنعت طبع أية رسالة من رسائلهم، أو إعادة طبعها، وأغلقت مطبعتهم، وحرمت على الجرائد أن تذكر شيئا عنهم، كما منعت اجتماعاتهم، ثم عمدت إلى تشريد رؤساء الجماعة[١].

ولم تنتهِ بحكومة النقراشي[٢] التي خشيت سلطة الإخوان، ونفوذهم القوي خاصة بعد معارك السويس وفلسطين؛ فاغتنمت فرصة وقوع حوادث عنف في داخل مصر، واتهمتهم بان لهم ضلعاً فيها، وأنهم ينوون إحداث انقلاب، فأصدرت أمرًا عسكرياً في ٨ ديسمبر ١٩٤٨ بحل جماعة الإخوان وشعبها أينما وجدت[٣].

وقد أعقب ذلك وقوع أحداث منها مقتل النقراشي في وزارة الداخلية في ٢٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٨م وقد مهدت الأحداث المتوالية لتدبير قتل الإمام حسن البَنّا في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٩م[٤].

= لشمال أفريقيا. عمل بعدها سري باشا كرئيس للوزراء من يوليو ١٩٤٩ حتى يناير ١٩٥٠، وآخر فترة له كانت في يوليو ١٩٥٢ خلال الأزمة السياسية قبل ثورة ١٩٥٢. [انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا ttp://ar.wikipedia.org].

(١) انظر: الإخوان كبرى الحركات الإسلامية ص٢٦، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري: محمد شوقي زكي ص ١٦- ١٧.

(٢) محمود فهمي النقراشي باشا (٢٦ أبريل ١٨٨٨- ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨) هو رئيس وزراء مصري راحل، ترأس الوزارة مرتين، حكم عليه بالإعدام من قبل سلطات الاحتلال الإنجليزي بسبب ثورة ١٩١٩، والتي كان من قياداتها واعتقل من قبل سلطات الاحتلال الإنجليزي في مصر العام ١٩٢٤. اغتيل في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ [انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا ttp://ar.wikipedia.org].

(٣) انظر: الإخوان كبرى الحركات الإسلامية ص٣٤- ٣٥، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص ٢٣- ٢٤، حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٢٤٢.

(٤) حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٢٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

الحياة العلمية

بالنظر إلى واقع الحياة العلمية في زمن الإمام البَنّا (رحمه الله) وما كانت تتعرض له من هزات عنيفة تهدد الأمة في هويتها، وفي خصوصياتها الثقافية ومنظومتها القيمية، حيث موجات التغريب العاتية المدعومة بقوة باطشة، وبكل مظاهر الإغواء والإغراء، في الوقت نفسه كان التضييق والملاحقة نصيب العلماء العاملين!!

وقد وصف الإمام البَنّا (رحمه الله) تلك الحالة وما تتعرض إليه الأمة بقوله: «أتى على الإسلام والمسلمين حين من الدهر توالت فيه الحوادث وتتابعت الكوارث، وعمل خصوم الإسلام على إطفاء روائه، وإخفاء بهائه، وتضليل أبنائه، وتعطيل حدوده، وإضعاف جنوده، وتحريف تعاليمه وأحكامه تارة بالنقص منها وأخرى بالزيادة فيها وثالثة بتأويلها على غير وجهها. وساعدهم على ذلك؛ ضياع سلطة الإسلام السياسية»[(١)].

وهنا تبرز سمات الحياة العلمية في مصر بما تمثله من مكانة في الأمة في عصر حمل فيه الإمام البَنّا (رحمه الله) لواء الدعوة، بما يلي:

أولاً: عودة إلى الأصول: في العام الذي ولد فيه الإمام البَنّا (رحمه الله) كان قد رحل الشيخ محمد عبده[(٢)] بعد ما أحيا فكرة الإصلاح والتجديد، بعد شيخه جمال الدين الأفغاني[(٣)]، وكان الحديث جامعاً بين مقاومة النفوذ الأجنبي، وبين تحرير الفكر الإسلامي من التقليد والجمود، وقد امتد حتى أُخرج من البلاد قبيل الثورة العرابية[(٤)]، ثم عاد بعد الاحتلال بمفهوم جديد للتربية

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤١٩.

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني(١٢٦٦- ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩- ١٩٠٥ م) : مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. وشارك في مناصرة الثورة العرابية. وأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى). تولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. [الأعلام للزركلي ج ٦ ص٢٥٢].

(٣) جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤- ١٣١٥ هـ = ١٨٣٨- ١٨٩٧ م) محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد (بأفغانستان) ونشأ بكابل، وتلقى العلوم العقلية والنقلية، ثم رحل مارًا بالهند ومصر، إلى الآستانة (سنة ١٢٨٥هـ) فجعل فيها من أعضاء مجلس المعارف. ونفي منها (سنة ١٢٨٨) فقصد مصر، فنفخ فيها روح النهضة الإصلاحية، في الدين والسياسة. [الأعلام للزركلي ج٦ ص١٦٩].

(٤) الثورة العرابية هي الثورة التي قادها أحمد عرابي في فترة ١٨٧٩-١٨٨٢ ضد الخديوي توفيق والإنجليز. [انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا ttp://ar.wikipedia.org].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإصلاح، دون الاصطدام مع النفوذ البريطاني أو معارضته، فكان له تأثيره الواضح في تجديد مناهج التعليم في الأزهر حتى توفي سنة ١٩٠٥م، ولم يبق بعد ذلك إلا ما حمله السيد رشيد رضا[١] من خلال مجلة (المنار) التي اتسع نفوذها إلى المغرب غرباً، وإلى جاوة شرقاً[٢].

وقد كان التجديد الإسلامي عند كل أئمة التجديد في حضارتنا دعوة للعودة إلى المنابع الجوهرية والنقية المقدسة والمعصومة والثابتة والملزمة للمسلمين، وفي ذلك بين الإمام البَنّا (رحمه الله) بقوله: «إن أساس التعاليم الإسلامية معينها هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، اللذان إن تمسكت بهما فلن تضل أبداً، وإن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها والشعوب التي عاصرتها، ولهذا يجب أن تستقي النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جميعاً»[٣].

بهذه العقلية المبدعة والذهنية المتفتحة وضع نظريته؛ للاستفادة من كنوز التراث الفكري، بعد عرضه على معايير القرآن الكريم وصحيح السنة، ومع فقه الواقع المعيشي حتى نجيب على علامات استفهامه بألسنة الأحياء لا بفتاوى الأموات! [٤].

وقد لقِيَ هذا الطرح التجديدي تجاوب النفوس المؤمنة التي أعياها الهبوط والسفور والغربة عن الدين وغربة الدين عن الدنيا.

ثانياً: الدعوة إلى التغريب: قد شكلت حالة التفاعل الإيجابي مع المستجدات التي تعرض للأمة، وطرح إجابات واعية منفتحة للتساؤلات الملحة؛ من اليقظة والعودة إلى الأصول الثابتة، دعا أن تتحرك من جديد قوى المسخ؛ فتمتد يدها تريد طمس معالم ذلك القبس من النور، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)، بأيدي أناسٍ من الأمة، شوهتهم أساليب الغزو الفكري الوافد؛ فزعزت العقائد في نفوسهم! وكان صوت التغريب على ألسنتهم يبشر بأن الخلاص لن يتحقق إلا عبر تبني المشروع الحضاري الغربي،

---

(١) محمد رشيد بن علي رضا ولد ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢ هـ/٢٣ سبتمبر ١٨٦٥ في قرية «القلمون (لبنان) »، وهي وهي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان وتبعد عن طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، وتوفي بمصر في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ/٢٢ أغسطس ١٩٣٥م. [انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا ttp://ar.wikipedia.org].

(٢) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٤٧٣.

(٣) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٣٥.

(٤) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بخيره وشره، بحلوه ومره بما يحب فيه وما يكره، وبما يحمد فيه وما يعاب، وذلك بدعوى أننا جزء من طبيعة هذا المشروع الغربي؛ لأننا جميعاً أبناء حضارة البحر المتوسط وعقلنا يوناني، لم يغير القرآن من يونانيته، كما لم يغير الإنجيل يونانيه العقل الغربي، إذ القرآن في دعواهم مجرد مصدق للإنجيل![1].

ثالثاً: التشكيك في ثوابت الأمة: معلومٌ أن الثوابت والأصول تمثل عندنا إطاراً حافظاً، وسياجاً واقياً، فما أقدم عليه طه حسين[2] في عام ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م من خلال نشره لكتابه (في الشعر الجاهلي) الذي استخدم فيه نهج (الشك الديكارتي) للتشكيك في الشعر الجاهلي ثم تجاوز نطاق (الشعر الجاهلي) بالتشكك في عقائد قرآنية من مثل قصة الخليل إبراهيم عليه السلام ورحلته الحجازية، وإقامته مع ابنه إسماعيل -عليهما السلام – قواعد البيت الحرام! فكان هذا الكتاب يمثل اقتحام التغريب لمقدسات المسلمين واستفزاز (النزعة المادية) للحضارة الغربية مشاعر المسلمين![3] ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل تواصل الاستفزاز ومعول الهدم قاصداً إلغاء أي مظهر لمكونات الأمة؛ فاستهدفت اللغة العربية لإلغاء أي رابط يربط بين أبناء الأمة، فقال: إن اللغة العربية ليست لغة النهضة والتقدم، فلا تصلح لعصر الديمقراطية والبرلمانات![4]، وأضاف: "فلا بد لنا أن نسير سيرة أوروبا في الحكم والإدارة والتشريع»[5].

فهذه جملة من الادعاءات لا تستند إلى واقع أو برهان، ولا تقوم على أيٍ من ضوابط المعرفة، غير أنها الحرب المسعورة؛ لتفتيت وَحْدة الأمة الإسلامية بتقويض مقوماتها.

رابعاً: اختراق العقل ومسخ الحياة الجامعية: وهذا من الهزات الارتدادية التي رافقت زلزال اختراق الثوابت والعقائد والمقومات، الأمر الذي اهتز له ضمير الأمة كما لم يهتزُّ في التحديات التاريخية التي واجهتها من قبل.

---

(١) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٢٤.

(٢) طه حسين (١٥ نوفمبر ١٨٨٩- ١٩٧٣) أديب وناقد مصري، لُقّب بعميد الأدب العربي. غيّر الرواية العربية، مبدع السيرة الذاتية في كتابه «الأيام» الذي نشر عام ١٩٢٩. يعدُّه البعض من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة. في حين يراه آخرون رائد من رواد التغريب في العالم العربي، وأن الغرب هو من خلع عليه لقب عميد الأدب العربي. [ويكيبيديا، الموسوعة الحرة].

(٣) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٢٣.

(٤) انظر: البلاغة العصرية واللغة العربية- سلامة موسى نقلاً عن التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٢٤-٤٦.

(٥) مستقبل الثقافة في مصر- طه حسين ج١ ص٣٦- ٣٧، نقلاً عن التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان لهذا الفكر المشبوه الدخيل ضحايا انخدعوا بالمزخرف من القول، فانعكس ذلك على واقع الحياة العلمية، حتى غدت الجامعات العصرية معاقل موبوءة بهذه الأفكار، وفي ذلك يصف الإمام البَنّا الحالة التي سيطرت على البيئات الجامعية العصرية، بقوله: «أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية في عقر ديار الإسلام، تقذف في نفوس أبنائها الشك والإلحاد، وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم، ويحتقرون دينهم ووطنهم، وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم، ويقدسون كل ما هو غربي، ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوروبيين وحده هو المثل الأعلى في هذه الحياة، واحتوت هذه المدارس على الطبقة العليا وحدها وصارت وقفاً عليها، وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام، ومن لم يتم نضجه في هذه المعاهد، فإنَّ في البعثات المتلاحقة ما يكفل لهم التمام، ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف أعظم النجاح»[1].

فكان هذا واقع التعليم الرسمي والجامعي الذي به غزو النفوس بغزوٍ قويّ التأثير بعيد الأثر أخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف وأضعاف! وقد يبين الإمام البَنّا (رحمه الله) واقع الحياة الجامعية في مصر بعد الحرب العالمية الأولى، بقوله: «لقد تحولت الجامعة المصرية من معهد أهلي إلى جامعة حكومية تديرها الدولة وتضم عدداً من الكليات النظامية، وكانت للبحث الجامعي والحياة الجامعية حينذاك في رؤوس الكثيرين صورة غريبة: مضمونها أن الجامعة لن تكون جامعة علمانية إلا إذا ثارت على الدين وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه، واندفعت وراء التفكير المادي المنقول عن الغرب بحذافيره، وعرف أساتذتها وطلابها بالتحلل والانطلاق من كل القيود»[2].

هكذا أصبحت الجامعات حاضنة للأفكار المشككة بالإسلام كدين ناظم للحياة، والتقريع بمقومات الأمة، والسعي الحثيث لتقويضها، وليس أمام الشرق إلا أن يحذو حذو الغرب بالانقضاض على الدين؛ فيعزله عن حركة الحياة، وعن حياة الأحياء.

خامساً: الإمام البَنّا (رحمه الله) وحركة التحدي: واتجاه هذا الضعف والتهتك الذي ضرب الأمة في أخص خصوصياتها، وفي أعز ما تملك، وفي أشد حصونها مناعة ألا وهو عقيدتها، برزت القوى الكامنة المذخورة في الأمة، التي غالباً لا تظهر إلاَّ عندما تُصْدَم الأمة في ثوابتها وقيمها

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٥٢٣.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحضارية؛ فتكون قدر الله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (فاطر: ١٠).

فقابل المكرَ السيئَ ردودُ فعلٍ متعددةٍ ووجدت من قبل ومن بعد تحركات كثيرة، ومن أبرز ما واجه تلك الموجة العاتية من التغريب المدعوم بكل أدوات التزييف والجبروت، دار العلوم- فرع يتبع جامعة الأزهر الشريف- التي وصف الإمام البَنّا (رحمه الله) الحياة العلمية فيها وما أنتجته من حراك فكري تجديدي، فقال: «لم تكن الدراسة في دار العلوم حينذاك دراسة جامدة، فكثيراً ما كنا نتناول بين حجرات الدراسة كثيراً من الشئون العامة في السياسة والاجتماع، وكانت هناك كذلك آراء دينية يختلف فيها الطلاب مع الأساتذة، وتكون موضع الحديث والنقاش والجدل في حرية تامة وأدب كامل»[١].

فدار العلوم عَمَرَها خِيرة الشيوخ المخلصين، وفيها تبلور عند الإمام البَنّا (رحمه الله) الفكر الدعوي المنهجي الذي تجلى يوم ميلاد جماعة الإخوان المسلمين حيث أنشأ البَنّا قائلاً: «وفي الإسماعيلية وضعت أول نواة تكوينية للفكرة، وظهرت أول هيئة متواضعة نعمل ونحمل لواءها نعاهد الله على الجندية التامة في سبيلها تحت اسم (الإخوان المسلمون) »[٢].

والتي كانت وقبل كل شيء ثورة على كل مظاهر الفسق والتحلل، فيندفع المؤمن بفطرته السليمة، وطبيعته المستقيمة تحت لوائها حيث ظهرت -دعوة الإخوان- في ثنايا هذه السحب المتراكمة جميعاً، فلمعت كما يلمع البرق الوامض، ثم أنارت كما تنير الشمس المشرقة، تبعث في القوم النور والحياة واليقظة بعد طول نوم وخمود![٣].

فكانت بحق ميلاداً جديداً للحركة الإسلامية، وتجديداً كاملاً للإسلام، فهي الحركة التي استشرفت إحياء الإسلام كله، واستشرفت أوضاع المسلمين محاولة إنقاذها، واستشرفت أوضاع العالم عارفة أدواءه وصحته آخذة محلها فيه.

وقد وجدت قبل هذه الحركة حركات إسلامية محلية، أو حركات إسلامية تلتزم التذكير ببعض معان في الإسلام، وولدت هذه الحركة إسلامية شاملة عالمية[٤].

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٦٣-٦٤.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٣٢.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٥٥٦.

(٤) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر- سعيد حوّى ص ٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد تلك الجولة في واقع الحياة العلمية في العصر الذي حمل به الإمام البَنّا (رحمه الله) لواء الدعوة، واقعاً يعكس ما أحدثه الغزو الفكري من اختراق للعقل المسلم مستهدفاً ما يؤمن بـــه من عقائد راسخة ومبادئ ثابتة، وما نتج من التحدي الذي تصدر لـــه شـــبابٌ يـــافع، وعلمـــاء مخلصون، أجرى الله على أيديهم قدره الغالب، مع قلتهم وضعف عدتهم المادية، ولكنها سنة الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، تلك الفئة بقيت ثابتة يحدوها الأمل بالله، والثقة بنصره؛ فلم تنزو هاربة، أو تقع غارقة أمـــام تلـــك الحالـــة المتردية!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

الحياة الاجتماعية والدينية

نظراً لتداعي الخلافة في الدولة العثمانية، وقيام أول نظام علماني في بلد مسلم بقيادة كمال أتاتورك فقد كان لذلك آثاره البعيدة على البلاد الإسلامية، وظهر لهذا النظام أتباع ودعاة في مصر والبلاد العربية يتحدثون عن التحرر من اللغة العربية والقرآن، والتعليم الديني، ومختلف مفاهيم القيم الاجتماعية والأخلاقية، وبدا أعداء الإسلام في مصر وغيرها يعملون على ضرب القيم الأساسية، وكان بيدهم أدوات كاملة من الصحافة، والندوات والمعاهد وكان للتبشير ومؤسساته أبلغ الأثر في إحداث أخطار أصيبت بها بعض الأسر، التي أحدث بها المبشرون آثاراً خطيرة، كخطف أبنائهم وتنصيرهم [١].

وجاء القرن الرابع عشر الهجري ووضع المسلمين على غاية من الضعف والانهيار والتمزق، وبينما كان المجتمع الغربي يسير صاعداً نحو تقدم مدني، وقوة مادية متنامية، كان العالم الإسلامي يجد نفسه عاجزاً لعوامل متعددة أكثرها داخلي وبعضها خارجي، وعقب الحرب الأولى(١٩١٤ – ١٩١٨)، وفي هذه الفترة اشتد تيار موجة التحلل في النفوس وفي الآراء والأفكار باسم التحرر العقلي، ثم في المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصي، فكانت موجة إلحاد وإباحية قوية جارفة طاغية، لا يثبت أمامها شيء، تساعد عليها الحوادث والظروف[٢].

وظهرت كتب وجرائد ومجلات كل ما فيها ينضح بفكرٍ لا هدف له إلا إضعاف أثر أي دين، أو القضاء عليه في نفوس الشعب، وجهزت "صالونات" في كثير من الدور الكبيرة الخاصة في القاهرة يتطارح فيها زوارها مثل هذه الأفكار، ويعملون بعد ذلك على نشرها في الشباب وفي مختلف الأوساط [٣].

وكان من مظاهر الانحطاط الذي منيت به الحياة الاجتماعية والدينية في عصره؛ انتشار السفور للنساء، فوصف ذلك بقوله: «أما الذي عليه المرأة الآن من غشيان الحفلات ودور السينما والتمثيل، وشواطئ البحار وما إليها عارية متهتكة، فهو أمر لا يعرفه الإسلام ولا يرضاه

---

(١) انظر: انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي– ص٤٧٥.

(٢) انظر: مذكرات الدعوة والداعية– الإمام حسن البَنّا ص٦٥.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدين، فمهمة المرأة أن تكون زوجة صالحة، وأماً صالحة تلتزم بيتها، وتدبر شئون منزلها، وتصلح من شأن زوجها وأولادها»[١].

أما المستوى المعيشي: فقد وصل الحال في مصر من انحدار نتيجة النهب المستمر لثروات البلاد على يد المستعمر الغاصب عبر شركاته وشركائه، إلى حالٍ يشخصه البَنّا بقوله: «إن أكثر من ٦٠% من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان، ولا يحصلون علي القوت إلا بشق الأنفس، وإن مصر مهددة بمجاعة قاتلة، وإن مصر بها أكثر من ٢٣٠ شركة أجنبية تحتكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة في جميع أنحاء البلاد، وإن دولاب التجارة والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها في أيدي الأجانب المرابين، وإن الثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدي الوطنيين إلى أيدي هؤلاء»[٢].

ويضيف قائلاً: «وإن مصر لا زالت إلى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها إلى الخمس بما في ذلك أكثر من مائة ألف شخص لا يتجاوز تعليمهم برامج مدارس الإلزام، وإن الجرائم تتضاعف في مصر وتتكاثر بدرجة هائلة حتى أن السجون لتخرج أكثر مما تخرج المدارس، وهذه المعاني والصور تتراءى في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي، فمن أهدافكم أن تعملوا لإصلاح التعليم ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة، وتكوين مجتمع نموذجي منتسب إلى شريعة الإسلام»[٣].

وقد بلغ الجهل بالإسلام مبلغاً وصفه الإمام البَنّا (رحمه الله) ما يقوله أعداء الإسلام بحقه: «ومن العجيب أن كثيراً من بلاد العلم والنور كما يزعمون، والتي غاصت في أعماق البحار، لا زالت تغوص على كل شيء، يجهلون حقيقة الإسلام، فيقولون عنه كلاماً لا يقوله الأطفال يقولون: إن المسلمين وثنيون يعبدون محمداً، ويطوفون حوله في مكة، ويصلون له، كل ذلك أيها الإخوان نتيجة الدعاية الكاذبة، والافتراءات الباطلة، حتى وصل الأمر إلى أن رأينا جماعة خلعت الإسلام من عنقها، ونزعته من قلوبها ونادت على نفسها بأنها دولة لا دينية، ورأينا آخرين يحاربون الفكرة الإسلامية، فمنهم من يفكر في حذف المادة- دين الدولة

(١) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٣٧٠.
(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٥٢٦.
(٣) انظر: المصدر السابق ص٥٢٦-٣٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلامية- من الدستور، ومنهم من يعمل على موت القضاء الشرعي»[١].

وتوالت بذلك المصائب تترا على أمتنا احتلال أجنبي عسكري وسياسي، وسيطرة القانون الوضعي، وحجب الشريعة الإسلامية، والذي بدأ منذ قامت المحاكم المختلطة وسيطرة القانون الوضعي على النحو الذي أوقع المجتمع في أزمات خطيرة؛ فسقط المجتمع في أزمات التحلل والفساد، واضطراب الأسرة، وكان للغزو المسرحي والفني بالرقص والغناء، والفنون والإباحيات المكشوفة أثره الخطير في فساد المجتمع، وكان كذلك للمناهج أثرها العميق على الحياة الاجتماعية والدينية، فمدى الاضطراب الذي أصاب الحياة الاجتماعية نتيجة المناهج التعليمية المضطربة، التي قام بها (دنلوب)[٢] والتي صاحبتها معاهد الإرساليات والتبشير على النحو الذي فرغ هذه البرامج من المفاهيم الإسلامية الصحيحة وقيامها على فهم ضئيل لبعض آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، بغية حجب النظام العلماني الشريعة والقيم الإسلامية، وكان التركيز كله في الحديث عن الإسلام على أنه دين عبادي لاهوتي مستمد من المفاهيم الغربية للدين، وبعيد عن حقيقة الإسلام من حيث إنه منهج حياة ونظام مجتمع، وإنه يقدم تصوره الكامل في مختلف مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب والفن[٣].

واتجاه ذلك وقف الإمام البَنّا (رحمه الله) محذراً من الانغماس في مفاتن الحضارة الغربية بما يفقدنا هويتنا، فيقول: «إن الحياة الغربية بما تحتويه من مباهج ومفاتن، وبما لها من مظاهر القوة المادية تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقي لنا من شؤوننا الحيوية، هذا وضع مشاهد ملموس يراه ويعلمه كل ما يعنيه أمر هذه الأمة، ولا بد أن ينتهي هذا التذبذب إلى استقرار فلكل شيء نهاية!»[٤].

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص ٤٦٧.

(٢) القس المبشر دوجلاس دنلوب قد عين سكرتيرًا عموميًا للمعارف سنة ١٨٩٧ ثم مستشارًا سنة ١٩٠٦، ويعد «دنلوب» واضع المخطط الأساسي لتغريب التعليم والتربية وإقصاء الإسلام عن برامج التعليم في المدرسة المصرية، فخلق طبقة من المتفرنجة الذين ينكرون الدين والخلق معًا (الإلحاد والإباحية)، وقد قام دنلوب بدور كبير في تعميق مخطط التغريب وهدم مقومات الفكر الإسلامي. [انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام- سيد ابن حسين بن عبد الله العفاني ج٢ ص٤٢٩، ومقدمات العلوم والمناهج- أنور الجندي ج ٦ ص٣١٩-٣٢٠].

(٣) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٤٧٥.

(٤) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودعا إلى عودة مصر إلى تعاليم الإسلام وقواعده، وتعتمد عليها وتستمد منها وتبني على أساسها النهضة الجديدة وتركز عليها الأوضاع الاجتماعية[١].

وقابل ذلك الواقع الاجتماعي المتدهور، والغزو الديني ردود فعل متعددة، ووجدت من قبل ومن بعد تحركات كثيرة، ومن بين هذه التحركات كانت حركة الإمام البَنّا (رحمه الله) التي ركزت جهودها على ما به تهزم الردة فكرياً، وقد نجحت بفضل الله عز وجل في ذلك أيما نجاح وكان من آثار ذلك عودة أجيال إلى الإسلام بعد ردة عريضة عنه.

فواجه الإمام البَنّا (رحمه الله) هجمتين: هجمة من الذين لا يستشرفون الإسلام كله ولا أوضاع المسلمين، ولا أوضاع العالم ممن هم في الأصل وراث دخن أو أنهم جاهلون، وهجمة من الذين يشككون في التراث كله، وقد ساءهم أن هذه الحركة لا تغلو غلوهم فتنسف التراث بحجة دخن ما موجود فيه [٢].

فسلك طريقاً شعبيًا يكفل العصبة المؤمنة، وطريقة تعليمية تنشر العقيدة المسلمة، والفهم الصحيح الشامل للإسلام ونظامه، وأخذ يكافح في سبيل ذلك كفاحاً أدهش الجميع، حتى ركز للإسلام مكانته في المجتمع، وكل ذلك بتلك البساطة المعجزة في اقناعها، وبذلك الأسلوب الممتع في سهولته، وبذلك المنطق الذي أرضى العامة والخاصة، وبتلك الروح الإنشائية التي تهدف إلى المبادئ الأساسية للإسلام؛ فتركزها وتبعد عن الخلافات الفرعية.

فأقام المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية حتى اكتسب ثقة الجميع ومحبتهم، وكون بتلك المجموعة من الشباب المؤمن التي كافحت ولا تزال في سبيل استخلاص الحقوق الوطنية، وإنقاذ الكرامة العربية والإسلامية وشهد لها الأعداء والأصدقاء.

ثم اتجه اتجاهاً علمياً في إصلاح نواحي المجتمع: الصحية، والتربوية باسم الإسلام، حتى عادت الثقة شيئاً فشيئاً إلى النفوس، وترعرعت نبتة الإيمان الكامنة في القلوب، ووصل الناس إلى مرحلة من فهم الإسلام الكامل الشامل كما يفهمه الإخوان وكما كان في عهود الصدر الأول للإسلام، وهكذا أدى الرجل رسالته حتى قضى وقد خلف من بعده جيلاً من الإيمان يسعى

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص ٤٩٨.

(٢) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر– سعيد حوّى ص ٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على الأرض تحوطه ظلال الوحي وأنوار النبوة الكريمة وأمثلة حية للرجولة المؤمنة والكفاح المجيد[١].

ونأى بنفسه وأتباعه عن التورط في دائرة الجدال العقيم الذي كان دائراً بين الجماعات الإسلامية، فقال: «ولم نخرج من الدرس إلا ونحن متعاهدون على أن تكون وجهتنا التعاون وخدمة الإسلام الحنيف، والعمل له يدً واحدة، وطرح معاني الخلاف، واحتفاظ كل برأيه فيها حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً، بعيداً عن الجو الخلافي تثبيتاً لحق الإخاء في النفوس، كما أختار معنى من معاني الخلافيات، التي لم تكن محل جدل بينهم والتي هي موضع احترام الجميع وتقدير الجميع، أطرقه وأتخذ منه مثلا لتسامح السلف الصالح رضوان الله عليه، ولوجوب التسامح واحترام الآراء الخلافية فيما بيننا»[٢].

أما عن موقف الأزهر وعلماء الدين في هذه القضية فقد كان ضعيفاً، ولقد استطاعت القوى الإسلامية أن تتجمع في صورة تشكيل جمعيات عديدة كثيرة، غير أن الأستاذ البَنّا أراد أن يواجه الأمر بأسلوب جد مختلف، وإن كان قد بدأه في نطاق الجمعيات الإسلامية، غير أنه ركز ولأول مرة في تاريخ حركة اليقظة الإسلامية على التربية الإسلامية، وبناء الشباب، وتجميع القوى، لتكوين رأيٍ عامٍ يمكن أن يحقق هدف الإسلام عن طريق مشروع[٣].

فقد كان أسلوب الدعوة التي حمل لواءها الإمام البَنّا (رحمه الله) له مظهر خاص وطبيعة مختلفة فهو لم يبدأ في المسجد إنما بدأ من المقهى، وهكذا كان قدر الله أن يكون فجر الدعوة مشرقاً وضاءاً في يدي رجل مؤمن عميق الإيمان فصيح بالغ الفصاحة، قوي الحجة، قادر على الإقناع، قريب إلى نفوس الناس على نحو لم يتكرر كثيراً، مؤمن بأن دعوة الحق في كل زمان ومكان لا بد أن تجد لها من المعارضين والمناوئين من يقف في طريقها ويعمل على معاكستها وإحباطها، ولكن النصر لها في النهاية سنة الله، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣) [٤].

---

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص١٩.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٨٤- ٨٦.

(٣) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٣٢.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٣٩-٤٠-٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بهذه الروح الوثابة وقف الإمام البَنّا (رحمه الله) ينافح عن الإسلام في وجه أعاصير التغريب العاتية فقال: «إن أمتنا المصرية بل الإسلامية بما تقلبت فيه من أطوارٍ، وما مر عليها من حوادث سياسية واجتماعية استبدت بدينها وأخلاقها، فتركتها كالمعلقة، فأنت أينما وجهت وجهك لا تجد إلا فساداً ظاهراً، وتهتكاً مزرياً بل الفوضى في العقائد، والتخبط في الآراء والمذاهب، إلى من يتهجم على عامتنا فيخرجهم من دينهم، ويسرق منهم إيمانهم من مرتزقة التبشير وما إليه.. تسير في الشارع فترى ما يؤذي ويؤلم، وتستعرض حياة الأسرة فنجد ما يمض ويؤسف، وتولي وجهك شطر المدارس ومعاهد العلم فتلقى ما يزري ويخجل، وقل مثل ذلك في كل مرافقنا وشؤوننا، حتى لقد أصبح الداء عاماً يئن تحته الفرد والجماعة»(١).

ثم يصور ما ينفثه بعض كتَّاب ذلك العصر من سموم في كتابات لا يقصد منها إلا التغرير بالعامة وفتنتهم في دينهم: «ولا يغرنك قوم من الكتاب يقولون: هذا عصر مدنية وتجديد، ورقي في المدارك والأفكار، وثقافة حرة، وحرية شاملة، شخصية وغير شخصية وغير ذلك من الألفاظ التي يخدعون بها البسطاء»(٢).

وفي مواجهة تلك الموجه من المسخ الثقافي والحضاري الذي جاءت به رياح التغريب تحمل إلينا من الحضارة الغربية مرها دون حلوها؛ فإنَّ أهم إصلاح تقوم به هو علاج الأمة في روحها وأخلاقها وعقيدتها التي هي مبعث أعمالها.

وفي هذا الإطار حثَّ الإمام البَنّا (رحمه الله) الحكومة للقيام بواجبها تجاه أمتها وشعبها في مواجهة الغزو الفكري التغريبي الغاشم، فيقول: «أمام الحكومة تعميم التعليم الديني، ومكافحة المجلات الهازلة، وأماكن اللهو الخليع، والقمار المخرب، والضرب على أيدي دعاة الإباحة أشباه الملحدين، وأدعياء الفلسفة الكاذبة، الذين يخرجون الأمة من أقدس مشاعرها»(٣).

ثم يشخص العلة التي تعاني منها أمتنا، بقوله: «فالأزمة أزمة مبادئ وعقائد ونفوس وأرواح: أزمة إيمان، لو آمن الناس برقابة الله تبارك وتعالى وإطلاعه عليهم ونظره إليهم،

---

(١) انظر: مجلة الفتح، أول مقال كتبه الأستاذ البَنّا (١٤) يونيو ١٩٢٨م يكشف عن فهمه للإسلام وخطته في العمل على النحو الذي نفذه بدقة. نقلاً عن كتاب حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٥٠٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٥٠٤.

(٣) انظر: المرجع نفسه ص٥٠٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستقرت في نفوسهم معرفة الله العلي الكبير لألهمهم هذا الإيمان يقظة في الضمير، وحياة في الشعور»[1].

وخاض معركة تنقية المجتمع الإسلامي من الدخيل الذي أقام فيها الثنائية والتعددية بين روح الإسلام وبين الروح المادية الإلحادية روح اللذة والشهوة التي تميزت بها الحضارة الغربية[2].

وبهذا الجهد المشكور للإمام البَنّا (رحمه الله) تجلى المشروع الحضاري الذي نادى به، ليتفوق في هذا الميدان على كل الأحزاب والجماعات والجمعيات التي عاصرته، بل وسبق كل علماء الاجتماع وحتى تيارات الاشتراكية في معالجة معضلات الفقر ومآس النهب والاستغلال سواء من الاستعماري الأجنبي أو الذي يمارسه المستغلون الوطنيون!

(١) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص:٥٠٤، ٥٠٥.

(٢) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص:٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

حياة الإمام حسن البنّا واستشهاده

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته.

المطلب الثاني: شيوخه وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: مكانته السياسية.

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: استشهاده.

www.manaraa.com

المطلب الأول

نسبه ومولده ونشأته

أولاً: نسبه: هو الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البَنّا «الساعاتي»، ولد يوم الأحد ٢٥ من شعبان ١٣٢٤هـ ١٤/١٠/١٩٠٦م في قرية «المحمودية»، بمحافظة البحيرة (شمال مصر)، التي انتقل إليها والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البَنّا مع أسرته، وافتتح فيها محلاً لإصلاح الساعات، نشأ الإمام البَنّا (رحمه الله) في بيت علم وفضل، فوالده هو الشيخ «أحمد عبد الرحمن البَنّا الساعاتي»[١].

أما عن حب والده وتقديره له (رحمه الله) فحديثه عنه وكأنه يتكلم عن أستاذ من أساتذته، لا عن ابن من أبنائه، وذلك لما لاحظه عليه من النجابة والذكاء والصلاح والاستقامة والزهد في الحياة والدعوة إلى الله، والاهتمام بشؤون المسلمين.

وأما أمه فهي أم السعد إبراهيم صقر، اتصفت بالذكاء وحسن التدبير، يقول عنها أصغر أبنائها جمال البَنّا: كانت والدتي يرحمها الله تتصف بالعناد في الحق، وقوة الشخصية، وكانت على جانب كبير من الذكاء، وإذا انتهت إلى قرار، فمن الصعب التنازل عنه.

وفي هذا الجو العلمي العبق بالحديث النبوي، عاش الإمام البَنّا (رحمه الله) منذ أيامه الأولى وهو يمضي إلى الكُتَّاب في (المحمودية) ليحفظ القرآن الكريم قبل المدرسة الإعدادية ومدرسة المعلمين الأولية بدمنهور[٢].

أدرك الشيخ – والده العلامة أحمد البَنّا– الأهمية الإيجابية للاختلافات الفقهية بين أصحاب المذاهب المتعددة، وقد انعكس ذلك في تدبره لتثقيف أبنائه، وتفقههم في الدين؛ إذ جعل كل واحد

---

(١) الشيخ أحمد عبد الرحمن البَنّا عالم محقق، إمام عصره في علم الحفظ والرواية والحديث والمعرفة بأصول الضبط والتقييد والإجازة، أحد جهابذة الأزهر وشيوخه الأوتا وتعلم إصلاح الساعات، وأصبحت بعد ذلك حرفة له وتجارة، ومن هنا جاءت شهرته بالساعاتي، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، عظيم الهمّة، يقظاً، ملتزماً أعلى درجات الدقة والصرامة، وإتقان العمل، ورتب مسند الإمام أحمد بن حنبل، وخرَّج أحاديثه، وشرح ما يحتاج إلى بيان، وسمّاه (الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) في اثنين وعشرين جزءاً كبيراً، وهو من أكبر مدوّنات الحديث عن رسول الله ﷺ، حيث اشتمل على ثلاثين ألف حديث تقريباً، ومختصره، و» بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني)، وله (منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م)، و(بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م). [الأعلام: خير الدين الزركلي ج٢ ص١٨٣].

(٢) انظر: الأعلام: خير الدين الزركلي، ذكر فيما سبق ج٢ ص١٨٤، وحسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد: أنور الجندي ص٤٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهم يدرس ويتمذهب على مذهب من المذاهب الفقهية، فكان المذهب الحنفي من نصيب (حسن)، والمالكي من نصيب (عبد الرحمن)، والحنبلي من نصيب (محمد)، الشافعي من نصيب (جمال)، وكانوا يتلقون دراستهم في المنزل، ولم يمنعه ذلك من أن يدفع بهم إلى المدارس المدنية الحكومية، ليتلقوا تعليمهم وفقاً للمناهج الدراسية الرسمية، وكان يحثّهم على حفظ القرآن، وحفظ المتون في فروع العلوم الشرعية، ويشجعهم على قراءة الكتب واقتنائها، وعلمهم صنعة الساعات وحرفة تجليد الكتب[١].

للإمام البَنّا أربعة أشقاء ذكور، وثلاث شقيقات إناث، «عبد الرحمن» عام ١٩٠٨م، قيادي ومن الرعيل الأول للإخوان وكان عضو بمكتب الإرشاد ثم «فاطمة» زوجة الأستاذ «عبد الحكيم عابدين»، ثم «محمد» (توفي عام ١٩٩٠م)، ثم «عبد الباسط» (كان ضابطاً بالجيش المصري)، ثم استقال، وتوفي ودُفن بالمدينة النبوية، ثم «زينب» (توفيت بعد ولادتها بعام)، ثم «أحمد جمال الدين» (جمال البَنّا حالياً) مفكر ليبرالي، ولد سنة ١٩٢٠م في المحمودية بمحافظة البحيرة بمصر[٢]، وأصغر شقيقاته «فوزية»، زوجة الأستاذ عبد الكريم منصور، رفيق الإمام «البَنّا» وقت اغتياله[٣]. وأنجب ست بنات هن (وفاء، سناء، رجاء، صفاء، هالة، واستشهاد) توفيت صفاء في حياته وولدين أحمد سيف الإسلام ومحمد حسام الدين توفي في حياته[٤].

ثانياً: طفولته وشبابه: استغراق الإمام البَنّا (رحمه الله) في تلك المرحلة من حياته في عاطفة التصوف الذي شكّل في شخصيته سمات واضحة من الزهد والتجرد، صاحبته في كل مراحل حياته اللاحقة، فقال واصفاً أيام دمنهور، ومدرسة المعلمين بقوله إنها كانت «أيام الاستغراق في عاطفة التصوف والعبادة»[٥].

---

(١) انظر: مقال للشيخ عبد الله العقيل، موقع الشرق١/ ١/٢٠٠٩م.

(٢) لجمال البَنّا العديد من الآراء الفقهية التي تخالف آراء العديد من علماء المسلمين؛ فهو يرى في أن المرأة لها حق الإمامة من الرجال إذا كانت أعلم بالقرآن، كما يذكر جمال البَنّا بأنه لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته منفرداً، وذلك كونه تزوج منها بصفة رضائية وبالتالي يتوجب الطلاق رضا الطرفين واتفاقهما لكي يتم الانفصال. [انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا ttp://ar.wikipedia.org].

(٣) انظر: مقال للشيخ عبد الله العقيل، موقع الشرق١/ ١/٢٠٠٩م.

(٤) «سناء» كريمة الإمام البَنّا في أول حديث صحفي عن والدها، إخوان أون لاين، ١ نوفمبر ٢٠٠٦م [ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ttp://ar.wikipedia.org].

(٥) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البَنّا، ص٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلم يأخذ الإمام البَنّا (رحمه الله) التصوف مأخذاً عاماً، وإنما فهمه أسلوباً لبناء الشخصية ومنهجاً للتربية، فقال عنه: «طريق يتلخص في الإخلاص والعمل، وصرف القلب عن الاشتغال بالخلق خيرهم وشرهم»[١]. وقال: «كانت لنا أيام ننذر فيها الصمت والبعد عن الناس، فلا يتكلم أحدنا إلا بذكر أو قرآن، وكنا نفعل هذا الصمت تأديباً للنفس وفراراً من اللغو وتقوية للإرادة حتى يتحكم الإنسان في نفسه ولا تتحكم فيه» [٢].

إلا أن حب الوطن وعمق الانتماء إليه كان يخرجه من استغراقه؛ فيشارك في المناسبات الوطنية مترئساً زملاءه الطلاب في الأنشطة الوطنية، فقال: «وقد أعقبت الثورة المصرية مباشرة (الثورة العرابية) من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٣م.. ولم تخل من مشاركة فعلية في الواجبات الوطنية التي ألقت على كواهل الطلاب»[٣].

فقد كانت كل مقومات الزعامة والقيادة متوفرة لديه، ففي مدرسة الرشاد الإعدادية كان متميزًا بين زملائه، ومرشحًا لمناصب القيادة بينهم، حتى أنه عندما تألفت «جمعية الأخلاق الأدبية» وقع اختيار زملائه عليه ليكون رئيسًا لمجلس إدارة هذه الجمعية. غير أن تلك الجمعية المدرسية لم ترض فضول هذا الناشئ، وزملائه المتحمسين، فشكلوا جمعية أخرى خارج نطاق مدرستهم، سموها «جمعية منع المحرمات» وكان نشاطها مستمدًا من اسمها، عاملاً على تحقيقه بكل الوسائل، وطريقتهم في ذلك هي إرسال الخطابات لكل من تصل إلى الجمعية أخبارهم بأنهم يرتكبون الآثام، أو لا يحسنون أداء العبادات.

ثم تطورت الفكرة في رأسه بعد أن التحق بمدرسة المعلمين بدمنهور، فألف «الجمعية الحصافية الخيرية التي زاولت عملها في حقلين مهمين هما:

الأول: نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المنكرات والمحرمات المنتشرة.

الثاني: مقاومة الإرساليات التبشيرية التي اتخذت من مصر موطنًا، تبشر بالمسيحية في ظل التطبيب، وتعليم التطريز، وإيواء الطلبة[٤].

ولعل أبرز مفاتيح حياته نشأته في إطار هذا المفهوم الجامع القائم على الاتجاه نحو الله والعمل لدعوته، ذلك التخفف من مطامع الحياة يقول: «كنت أقول لنفسي دائماً: لماذا تريد أن

---

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية: حسن البَنّا، ص٧٢.

(٢) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد: أنور الجندي، ص٢٦.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية: حسن البَنّا، ص٣٢.

(٤) من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تدخل دار العلوم؟ هل للجاه وللتكاثر بالعلم والمعرفة، لتنافس العلمـــاء أو تمـــاري الجهـــلاء، أو تستعلي على الناس بالحق، وأول من تسعر به النار يوم القيامة من تعلم لغيـــر الله ولـــم يعمـــل بعلمه»[1].

وبعد بيان تلك الصفحات المشرقة من تاريخ نشأ الإمام حسن البنا، وما بها من محطـــات كان لها أعظم الأثر في تكوين شخصيته التاريخية الفذة، تفتح صفحات مميـــزة وزاهـــرة حـــول دراسته وطلبه للعلم ورصيده الضخم من التراث الإسلامي في مختلف فروعه فقهاً وأدباً ونحـــواً وبلاغة وبياناً.

(١) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

شيوخه وطلبه للعلم

كان الإمام البَنّا (رحمه الله) يسنده ظهير كبير من سعة المعلومات، فحيثما وجهت طرفك لأي مجال من مجالات الحياة سواء كان في ميادين الاقتصاد أوالسياسة أوالقانون أو الفقه أوالتاريخ أوالتصوف، أو الإدارة والشركات والمشاريع، أو في الصحافة والطباعة والتوزيع، وجدته دارساً فاهماً.

فقد تتلمذ على أيدي أساتذة كرام في الفكر والأدب والعقيدة واللغة، ومن الأساتذة الذين أخذ عنهم البَنّا: أولهم والده الشيخ أحمد البَنّا، والشيخ محمد زهران[1]، ومنهم أيضاً الشيخ طنطاوي جوهري[2] صاحب تفسير القرآن «الجواهر»، ورأس تحرير أول جريدة أصدرها الإخوان المسلمون سنة ١٩٣٣م، وغيرهم[3].

أما من ناحية التكوين الثقافي والفكري الذي أرسى هذه المفاهيم، فإنَّ الإمام البَنّا (رحمه الله) قد أثرى ثقافته من قراءاته الواسعة، وقد أشار إلى أن إقباله على التحصيل والدرس خارج حدود المناهج المدرسية إنما كان مرده أمرين:

---

(١) محمد زهران صاحب مدرسة الرشاد الدينية، وإن كانت دراسته النظامية لم تصل به إلى مرتبة العلماء الرسميين، فإن ذكاءه واستعداده وأدبه وجهاده جعله يسبق سبقاً بعيداً في المعارف وفي الإنتاج العام. كان يدرس العامة في المسجد ويفقه السيدات في البيوت. وأنشأ مع ذلك مدرسة الرشاد الدينية في سنة ١٩١٥ م تقريباً؛ لتعليم النشء على صورة كتاتيب، ولكنها في نهج المعاهد الرائعة التي تعدُّدار علم وعمل. وكان يصدر مجلة» الإسعاد» الشهرية. [مذكرات الدعوة والداعية ص٤١- ٤٨].

(٢) طنطاوي بن جوهري المصري (١٢٨٧- ١٣٥٨ هـ = ١٨٧٠- ١٩٤٠ م) : فاضل، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة. ولد في قرية عوض الله حجازي، من قرى (الشرقية) بمصر، وتعلم في الأزهر مدة، ثم في المدرسة الحكومية. وعني بدراسة الانكليزية. ومارس التعليم في مدرسة دار العلوم، وألقى محاضرات في الجامعة المصرية. وناصر الحركة الوطنية، فوضع كتاباً في (نهضة الأمة وحياتها- ط) نشره تباعاً في جريدة اللواء وانقطع للتأليف، فصنف كتباً أشهرها (الجواهر في تفسير القرآن الكريم- ط) في ٢٦ جزءًا، وجعل لسائر كتبه عناوين ضخماً، وأكثرها رسائل، منها: (جواهر العلوم- ط) و (النظام والإسلام- ط) و(التاج المرصع- ط) و(الزهرة- ط) و(نظام العالم والأمم- ط) و (الأرواح- ط) و (أين الإنسان- ط) و (أصل العالم- ط) و (جمال العالم- ط) و (الحكمة والحكماء- ط) و (سوانح الجوهري-ط) و (ميزان الجوهر- ط) في عجائب الكون، و (الفرائد الجوهرية في الطرق النحوية- ط) و (بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية- ط) وتوفي بالقاهرة. [الأعلام للزركلي (٣/ ٢٣٠،٢٣١].

(٣) انظر: حياة رجل وتاريخ مدرسة- أنور الجندي ص٨٨. مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا، ص١، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر الأول: مكتبة الوالد وتشجيعه إياه على القراءة والدرس، وإهداؤه إياه كتباً احتفظ ببعضها وعاود قراءتها، وكان لها أثرها العميق، ومنها: الأنوار المحمدية للنبهاني، وهو مختصر المواهب اللدنية للقسطلاني، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ الخضري، وقد دعاه هذا إلى تكوين مكتبة خاصة فيها مجلات قديمة وكتب متنوعة، حيث كان ينتظر الشيخ حسن الكتبي يوم السوق بفارغ الصبر، ليستأجر منه كتباً كل أسبوع لقاء مليمات زهيدة، ثم يردها إليه ليأخذ غيرها.

والأمر الثاني: هو أن مدرسة المعلمين قد جمعت نخبة من فضلاء العلماء، لذلك قال عن أثر تلك العوامل: «كان لهذه العوامل أثرها في نفسي، فحفظت وأنا في هذه المرحلة من التعليم خارج المناهج الدراسية كثيراً من المتون في العلوم المختلفة، فحفظت ملحة الإعراب للحريري، ثم الألفية لابن مالك والبيقونية في المصطلح، والجوهرة في التوحيد، والرحبية في الميراث وبعض متن السلم في المنطق، وكثيراً من متن القدوري في فقه أبي حنيفة ومن متن الغاية والتقريب لأبي شجاع في فقه الشافعية، وبعض منظومة ابن عاشور في مذهب المالكية، ولست أنسى أبداً توجيه الوالد لي بالعبارة المأثورة: (من حفظ المتون حاز الفنون) ولقد كان أثرها في نفسي عميقاً إلى درجة أني حاولت حفظ متن الشاطبية في القراءات مع جهلي التام بمصطلحاتها، وحفظت مقدمتها فعلاً، ولا زلت أحفظ بعضها إلى الآن»[1].

ولعل أبرز مفاتيح حياة الإمام البَنّا (رحمه الله) في نشأته في إطار هذا المفهوم الجامع القائم على الاتجاه نحو الله والعمل لدعوته، ذلك التخفف من مطامع الحياة.

هكذا كان الإمام البَنّا (رحمه الله) يناجي نفسه في هذه الفترة من العمر، ويتحرز من حظ التظاهر بالعلم وألقابه. وبعد أخذ ورد وحوار عميق، وصراع طويل بين حظوظ النفس وحبه للتعلم، كانت رحلته إلى القاهرة لدخول مدرسة (دار العلوم) حيث أمضى في الأزهر الشريف أسبوعاً واحداً، معتكفاً يستذكر مواد الامتحان فيما بين الكشف الطبي، وامتحان القبول لدار العلوم عام (١٩٢٣)، حتى أتم الدراسة في الحادية والعشرين عام من عمره (١٩٢٧م)، حيث عين مدرساً بمدرسة (الإسماعيلية)، وتسلم عمله يوم ٢٠ سبتمبر (١٩٢٧م)، فقد قال: «إن هذا الرأي في العلم والشهادات كان أثراً من آثار مطالعتي للإحياء، لقد كنت محباً للعلم حباً جماً

(١) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا، ص٤٤، انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٣٢-٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكنت شديد الميل إلى القراءة والاستزادة من العلم، وكنت مؤمناً بفائدة العلم للفرد وللجماعة ووجوب نشره بين الناس، ولكنه كان في النفس خوف من الظهور والشهرة والاستعلاء بالعلم»[1].

أما عن الإطلاع والبحث، فقد كان شغله الشاغل في حضور مجالس العلم، وقراءة كتاب الإحياء قبل صلاة الفجر، ومناقشته الأساتذة، والقراءة لشيخه في مكتبته وحضور مجالس والده في دكان الساعات أو في البيت ومراجعة مكتبته العامره وفي ذلك يقول: «كنت أنزل من قطار الدلتا (يوم الخميس عائداً من دمنهور) إلى الدكان مباشرة، فأزاول عملي في الساعات إلى قبيل المغرب، حيث أذهب إلى المنزل لأفطر، إذ من عادتنا صوم الاثنين والخميس، ثم إلى المسجد الصغير بعد ذلك للدرس والحضرة، ثم إلى منزل الشيخ للمدارسة والذكر، ثم إلى المسجد لصلاة الفجر، وبعد ذلك استراحة يعقبها الذهاب إلى الدكان وصلاة الجمعة والغذاء والدكان إلى المغرب، فالمسجد فالمنزل، وفي الصباح إلى المدرسة.

ويقول البَنّا في ليلة الجمعة بعد الحضرة نتدارس كتب التصوف مع الإحياء، وجامع أصول الأولياء والياقوت والجواهر وغيرها ونذكر الله إلى الصباح، وكانت تلك من أقدس مباهج حياتنا.

وهكذا نرى الدعائم الثلاث متداخلة لتكوين شخصية هذا الداعية الشاب، وصورة عمله خلال الإجازة الصيفية على هذا النحو: مذاكرة في الإجازة صباح كل يوم من طلوع الشمس تقريباً إلى الصحوة الكبرى مع أستاذنا (محمد خلف نوح) في منزله حيث بدأنا بألفية ابن مالك نحفظها معاً، ونقرأ عليها شرح ابن عقيل، ونتدارس معها كتباً أخرى في الفقه والأصول والحديث، وكنا نطلب العلم لمجرد العلم.

فكانت حياتي في القاهرة خليطاً عجيباً من الحضرة في منزل الشيخ أو منزل علي أفندي غالب، إلى «المكتبة السلفية» حيث السيد محب الدين[2]، إلى دار المنار والسيد رشيد، إلى منزل الشيخ

---

(١) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٤٤.

(٢) محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب، ولد بدمشق في حي القيمرية في تموز ١٨٨٦، وبها تلقى علومه الأولية والثانوية، انتقل محب الدين إلى الأستانة وهناك التحق بكليتي الآداب والحقوق معاً، غادر محب الدين دمشق واستقر في القاهرة، حيث عمل في التحرير في جريدة الأهرام نحواً من خمس سنوات، كما أسس المكتبة السلفية ومطبعتها حيث أشرف بنفسه على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها، وأصدر أيضاً مجلة (الزهراء) وهي مجلة أدبية اجتماعية شهرية دامت خمس سنوات، ثم تولى تحرير مجلة (الأزهر) مدة ست سنوات. وهكذا قضى=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدجوي، ثم منزل فريد بك وجدي، ودار الكتب أحيانا، ومسجد شيخون أحياناً أخرى، ويقول واصفاً جولاته في المناظرة والنقاش: «ولست أنسى مناقشاتي الطويلة مع أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو علام، أستاذ الشريعة والتفسير والحديث في المدرسة، حول ما يثار من اعتراضات على الطرق والأولياء والصوفية، وكان الرجل يبتسم في النهاية، ويشجعني على طاعة الله ويوصيني بالدراسة العميقة، وإطالة النظر في أسرار التشريع الإسلامي وتاريخه، وتاريخ المذاهب والفرق والطوائف لينكشف لي وجه الحق: والحقيقة بنت البحث. ومع اختلافنا في الرأي في كثير من الأحيان فقد كنت أشعر بعاطفة الأستاذ تغمرني، ورغبته الصادقة في حسن توجيهي، فكنت أحبه وأقدره، ولا يتجاوز النقد حد الإدلاء بالحجة، والرغبة في تعرف الحق»[1].

وهذا ما جعل الإمام البَنّا (رحمه الله) أن يلتقي بعشرات من أعلام الدعوة الإسلامية ورجال الفكر من كل مكان، واسترشد بخبرتهم وتجربتهم، فكان لذلك فجر دعوته التي صدح بها من الإسماعيلية مشرقاً وضاءاً وكان قوياً غلاباً، حيث لامست دعوته أرضاً عطشي، ونفوساً متشوقة.

=محب الدين الخطيب حياته في البحث والتحرير والتأليف إلى أن توفي في القاهرة في كانون الأول عام ١٩٦٩. [تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري- شكري فيصل وآخرون ج٢ ص٨٤٧-٨٦٢- الأعلام- خير الدين الزركلي ج٥ ص٢٨٢].

(١) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٣٢- ٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

مكانته السياسية

إن مقومات الزعامة والقيادة كانت متوفرة لدى الإمام البَنّا (رحمه الله) منذ حداثته، ففي المدرسة الإعدادية بعينها كان التلميذ «حسن البَنّا» متميزًا بين زملائه، مرشحًا لمناصب القيادة بينهم، حتى إنه عندما تألفت في المدرسة جمعية الأخلاق الأدبية، وقع اختيار زملائه عليه ليكون رئيسًا لمجلس إدارة هذه الجمعية(١).

وكأن المقادير كانت تعطيه فرصة المران على القيادة من صغره، وتنمى فيه ذلك الاستعداد للتوجيه والإرشاد، ولعل ألطاف الله وأقداره هي أيضا التي اختارت له المدرسة، (مدرسة الرشاد الدينية) لتكون مدرسته الإعدادية، حتى يكون إعداده من أول نشأته، مناسبًا لذلك الدور الخطير الذي ينتظره ليتولى مهمة الإرشاد العام لأكبر حركة دينية، وليكون المرشد العام للإخوان المسلمين(٢).

وقد بلغ في عصره عدد أعضاء الجماعة العاملين في مصر وحدها نصف مليون، والأعضاء المنتسبون والمؤازرون أضعاف هذا العدد، أما عدد شعبهم في مصر وحدها فبلغ ألفي شعبة، وفي السودان حوالي خمسين شعبة، عدا شعبهم في معظم البلدان العربية، والبلاد الإسلامية، والأصدقاء في جميع البلاد وفي أوروبا وأمريكا(٣).

فالمكانة السياسية التي اضطلع بها الإمام البَنّا (رحمه الله) التأسيس لليقظة الإسلامية الحديثة، الحقيقة التي لن تجد عليها خلافاً بين الباحثين، ولا بين حركات هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة وتياراتها، هي الأبوة والإمامة والريادة التي يمثلها الإمام البَنّا (رحمه الله) بالنسبة لهذه الظاهرة الكبرى التي تعدُّأقوى وأخطر وأعمق ظواهر العصر وبما تمثله من أمل النهضة لدى الإسلاميين، ومصدر القلق المزعج والمخيف لأعداء الإسلام والمسلمين(٤).

أما الحقيقة الأخرى في هذا المقام، فهي أن أبوة الإمام البَنّا (رحمه الله) وإمامته وريادته لهذا الإحياء الإسلامي المعاصر، إنما تمثل (الحلقة المعاصرة) في سلسلة حلقات هذا الإحياء

---

(١) انظر: مذكرات حسن البَنّا ص ٦، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٤.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة- اسحاق موسى الحسيني ص٧، والإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٤-٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٢١.

(٤) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٧-٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلامي الحديث إنها مرحلة متميزة في (الكم) و(الامتداد) مع (التطور) الذي انتقلت به الظاهرة الإحيائية والتجديدية – على يديه – إلى (الكيف) الجديد والمعاصر، الذي استجاب ويستجيب لمتغيرات الواقع والتحديات[١].

فقد شكل الفكر السياسي للإمام البَنّا منعطفاً مهماً وتاريخياً في وضع اللبنات الأولى للفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر.

وبالتوازي مع الصدمة التي ألمت بالمسلمين عموماً، والمفكرين منهم خصوصاً، فقد خلَّف زوال الخلافة تحديات كبيرة أمام الحركة الإسلامية الناشئة التي أسسها الإمام حسن البَنّا في مصر، وأسماها (الإخوان المسلمون) بحيث أصبح لزاماً عليه أن يواجه نزعة التغريب في العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[٢].

وكان رجال (الحركة الوطنية) يتحركون في دائرة النفوذ الغربي وكان النظام الحزبي المطبق يحمي الأسلوب الغربي في السياسة والقانون ويحول دون عودة المسلمين إلى أسلوب دينهم[٣].

فدعا الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى الاستقلال الشامل الذي يحقق سيادة الأمة. إنه استقلال الحضارة المتميزة لا المنغلقة ولا التابعة ذلك أن الإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه، لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين[٤].

فخاض الإمام البَنّا (رحمه الله) معركة حامية الوطيس؛ لمطاردة المفاهيم الخاطئة عن العلاقة بين الدين والسياسة، تلك المفاهيم التي غرسها الجهل والهوى، وتعهدها الاستعمار الثقافي بالسقي والرعاية، حتى تغلغلت جذورها وامتدت فروعها[٥].

---

(١) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص:٨–٩.

(٢) انظر: الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي المعاصر– طارق البشري ص ٢٤٦، ملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا: عدنان أبو عامر ص ١٤– ١٥.

(٣) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي، ص٣٢.

(٤) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٨٦، وانظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص٥٠–٥٢.

(٥) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان الجانب السياسي قبل دعوة حسن البَنّا وقيام مدرسته بعيداً عن اهتمام الجماعات الإسلامية وبتعبير أصح: الجماعات الدينية في مصر، وخارج نطاق نشاطها وتفكيرها[١].

فقد واجه الإمام البَنّا (رحمه الله) المشروع الحضاري الغربي الذي كان وضعياً علمانياً لا دينياً، فكان شعاره (الإصلاح بالإسلام) ليتميز مشروعه عن هذا المشروع الغربي، ولكي تعود الأمة لمواصلة نهضتها الحديثة، انطلاقاً من الأصول الإسلامية الجوهرية والنقية، التي صنعت نهضتها الأولى؛ فتتجاوز بذلك مرحلة تراجعها الحضاري، وتنجو من المسخ والفسخ والتشويه الذي يريده لها الغرب الاستعماري[٢].

فكان الإنجاز التاريخي للإمام البَنّا (رحمه الله) في سياق الإحياء الإسلامي الانتقال بأسس المشروع الحضاري ومناهج التجديد لدين الأمة ودنياها إلى معالم أشد وضوحاً وأكثر تفصيلاً وأقرب إلى التنزيل على الواقع الذي استجد والمتغيرات التي حدثت في موازين التحديات حتى يقترب هذا المشروع ومعالمه من البرنامج المقدم إلى الجماهير.

وأيضاً الانتقال بالتنظيم الحامل للرسالة من إطار الصفوة إلى إطار الجماهير كما تجسد في (جماعة الإخوان المسلمين) التي جاءت على هذه الصورة وبهذه التسمية وذهبت مثلاً في العالمين.

تلك هي اللحظة التاريخية للإمام البَنّا وذلك هو التطور النوعي والإضافة الكيفية لإنجازه في السياق التاريخي لحركة الإحياء الإسلامي الحديث، وتلك هي بصمته المتميزة في ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة[٣].

فكان هذا التجسيد مثالاً حياً في وجه المضمون الغربي الضيق الأفق والانعزالي لكل من (الوطنية) و(القومية) والذي وجد له دعاة وأحزاباً تخندق بعضها عند (الوطنية الإقليمية) وتخندق بعضها الآخر عند (القومية العنصرية) وافتعل آخرون كرد فعل التناقضات بين الإسلام وبين الوطنية والقومية في مواجهة هذا الغلو، رأينا الإخوان المسلمين يحبون وطنهم، ويحرصون على

---

(١) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص ٩.

(٢) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص١٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحدته القومية بهذا الاعتبار، لا يجدون غضاضة على أي إنسان يخلص لبلده، وأن يفنى في سبيل قومه وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عزة وفخار، هذا من وجهة القومية الخاصة[١].

هكذا صاغ الإمام البَنّا (رحمه الله) في هذه العبارات البالغة النفاسة وبهذا الأسلوب العلمي أعمق النظريات السياسية والاجتماعية المعاصرة في تعدد تكامل دوائر الانتماء الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية مع الإشارة إلى دور مصر الرائد والقائد في تحقيق هذه الوَحْدة المنشودة لأمة الإسلام[٢].

وبذلك النسق المحكم لكل مكونات الأمة تعمل دوائر الانتماء في سياق درجات سلم الانتماء الواحد، حيث يصعد عليها الإنسان المسلم عقيدة أو حضارة دونما تناقضات، ويشد كل منها أزر الأخرى؛ لتحقق الغاية منها دونما تعارض ولا تناقض موهوم!

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٦١-٣٦٢.

(٢) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٥٨-٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

أولاً: مكانته العلمية:

الإمام البَنّا (رحمه الله) رجل متعدد المواهب والقدرات، فهو عالم وداعية، ومصلح ومجدد وقائد وزعيم، وهو كذلك مرب من الطراز الأول، كان مربياً بحكم الموهبة، وبحكم الدراسة، وبحكم الممارسة، وكانت لديه كل الأدوات التي يتحلى بها المربي الناجح، من البصيرة النيرة، والقلب الكبير، والعقل المتفتح، واللسان الفصيح، والوجه البشوش، والفراسة النادرة، إلى جوار العلم الواسع، والخبرة الفنية والاجتماعية[١].

فإنَّ عوامل أساسية عدة تكشف جوهر هذه الشخصية كان أبرزها قدراته العميقة في فهم القرآن الكريم، فشرحه بسيط المعنى مؤثر مبني على الفطرة الإسلامية الخالية من كل كلفة ومن كل تصنع[٢].

وقد منحه الله كل مؤهلات المعلم الكفء، وأحاطه بالجو العائلي والتعليمي الذي ينمى تلك القدرات الكامنة فيه.

فوالده هو الشيخ أحمد عبد الرحمن – خطيب مسجد المحمودية – الحافظ للقرآن الكريم، والعالم بالحديث الشريف وله فيه مؤلفات كبيرة، وهو الذي وجهه لحفظ القرآن ومداومة القراءة في مكتبه، كما شجعه على حفظ المتون، حيث حفظ بعضها وهو في المرحلة الإعدادية، كما وجهه لحرفة إصلاح الساعات، حيث تعلم منها الدقة والتنظيم والصبر.

وفي مدرسة الرشاد الدينية يلتقي بأستاذه الشيخ محمد زهران، وقد كان كفيفاً، محباً للعلم فيستعين بالفتى في قراءة ما يحتاج من مسائل علمية، وكثيراً ما كان المعلم يصطحب معه بعض جلسائه من أهل العلم لمناقشة تلك المسائل في حضور الفتى وهو يسمع، فوقر في نفسه حب العلم واحترام العلماء، يضاف إلى ذلك أن الشيخ محمد زهران كان يكلف تلاميذه بحفظ حديث

---

(١) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص٧.

(٢) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٤٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نبوي كل خميس، ويحافظ الفتى على ذلك فتكونت له ثروة علمية كانت سبباً من أسباب تقدمه على زملائه في مدرسة المعلمين التي التحق بها فيما بعد[١].

فقد كان الإمام البَنّا (رحمه الله) محباً للعلم شديد الميل إلى القراءة، كما يصف نفسه قائلاً: «لقد كنت محباً للعلم حباً جماً، وكنت شديد الميل إلى القراءة والاستزادة من العلم، وكنت مؤمناً بفائدة العلم للفرد وللجماعة، ووجوب نشره بين الناس، حتى إني أذكر أنني عزمت على إصدار مجلة شهرية أسميتها «الشمس» وكتبت منها العددين الأول والثاني تقليداً لأستاذنا الشيخ محمد زهران الذي كان يصدر مجلة «الإسعاد» الشهرية وتشبهاً بمجلة «المنار» التي كنت كثير المطالعة فيها»[٢].

ويذكر حرصه على حضور المحاضرات القيمة التي كانت ترعاه جمعية «مكارم الأخلاق الإسلامية» يرأسها الأستاذ الشيخ محمود محمود، وتقوم بإلقاء المحاضرات الإسلامية في مقرها أسبوعياً، وتتناول المحاضرات كثيراً من الموضوعات النافعة المفيدة، فكنت أحافظ محافظة دقيقة على حضور اجتماع المكارم[٣].

لذلك أُنْشِأَ عند الإمام البَنّا (رحمه الله) بنية علمية معرفية رسخت فهمه الأصيل المستمد من مصدر الوحي، والذي بدوره ترك أثره العميق في طرحه التجديدي إزاء الحضارات الأخرى، والوسطية التي ترفض الانغلاق والعزلة، كما وترفض التبعية والتقليد، وأسس لموقفه النقدي الذي يميز ما بين المشترك الإنساني العام وما بين الخصوصيات العقدية والفلسفية والثقافية، فهو التفاعل الذي ينفتح على الدنيا من موقع الراشد المستقبل الذي لا يفقد هويته ولا يفرط في روحه الحضارية المتميزة عن الآخرين[٤].

هذا ما تضمنته رسائله الشهيرة المجموعة في كتاب الرسائل والتي تعدُّ مرجعاً تربوياً هاماً، ومادة أدبية تحدد معالم فكر الجماعة، وكذلك مقالاته المتنوعة، وكتاباته المتعددة التي جمعت في سلسلة تراث الإمام البَنّا (رحمه الله) (التفسير، والعقيدة، والتصوف، والفقه، والفتاوى).

---

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية: حسن البَنّا ص١- ١٥، الفكر التربوي والحضاري عند الإمام حسن البَنّا-عبد الرحمن النقيب ص١٠-١١.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٤٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٦٠.

(٤) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وحدد الإمام البَنّا (رحمه الله) معالم الوَحْدة بين طوائف العمل الإسلامي وهيئاتهم، فكان يردد في ظروف عصره مقولته: «ولو أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية بقوة الطرق الروحية بقوة الجماعة الإسلامية العملية لكانت أمة لا نظير لها: توجه ولا تتوجه، وتقود ولا تنقاد، وتؤثر في غيرها ولا يؤثر شيء فيها، وترشد هذا المجتمع الضال إلى سواء السبيل، وفي ظني واعتقادي أن تلك الثلاثية: الأزهر والطرق الصوفية والجماعة الإسلامية العملية لا بد أن يضاف إليها بعد رابع، وهو المؤسسات العلمية والتكنولوجية القادرة على المشاركة بأعلى درجات الفعالية والمهارة والكفاءة في التواصل مع العلم وانجازاته التكنولوجية ومعارفه الفنية المتطورة، بحيث نكون قادرين بالفعل على مواجهة مشروع الشرق الأوسط الكبير وكل من وراءه من قوى الإرهاب العالمي الشيطاني المنظم والقادر وهذا بالله التوفيق»[1].

وبذلك يكون الإمام البَنّا (رحمه الله) قد أرسى المدرك الكلى للفلسفة الإخوانية، وهو الإصرار على أن الإسلام كل لا يتجزأ، وأن السلفية تحرير وتجديد ليست جمود وتقليد كما فهمها آخرون!

ثانياً: ثناء العلماء عليه:

فقد كتب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفي المراغي[2] شيخ الجامع الأزهر قائلاً: «إن الأستاذ البَنّا رجل مسلم غيور على دينه، يفهم الوسط الذي يعيش فيه، ويعرف مواضع الداء في جسم الأمة الإسلامية ويفقه أسرار الإسلام، وقد اتصل بالناس اتصالاً وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالإصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة»[3].

والشيخ المحدِّث محمد بن ناصر الدين الألباني يذكر: «جاءني كتاب تشجيع من الشيخ حسن البَنّا (رحمه الله). وكم أنا آسَف أن هذا الكتاب ضاع مني ولا أدري أين بقي!» وأضاف قائلاً: «لو لم يكن للشيخ حسن البَنّا (رحمه الله) من الفضل على الشباب المسلم سوى أنه أخرجهم من دور

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٥٤- ٥٥.

(٢) محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغى: (١٢٩٨- ١٣٦٤ هـ = ١٨٨١- ١٩٤٥ م) باحث مصري، عارف بالتفسير، من دعاة التجديد والإصلاح، ممن تولوا مشيخة الجامع الأزهر، عرف بمحمد مصطفى. ولد بالمراغة (من جرجا، في الصعيد) وتعلم بالقاهرة، وتتلمذ للشيخ محمد عبده. وولي أعمالاً منها القضاء الشرعي، فقضاء القضاة في السودان (سنة ١٩٠٨م- ١٩١٩م) وتعلم الانجليزية في خلالها. وعين شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨م فمكث عاماً. وأعيد سنة ١٩٣٥ فاستمر إلى أن توفى بالاسكندرية. ودفن في القاهرة.[الأعلام للزركلي ج٧ ص١٠٣-١٠٤]

(٣) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٣٣٩-٣٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملاهي في السينمات ونحو ذلك والمقاهي، وكتَّلهم وجمَّعهم على دعوة واحدة، ألا وهي دعـوة الإسلام؛ لو لم يكن له من الفضل إلا هذا لكفاه فضلاً وشرفاً. هذا نقوله معتقدين، لا مرائين، ولا مداهنين»[١].

وقال المستشار حسن الهضيبي[٢]: «إنه كان ملهماً وأقسم أني التقيت به وعاشرته، فمـا سمعت منه كلمة واحدة فيها مغمز في عرض أحد أو دين أحد، حتى أولئك الذين تناولوه بالإيذاء والتجريح في ذمته ودينه، وكان في ذلك ملتزماً حد ما أمر الله به»[٣].

وقال العالم الجليل الدكتور توفيق الواعي: «إن الحديث عن الذين عاشوا لقضايا أمـتهم مثل الإمام البَنّا (رحمه الله) يُحيي الأمل في النفوس، ويُبشِّر بنصر قريب، لافتًا إلى أنه مرَّ قـرنٌ من الزمن على مولد الإمام البَنّا، وكلما باعدت الأيام بيننا وبين مولده ازدادت شخصيتُه وضوحًا وإشراقًا»[٤].

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي[٥]: «والحق أني لم أعجب بشخصية حية لقيتها وتأثرت بها، كما أعجبت بشخصية الشهيد حسن البَنّا الذي آتاه الله من المواهب والملكات ما تفرق في عـدد مـن الشخصيات، فقد جمع بين العلم والتربية، ومزج بين الفكر والحركة، وربط بين الدين والسياسة،

---

(١) الشيخ المحدِّث محمد بن ناصر الدين الألباني:
.http://khomri.jeeran.com/mojadidon/hassanelbanna.html

(٢) حسن الهضيبي المصري (١٣٠٨- ١٣٩٣ هـ = ١٨٩١- ١٩٧٣ م): المرشد العام للإخوان المسلمين بمصر. ولي القضاء في مدينة أسيوط، ثم كان مستشارا قضائيا. ويؤثر عنه أنه عندما حلف اليمين القانونية أمام ملك مصر، لم يـنحن كما كان العرف واقتدى به آخرون. ولما اغتيل زعيم الإخوان الشيخ حسن البَنّا (١٩٤٩) اتجهت الأنظار إلى الهضـيبي واختير (١٩٥١) خلفا له. وبعد الثورة المصرية (١٩٥٢) اتهم بالتآمر على حياة زعيمها جمال عبد الناصر مرتين. فسجن (١٩٥٤- ١٩٥٧) وأعيد إلى السجن (٦٤) وأطلق بعد وفاة عبد الناصر (٧٠) فأقام في داره بالقـاهرة إلـى أن تـوفي[الأعلام للزركلي ج٢ ص٢٢٥].

(٣) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٤٨٤-٤٨٥.

(٤) انظر: الإخوان أون لاين ٢٠٠٦، في تغطية لاحتفالية في المملكة الأردنية الهاشمية: حبيب محفوظ.

(٥) الدكتور يوسف القرضاوي. ولد في إحدى قرى مصر في ١٩٢٦/٩/٩م وأتم حفظ القرآن الكريم، وهو دون العاشرة من عمره. التحق بمعاهد الأزهر الشريف، فأتم فيها دراسته الابتدائية والثانوية وكان دائما في الطليعة، رغـم ظـروف اعتقاله في تلك الفترة. ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالية سنة ٥٢-١٩٥٣م، وكـان ترتيبه الأول بين زملائه. ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووصل بين الروحانية والجهاد، وكان النموذج الحي للرجل القرآني، والمعلم الرباني، والمجاهد الإسلامي، والداعية العصري، والمنظم الحركي والمناضل السياسي، والمصلح الاجتماعي»[١].

ولو أردنا أن نختصر بكلمة جامعة مهمة الحركة الإسلامية المعاصرة في شأن العلوم الإسلامية التي ورثناها هي تحريرها من الدخن الذي علق بها، ووضعها في محلها ضمن نظرية كلية في فهم الإسلام واحتياجات المسلمين وضرورة حركتهم الواحدة، وكبديهية من البديهيات أن يكون ذلك على ضوء فهم الأئمة الأعلام الثقات الذين استشرفوا الشريعة كلها لأنهم هم وحدهم الذين اعتمدوا أدق القواعد المنزهة عن الهوى في التحقيق[٢].

هكذا نجد أن الإمام حسن البَنّا (رحمه الله) قد جمعت فيه صفات حميدة قلما اجتمعت في شخص واحد، فكان إذا حدثه الفقيه وجد فيه الفقه الممتاز، وإذا اجتمع به الأديب توهم أن هذه صفته، وإذا لقيه السياسي وجد فيه سياسياً من طراز فريد، وإذا استمع إليه الناس وجدوه خطيباً فحسب.

وهذا ما مكنه أن يؤدي رسالته حتى قضى وقد خلف من بعده جيلاً من الإيمان يسعى على الأرض تحوطه ظلال الوحي وأنوار النبوة الكريمة وأمثلة حية للرجولة المؤمنة والكفاح المجيد.

= ١٩٥٤م وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر. وفي سنة ١٩٥٨م حصل على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب. وفي سنة ١٩٦٠م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين. وفي سنة ١٩٧٣م حصل على (الدكتوراة) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية.جهوده ونشاطه في خدمة الإسلام: أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه. [انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ص ٣٧٠].

(١) شمول الإسلام- يوسف القرضاوي ص٧.

(٢) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما- سعيد حوّى ص١٦-١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

استشهاده

تهيأ الإمام البَنّا (رحمه الله) بحصول المحن ووثق منها حتى أصبحت عقيدة راسخة في رأسه، فسجلها في إحدى رسائله: «أحب أن أعرفكم أن دعوتكم لازالت مجهولة عند الغير من الناس، ويوم يعرفونها، ويدركون مراميها وأهدافها، ستلقى منهم خصومة شديدة، وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيرًا من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات، وتستعدون لما تطلبه من كفاح وجهاد، وسيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين من العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام، وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان وستقف في وجوهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم، وأن تضع العراقيل في طريقكم، وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم، وإطفاء نور دعوتكم، وسيثير الجمع حول دعوتكم غبار الشبهات، وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة!

وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون وتنقلون وتشردون، وتصادر مصالحكم، وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت: ٢)، ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين، ومثوبة العاملين المحسنين»[1].

فهذة سنة الدعوات أن تبتلى وتمحص قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ٢١٤) فكان الإمام البَنّا (رحمه الله) قد عكف على تكرار هذه المعاني قبل المحنة مباشرة، حتى يعد الإخوان لاستقبالها، فلا يصدموا بحقيقتها المروعة،ويتسلحوا بسلاح الإيمان والتقوى ليدفعوا عن دعوتهم بلاء نار الفتنة، بهذا الأسلوب المؤثر وجه الإمام أتباعه ليحافظوا على دعوتهم التي تهون في سبيلها الدماء والأموال!

المؤامرة: في ١٩٤٨/١٢/٨ أصدر الحاكم العسكري قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين ومصادرة أموالها وأملاكها ونشاطها في جميع البلاد، واعتقال رؤسائها وأعضاء هيئتها.

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص ٢٤- ٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاء ذلك بناء على مذكرة ورد فيها أنه ضبط للإخوان سيارة جيب مليئة بالمتفجرات، وبعض الأسماء والخرائط، بالإضافة إلى عديد من الأحداث الأخرى التي اتهموا فيها[١].

وعقب هذه الفترة وقعت أحداث منها مقتل النقراشي في وزارة الداخلية في ٢٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٨م، وقد اتهمت الجماعة بمقتله برغم إقرر المتهم أنه وحده المسئول عن الحادث، ولكن هذا مهد لتدبير مقتل الإمام حسن البَنّا في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٩م[٢].

حادثة الاغتيال: وفي مساء السبت (١٤ ربيع الآخر ١٣٦٨هـ-١٢ فبراير شباط -١٩٤٩م) اغتالت الأيدي الآثمة الإمام حسن البَنّا، ففي صبيحة هذا اليوم استيقظ الإمام البَنّا (رحمه الله) على رؤيا رآها واستبشر بها خيراً، حيث رأى في منامه الإمام علياً ﷺ يخاطبه: (يا حسن لقد انتهت مهمتك، وأديت رسالتك، وقبلك الله وقبل منك). وقد أسر فضيلته بهذه الرؤيا إلى أحد أفراد أسرته وقال: إن رؤيا علي ﷺ في المنام معناها الاستشهاد[٣].

ويصف والده حادثة اغتيال نجله، فيقول: «أُبلغت نبأ موته في الساعة الواحدة، وقيل لي: إنهم لن يسلموا الجثة، إلا إذا وعدتهم بأن تدفن في الساعة التاسعة، بلا احتفال، وإلا فإنهم سيضطرون إلى حمل الجثة من مستشفى القصر العيني إلى القبر، واضطررت إزاء هذه الأوامر إلى أن أعدهم بتنفيذ كل ما تطلبه الحكومة، رغبة مني في أن تصل جثة ولدي إلى بيتي، فألقي عليه نظرة أخيرة، وقبيل الفجر حملوا الجثة إلى البيت، متسللين، فلم يشهدها أحد من الجيران، ولم يعلم بوصولها سواي، وظل حصار البوليس مضروباً، لا حول البيت وحده، بل حول الجثة نفسها، ولا يسمحون لإنسان بالاقتراب منها، مهما كانت صلته بالفقيد، وقمت بنفسي بإعداد جثة ولدي للدفن، فإنَّ أحداً من الرجال المختصين بهذا لم يسمحوا له بالدخول ثم أنزلت الجثة، حين وضعت في النعش، وبقيت مشكلة من يحملها إلى مقرها الأخير، طلبت من رجال البوليس أن يحضروا رجالاً يحملون النعش فرفضوا.

قلت لهم: ليس في البيت رجال، فأجابوا: فليحمله النساء، وخرج نعش الفقيد محمولاً على أكتاف النساء، ومشت الجنازة الفريدة في الطريق، وعندما وصلنا إلى جامع «قيسون»

---

(١) انظر: حسن البَنّا، الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٢٤٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٢٤٧.

(٣) انظر: جريدة الزمان، ٢/ ٨/ ١٩٥٢م. نقلاً عن حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص ٢٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للصلاة على جثمان الفقيد، كان المسجد خالياً من الناس، حتى من الخدم، وسبقوا إلى بيت الله، وأمروا من فيه بالانصراف، ريثما تتم الصلاة على جثمان ولدي.

ووقفت أمام النعش أصلي، فانهمرت دموعي، لم تكن دموعاً، بل كانت ابتهالات إلى السماء، أن يدرك الله الناس برحمته، ومضى النعش إلى مدافن الإمام الشافعي، فوارينا التراب هذا الأمل الغالي، وعدنا إلى البيت الباكي الحزين»[١].

وظل القتلة أحراراً طلقاء، إلى أن قامت ثورة الجيش في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وقبض عليهم جميعاً وهم: الأميرالاي محمود عبد المجيد، والأميرالاي أحمد كامل والبكباشي حسين كامل، واليوزباشي عبده أرمانيوس، ومحمد حسن خادم الملك الخاص، والبكباشي محمد الجزار، والباشجاويش محمد محفوظ سائق السيارة التي فر عليها الجناة وأحمد حسين جاد (مباحث جرجاً) ومحمد سعيد، ومصطفي محمد أبو الليل غريب، والأومباشي حسين محمدين رضوان[٢].

هكذا هم العظماء يصنعون الموتة الطاهرة كما صنعوا حياتهم الكريمة، وقد سجل هذا المعنى في مقال (صناعة الموت) : «الموت صناعة من الصناعات، من الناس من يحسنها فيعرف كيف يموت الموتة الكريمة، وكيف يختار لموتته الميدان الشريف والموقف المناسب فيبيع القطرة من دمه بأغلى أثمانها، ويربح بها ربحاً أعظم من كل ما يتصور الناس، فيربح سعادة الحياة وثواب الآخرة، ولم ينقص من عمره ذرة، ولم يفقد من حياته يوماً واحداً، ولم يستعجل بذلك أجلاً قد حدده الله، وسرى هذا التيار في نفس الفئة المجاهدة القليلة في جوار الحرم المقدس إلى كثير من شباب الإسلام»[٣].

رحل الإمام بجسده لكنه لم يرحل بروحه، فأصدقت دماؤه الطاهرة دعوته؛ فانتشرت في المعمورة حتى غدت جماعته من أعظم وأكبر الجماعات في العالم قاطبة.

ولازال الناس يتسابقون إلى دراسة سيرته العطرة، والوقوف على تراثه الفكري العظيم الذي تربى عليه جيل فريد يسابق الزمن؛ لإعادة الأمة لرمز عزتها، ووحدة صفها، وبناء كيانها.

---

(١) جريدة الزمان، ٢/ ٨/ ١٩٥٢م. نقلاً عن حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٢٨٤-٢٨٥، انظر: مقال للشيخ عبد الله العقيل، موقع الشرق١/ ١/٢٠٠٩م.

(٢) انظر: جريدة المصور الأسبوعية بتاريخ ١٦/ ١/ ١٩٥٣م الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٢٨-٢٩.

(٣) حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٤١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

دعاوى حول منهج الإمام حسن البنّا في الدعوة والإصلاح والقضايا السياسية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: دعاوى حول منهج الدعوة عند الإمام البنّا.

المبحث الثاني: منهج الإمام البنّا في الاختلاف.

المبحث الثالث: منهج الإمام البنّا في القضايا السياسية.

www.manaraa.com

المبحث الأول

منهج الدعوة عند الإمام البَنَّا

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دعوى الجمع بين المتناقضات.

المطلب الثاني: التربية في دعوته.

المطلب الثالث: العمل الجماعي المؤسسي.

المطلب الرابع: البيعة وما أثير حولها من شبهات وردود.

المطلب الخامس: دعوى غلو الإخوان في شخص البَنَّا.

www.manaraa.com

المطلب الأول

دعوى الجمع بين المتناقضات

بفعل عوامل الهدم والتزييف والتضليل التي اجتاحت المسلمين في ديارهم، وقع إشكال في فهم الإسلام فهماً واضحاً شاملاً متكاملاً؛ خلق حالة من التضارب في الفهم الصحيح للإسلام؛ فأوجدت صوراً متعددة له في نفوس الناس، وهذا ما جعل الناس يختلفون اختلافاً بيناً في فهم ما دعا إليه الإمام البَنّا (رحمه الله) أوتصور طبيعة دعوته.

لذلك فقد تصور أناسٌ أن الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية، ومنهم من تصورهم طريقة صوفية، تعني بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة، ومنهم من ظنهم جماعة نظرية فقهية، تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضل عنها، وتحمل الناس عليها وتخاصم أو تسالم من لم يسلم بها معها.

ونتيجة لهذا الخلط الذي انعكس سلباً في فهم دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله) التي أرادها دعوة إسلامية صميمة، ولا تخرج فلسفتها في رؤية الإصلاح على أن تكون كذلك إسلامية مستمدة من روح الإسلام، متبلورة في النفس بفكرها وعقيدتها، توضع موضع التطبيق في عالم الحقيقة والواقع[1].

وتجاه تلك الحالة الملتبسة عن الإسلام ودعوته ودعاته لم يدَّخر الإمام البَنّا (رحمه الله) جهداً في حل تلك الإشكالية، وإزالة اللبس الذي وقع فيه كثير من الناس؛ وذلك- كما أسلفت- لالتباس فهم الإسلام في أذهانهم، فأجاب: «نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة فهي: طريقة صوفية نقية؛ لإصلاح النفوس وتطهير الأرواح وجمع القلوب على الله العلي الكبير، وجمعية خيرية نافعة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتواسي المكروب، وتبر بالسائل والمحروم، وتصلح بين المتخاصمين، ومؤسسة اجتماعية قائمة؛ تحارب الجهل والفقر والمرض والرذيلة في أية صورة من الصور، وحزب سياسي نظيف يجمع الكلمة، ويبرأ من الغرض، ويحدد الغاية ويحسن القيادة والتوجيه.

نحن الإسلام أيها الناس! فمن فهمه على وجهه الصحيح فقد عرفنا كما يعرف نفسه، فافهموا الإسلام أو قولوا عنا بعد ذلك ما تريدون!»[2].

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٣٧.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٥٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي رسالة المؤتمر الخامس عرض هذا الفهم الشامل للإسلام بكل وضوح، فقال: «إن الإسلام كدين عام نظم كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة، وخصوصاً في الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها»(١).

ويعقب قائلاً: «هكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحي الإصلاح، ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضاً وما هو بمتناقض»(٢).

فأكد شمولية الفكرة؛ حتى لا يلتبس أمر دعوته على الناس، فأزال ما قد يتوهموه تناقضًا وتعارضًا، فوضح ذلك بقوله: «أننا أيها الناس: فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحدده موضع، ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافي، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين ﷺ، نحن أيها الناس ولا فخر أصحاب رسول الله ﷺ وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظو قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (ص: ٨٨) »(٣).

وفي رسالته إلى الشباب عامة والطلبة خاصة يورد بأن فهمنا للإسلام بهذا الشمول والتكامل لكل مناحي الحياة ليس بدعاً بل تلك حقيقة الإسلام كما فهمه سلفنا الصالح- رضوان الله عليهم أجمعين- حيث يقول: « إن المسلمين الأولين آمنوا بالإسلام عقيدة وعبادة، ووطنا وجنسية، وخلقًا ومادة، وثقافة وقانوناً، وسماحة وقوة، واعتقدوه نظاماً كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة، اعتقدوه نظاماً عملياً وروحياً معاً فهو عندهم دين ودولة، ومصحف وسيف، وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون في أداء

(١) مجموعة رسائل الإمام البنّا ص٣٣٥-٣٣٦.
(٢) المصدر السابق ص٣٣٨.
(٣) المصدر نفسه ص٣٩٤- ٣٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فرائضهم لربهم، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذي أمر به وفي الحدود التي وضعها لهم، في غير غلو ولا سرف» [١].

فإنه ونتيجة القصور في الفهم، والصغر في الهمم، واليأس في النفوس جعل كثيراً من الناس يستسلمون للأمر الواقع، فحصروا الإسلام في صوامع وبيع وصلوات، وظنوا أن ذلك يرفع عنهم اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة، هذا ما قاله الإمام البَنّا (رحمه الله) في رسالة مؤتمر رؤساء المناطق والشعب [٢].

فكان هذا الطرح الفريد في زمن قهقر الإسلام إلى جنبات المساجد، أنَّ الإسلام نظام كامل ينظم شئون الحياة كلها، وأول شأن من شئونه إصلاح النفس وحسن الصلة بالله، فهو يخاطب القلب ويوجه النفس، ويرجع في مصادر المعرفة إلى كتابي الوحي والكون: كتاب الله المسطور، وكتابه المنظور.

ولذلك أعلن الإمام البَنّا (رحمه الله) أنَّ دعوته من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب، وأنها جامعة لأصول التجديد ومعالمه، ومستجيبة لملكات الإنسان وملبية لشرائح الأمة ومكوناتها، وأيضاً مراعية لمستوى الجماهير فقد شملت فكرته كل نواحي الإصلاح في الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحي، وأصبح كل مصلح غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبي الإصلاح الذين عرفوا وفهموا مراميها، فكانت لذلك دعوة سلفية؛ لأنها عودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فهي ذلك المنهج الرباني الذي كان عليه السلف الصالح – رضي الله عنهم – من الاعتماد على القرآن الكريم والسنة الصحيحة في كل شؤون الحياة والذي فيه من الشمول ما في مصادر تلقيه، وهذا المنهج مسلّم به عند كل المسلمين وإن تفاوتوا في تحقيق هذا التسليم.

وطريقة سنية؛ لأن دعاتها يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شي، وخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

وحقيقة صوفية؛ لأنهم يعلمون أن أساس الخير هو طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخَلق والحب في الله[٣].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص ٤٢٤– ٤٢٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٥٥٤–٥٥٥.

(٣) انظر: المصدر نفسه ص٣٣٧–٣٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنه وبعد هذا العرض لبيان ما أثير من أن: دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله) قد جمعت بين المتناقضات، وضح بما لا يدع مجالاً لشك أو متشكك أن مردَّ تلك الدعوى الجهل بحقيقة ما جاء به الإسلام نتيجة لآثار الغزو الفكري الذي رسم صورة عن الإسلام تعزله فيها عن حركة الحياة لتجهل الناس بحقيقة دينهم، وهذا ما بينه الإمام البَنّا (رحمه الله) بقوله: «سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله»(١).

فكان نصيب هؤلاء من معرفتهم بدعوة الإمام البَنّا (رحمه الله) إلا كنظر العميان للفيل أول مرة، لم يستطع أن يعرف حقيقتها، ومن نظر إليها من جميع نواحيها عرفها وعرف ما هي عليه، فلا يكفي النظر إلى ناحية واحدة دون الأخرى، فالواجب أن تنظر إلى الكل، كوَحْدة إسلامية لا يمكن أن تنفصل إحداها عن الأخرى فمعرفة الله تبارك وتعالى رأس الأمر، والقيام بالواجب جسمه، والدعاية أقدامه التي يقوم عليها(٢).

ومما أوقع البعض في الوهم بالتناقض هو عدم الفصل بين أصل الشيء وبين ما علق به من دخنٍ، وذلك في إشارة إلى التصوف وما علق به مما ليس منه، وقد عمل الإمام البَنّا (رحمه الله) على أن تُخلَّص الطرق الصوفية من المبالغات والشوائب التي لحقتها، وطمح أن تلتقي كل القوى الحية في الأمة في رحاب الإسلام بفهم القرون المفضلة الثلاث الأول: «ولو أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية، بقوة الطرق الروحية، بقوة الجماعات الإسلامية العملية، كانت أمة لا نظير لها، توجه ولا تتوجه، وتقود ولا تنقاد، وتؤثر في غيرها ولا يؤثر شئ فيها، وترشد هذا المجتمع الضال على سواء السبيل»(٣).

وهذا لم يجعله يغمض عينيه إلى ما في الصوفية من دخن، فقال (رحمه الله) : «حضر إلى الإسماعيلية... من القصاصين وهو يدعو إلى الطريقة، وله أفكار خاصة تنافي آمالي الإسلامية. وأنا إنما وقَفْتُ نفسي لدعوة أرى أنها خير السبل للإصلاح الإسلامي، وأمثال هؤلاء يريدون تحويلها وتشكيلها بشكل دعواتهم وذلك ما لا أريد.

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص ٥٢٨.

(٢) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٤٩٤.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد آن الأوان الذي أعتزل به عن كل هذه الدعاوى المشتبهة، وأكشف فيه عن الغاية للإصلاح الإسلامي الذي يتلخص في الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، وتطهير العقول من هذه الخرافات والأوهام، وإرجاع الناس إلى هدي الإسلام الحنيف»[١].

فضع أيها القارئ خطوطًا تحت قوله عن الصوفية: «تنافي آمالي الإسلامية». وقوله: «لقد آن الأوان الذي أعتزل به عن كل هذه الدعاوى المشتبهة» وتأكيده بأن دعوته تقوم على الكتاب والسنة وتطهير العقول من هذه الخرافات والأوهام[٢].

فليس ثم تناقض بعد هذا العرض فيما طرح حينما جمع بين الدعوة السلفية والطريقة السنية والحقيقة الصوفية وقد تُبَيّن الوجه السلفي لدعوته ومنهجه (رحمه الله)؛ لأن السلفية في الإسلام هي التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه في ذروته الشامخة وقمته الحضارية، كما تُوَجّهنا إلى النموذج المتحقق في القرون الأولى المفضلة، وفيها تحقق الشكل العلمي والتنفيذ الفعلي ومنه استمدت حضارة المسلمين أصولها ومقوماتها ممثلة في العقيدة خضوعًا للتوحيد وبيانًا لدور الإنسان في هذه الحياة وتنفيذًا لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة في الاجتماع والاقتصاد والسياسة وروابط الأسرة وفضائل الأخلاق[٣].

ليس تناقضاً إذا ولكنها النظرة التي تجمع شعث الأمة ولا تفرق، وتحفظ الجهود الطيبة ولا تبدد؛ لتعمل جميعاً كل تلك القوى في بوتقة الإسلام في تناغم وانسجام، وذلك من خلال المنهج الذي طرحه، والتربية التي أرادها؛ لتكون دعوته جامعة وناظمة لكل الأطياف الإسلامية، على قاعدة التحاور والشراكة.

---

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص١٣٢.

(٢) انظر: الوجه السلفي لجماعة الإخون المسلمين- شحاتة محمد صقر ص٥٧، ٥٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٩، ٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

التربية في دعوته

رأى الإمام البَنّا (رحمه الله) أن إعادة صياغة الإنسان هي نقطة البدء، وأن تكوين الجيل الواعي والقادر على حمل الرسالة الإصلاحية هي المهمة الأولى لأي رائد من رواد الإصلاح.

لذلك كانت التربية الإسلامية القرآنية الأصيلة المدخل الحقيقي للعمل كله والركيزة الأهم في منهجه الدعوي؛ لأنَّ التربية التي تهدف إلى إصلاح الخُلق وتحرره من قيود الغرائز الحيوانية، فلا نهوض لأمة بغير خلق، وإن الأمة إذا استطاعت أن تتحرر من قيود المطالب النفسية والكمالات الحيوية، أمكنها أن تتحرر من كل شيءٍ[1].

ولهذا نجد الإسلام قد عني عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية؛ لأنها مصدر النظم، ومادة التفكير والتصوير والتشكل، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى، ويغسلها من أضرار الغرض والغاية، ويهديها إلى الكمال والفضيلة، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان، فإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحاً جميلاً، ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى في كتاب الله، وكانت النفوس الأولى التي صاغها هذا الإسلام مثال الكمال الإنساني، ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، ولهذا أيضا كان الإسلام لا يأبى أبداً الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة[2].

فنعكست أهمية التربية في دعوته والأولوية التي حظيت بها وذلك تقديراً منه لأهمية النفس وما لها من محورية في عملية التغيير والإصلاح المجتمعي، فقال: «إذا أرادت مجموعة أن تكون صالحة، فلتصلح نفسها وخلقها، وإذا أرادت أمة أن تكون صالحة قوية فلتبدأ بالقلوب تصلحها ثم تصلح أخلاقها، يقول القرآن الكريم في صلاح الفرد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ (الشمس: ٧-٨)، ويقول في صلاح الأمة وفسادها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(الرعد:١١). فصلاح النفوس هو صلاح الأمة، وتغير النفوس هو تغيير الأمة»[3].

---

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص١٨٣- ١٨٤.

(٢) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٣٦.

(٣) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٣٣١- ٣٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتي يكون الصلاح كاملاً لابد وأن يشمل النفس والأمة والدولة، وكل إصلاح في غير هذا فاسد، لا يفيد ولا يجدي، فصلاح النفس أساس لصلاح الأمة، ومتى كانت الأمة يقظة وعملت الرقابة اللازمة، فالحاكم لا بد أن يكون يقظاً كاملاً وهذا الطريق السليم في الإصلاح [١].

ولهذا كانت أولى الرسائل طباعة القانون الأساسي للإخوان المسلمين (اللائحة الداخلية)، ثم صدرت رسالة المرشد[٢]، وقد جاء في صدرها هذا التوجيه: «من مبادئ الإخوان المسلمين أذكر منها:

أ- سلامة الاعتقاد والاجتهاد في طاعة الله تبارك وتعالى وفق الكتاب والسنة.

ب- التأدب بآداب الإسلام الحنيف، وتربية النفس والترقي بها إلى معرفة الله تعالى وإيثار الآخرة على الدنيا.

ت- والثبات على المبدأ والوفاء بالعهد مع اعتقاد أن أقدس المبادئ هو(الدين) »[٣].

ولأن دعوته قائمة على دعاة تربية وعماد انتصار، فوجب إفهام المسلم وإقناعه وإيقاظ شعوره من كل نواحيه على قواعد الإسلام وتعاليم الإسلام ومبادئ الإسلام.

وهذه غاية لا تدرك في أيام ولا تنال بأعوام قليلة، ولكنه الجهاد الدائب والعمل المتواصل ومقارعة جيوش الجهالة والأمية والأحقاد والأضغان وخفة الأحلام وتقطيع الأرحام، وتنظيف رواسب قرون عدة سرى الفساد فيها إلى كل مكان[٤].

والسؤال الآن: لماذا توجه الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى الدين الحنيف (الإسلام) في الإصلاح المجتمعي؟

الجواب: توجه الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى الدين الذي بنى عليه محمد ﷺ صحابته وأتباعه- رضوان الله عليهم- فقال: «لأنه أفضل الوسائل في إصلاح نفوس الأمم، إلى جانب هذا أن الدين الإسلامي جمع محاسن كل هذه الوسائل، وبعد عن مساوئها، فاطمأنت إليه نفوس الإخوان المسلمين، وكانت أولى وسائلهم العملية في تطهير النفوس، وتجديد الأرواح وتحديد الوسيلة واختيار المبدأ، وعلى هذا الأساس وضعوا عقيدة (الإخوان المسلمين) مستخلصة من

(١) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٣٧٧.

(٢) وظهر منها عددان فقط- وكانت الرسالة الأولى بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ تقريبا الموافق ٢ يناير سنة١٩٣١م والثانية بتاريخ ٢٠ شعبان سنة ١٣٤٩ هـ- ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٢م.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص١٨٤.

(٤) انظر: المصدر السابق ص٣١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا تخرج عنها قيد شعرة، وأعتقد أنها وسيلة عملية في تربية النفوس وتقويم الأخلاق»[1].

فالتربية في منهجه الدعوي هي المَعلم الأبرز، رغم ما تحتاجه من وقت وتؤدة وصبر؛ لأنها دعامة النهضة، فقال عن هذا الجانب: «يجب أن تكون دعامة النهضة (التربية) فتربى الأمة أولاً، وتفهم حقوقها تماماً، وتتعلم الوسائل التي تنال بها هذه الحقوق، وتربى على الإيمان بها، ويبث في نفسها هذا الإيمان بقوة.

وذلك يستدعي وقتا طويلاً؛ لأنه منهج دراسة، يدرس لأمة، فلا بد أن تتذرع الأمة بالصبر والأناة والكفاح الطويل، وكل أمة تحاول تخطي حواجز الطبيعة يكون نصيبها الحرمان، ومن أجل هذا يجب أن تعد البلاد التي تود النهضة مدرسة، طلبتها كل المواطنين، وأساتذتها الزعماء وأعوانهم، وعلومها الحقوق والواجبات العامة، أو الغاية والوسيلة، ومن أجل ذلك أيضا يجب أن ينظم أمران مهمان هما: المنهج والزعامة.

فأما المنهج: فيجب أن تكون مواده قليلة، بقدر الإمكان، عملية بحتة ملموسة النتائج مهما قلت.

وأما الزعامة: فيجب أن تختار وتنتقد حتى إذا وصلت إلى درجة الثقة أطيعت وأوزرت، ويجب أن يكون الزعيم قد تغذى من مائدة التربية ليكون كذلك، لا زعيماً خلقته الضرورة وزعَّمته الحوادث فحسب، أو زعيماً حيث لا زعيم.

فإذا فحصت الأمة هذه الحقائق ناصعة، واكتفت بالتجارب الماضية، وعادت إلى النهضة الصحيحة، وعنيت بالجديات والحقائق، واحتقرت الأوهام، وأعدت صبراً طويلا للكفاح والنضال؛ فإنها كاسبة إن شاء الله تعالى.

أما إذا ظلت معلقة بالأماني، غارقة في بحار الشهوات والأهواء، مستنيمة إلى الكسل والخمول، فستخسر ما بقي لها من صبابة قوة، أو غيرة، أو مال تباعاً!!

فأي الطريق تسلك أمتنا المحبوبة؟

نرجو أن تسلك طريق الوصول، ولإفهام الناس هذه الحقيقة قامت جمعية الإخوان المسلمين»[2].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦١.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص١٨١- ١٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا تحليل دقيق في كنه العمل الإسلامي الجماعي، يبرر الإمام البَنّا (رحمه الله) من خلاله قيام جماعة الإخوان المسلمين واعتمادها الإسلام كبرنامج اصلاحي شامل، مستند على التربية ذات الخصائص الأساسية المتعددة في منهجه الدعوي، وهي:

١. **خاصية التكامل:** أي أنها تربية شاملة لا تقتصر على جانب دون جانب، فهي تتناول الروح والجسم والعقل والعاطفة والضمير والوجدان.

٢. **خاصية تكوين الشخصية تكويناً متكاملاً** روحياً بالعبادة، وبدنياً بالرياضة، وعقلياً بالثقافة، وخلقياً بالتوعية بقضايا الوطن والأمة، وهكذا لا تقتصر التربية على جانب دون الآخر.

٣. **خاصية التوازن:** أي أنها تعطي كل جانب من الجوانب حقه بلا طغيان ولا إخسار بحيث لا يطغى على غيره من الجوانب، ولا يحرمه حقه لحساب غيره، بل يقول لكل من تجاوز حده: قف عند حدك والزم صراطك المستقيم(١).

٤. **خاصية التدرج:** وهي الوسطية بين الجمود والثبات وبين الطفرة والانقلاب في التربية؛ لإحداث التغيير المنشود، وهي سنة عاملة في كل عوالم الخلق وفي سائر ميادين الاجتماع وكذلك في عوالم الأفكار، حيث نزلت الشرائع بالتدريج ونزلت أحكامها على الواقع والوقائع بالتدريج، وتكونت الثقافات التي مثلت عمران النفوس الإنسانية بالتدريج، وقامت المدنيات التي مثلت عمران الواقع المادي بالتدريج(٢).

وانطلاقاً من ذلك واجه الإمام البَنّا (رحمه الله) (المتعجلين) فقال: «إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، موضوعة حدوده، ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول،أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها!

إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة، والجد والعمل الدائب، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة، وتصلح الثمرة، ويحين القطاف؛ فأجره في ذلك على الله»(٣).

٥. **خاصية ترتيب الأولويات:** بين ميادين الإصلاح: الأصول قبل الفروع، والبدء بالتربية؛ لإصلاح مناهج الفكر، وتنقية الاعتقاد مما شابه من الخرافات والبدع من خلال التركيز على المؤسسات التي تصوغ العقل المسلم والوجدان الإسلامي.

---

(١) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص٨.

(٢) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص٦٨– ٦٩.

(٣) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقدم الأمة على الدولة، وأصول التربية على فروع السياسة، فالمنهاج الإسلامي في الإصلاح وإنما هو منهاج التربية للأمة أولاً لتأتي الدولة بعد ذلك ثمرة ناضجة نضوجاً طبيعياً، ولتجد هذه الدولة أمة مهيأة ومتقبلة للمنهاج الإصلاحي لهذه الدولة الجديدة(١).

فهذا ما تميز به الإمام البَنّا (رحمه الله) كرجلٍ متعدد المواهب والقدرات، فهو يجمع في شخصيته بين كونه عالماً وداعيةً، ومصلحاً ومجدداً وقائداً وزعيماً، وهو كذلك مربٍ من الطراز الأول، كان مربياً بحكم الموهبة، وبحكم الدراسة، وبحكم الممارسة، وكانت لديه كل الأدوات التي يحتاج إليها المربي الناجح، من البصيرة النيرة، والقلب الكبير، والعقل المتفتح، واللسان الفصيح، والوجه البشوش، والفراسة النادرة، إلى جوار العلم الواسع، والخبرة الفنية والاجتماعية(٢).

وهكذا تألق التجديد الإسلامي في هذا المشروع الحضاري للإمام البَنّا المرتكز على رؤية واضحة المعلم ومحددة الغايات والأهداف؛ لذا مثَّلت دعوته أبرز معالم التجديد في القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي.

حيث وضع هذا المنهج التربوي في حسابه البلوغ إلى القمة، لا يتعسف الطريق، فهو يسير هيناً ليناً مع الفطرة، يقومها حتى لا تميل ولكنه لا يكسرها ولا يحطمها ولا يجهدها، بل يصبر عليها صبر العارف البصير الواثق من الغاية البعيدة، وكما تنبت الشجرة الباسقة وتضرب جذورها في أعماق التربة، وتتطاول فروعها وتتشابك، كذلك ينبت هذا المنهج في النفس والحياة، ويمتد في بطء، وعلى هوادة، وفي ثقة وطمأنينة، ثم يكون ما يريد الله أن يكون(٣).

واقع التربية في دعوة الإمام حسن البَنّا:

فمما سبق بيانه تجلى لنا أن التركيز على الجانب التربوي كان أهم مجالات التجديد في دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله)، فمع نشأة الجماعة بالإسماعيلية في مارس ١٩٢٨م كان أول عمل لها هو إقامة مدرسة التهذيب للإخوان المسلمين في حجرة متواضعة بالإسماعيلية، وتحدد منهج التربية في هذه المدرسة على النحو التالي:

---

(١) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص١٥-١٦/ ٦٩-٧٠.

(٢) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص٧.

(٣) انظر: المستقبل لهذا الدين- سيد قطب ص٣٧، ملامح الفكر السياسي عند البَنّا- عدنان أبو عامر ص٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصحيح تلاوة القرآن الكريم وفق أحكام التجويد، وحفظ بعض سور القرآن الكريم، وبعض أحاديث السنة النبوية الشريفة، وتصحيح العقائد والعبادات والتعرف على أسرار التشريع، ومعرفة آداب الإسلام العامة، ودراسة التاريخ الإسلامي، وسيرة السلف الصالح، وتدريب القادرين على الخطابة والدعوة تدريباً علمياً بحفظ ما يمكن من النظم والنثر، ومادة الدعوة ثم تكليفهم بالتدريس والمحاضرة في هذا المحيط الصغير أولاً، ثم الأوسع منه مستقبلاً[١].

ثم أقيم مسجد الإخوان ودارهم بالإسماعيلية، استكمالاً لهذا الجانب التربوي من حياة الجماعة الوليدة، حيث تقام الصلوات وتعقد الدروس والمحاضرات بجوار خطب الجمعة والأنشطة المختلفة في المناسبات والأعياد.

ولم تكتف الجماعة الوليدة بذلك بل أنشأت معهد حراء الإسلامي متعدد الشعب، إذ يشمل المعهد ثلاث شعب: شعبة يتمشى منهاجها مع منهاج المدارس الأولية، تجهز التلميذ للأزهر والمعاهد الأزهرية، وشعبة تتمشى مع المدارس الأولية أول النهار ومع المدارس الصناعية آخر النهار، يتوجه الطلاب في الفترة المسائية إلى ورش ومصانع أهلية كان يديرها الإخوان المسلمون لمزيد من التعليم والتدريب الصناعي، وشعبة ثالثة تتمشى مع منهاج المدارس الأميرية الابتدائية، الإعدادية حالياً للتجهيز الثانوي[٢].

ورغم أن هذا المعهد كان يأخذ بالمناهج الحكومية في الغالب إلا أنه أضاف إلى ذلك الروح الإسلامي في الإدارة والأنشطة والمناخ المدرسي العام، مما ضاعف الإقبال عليه، وشجع ذلك على إنشاء مدرسة «أمهات المؤمنين» التي سارت على نفس المنوال، وأدت رسالتها حتى تسلمتها بعد ذلك وزارة المعارف، وقد أدى إنشاء مدرسة أمهات المؤمنين فيما بعد إلى إنشاء قسم خاص للأخوات المسلمات يتألف من نساء الإخوان المسلمين وقريباتهن ووضعت لهن لائحة خاصة في أبريل ١٩٣٣م تنظم طرائق السير ووسائل نشر الدعوة بين السيدات المسلمات[٣].

وكما اهتم الإمام حسن البَنّا في تربية أتباعه بالجوانب العلمية والدينية الإسلامية، فقد اهتم أيضاً بالتربية الرياضية انبثاقاً من فكرة الإعداد للجهاد المفروض على الأمة حتى تحرر أراضيها السليبة، فأنشئت فرقة الرحلات للإخوان المسلمين على غرار النظام الكشفي، ثم

(١) انظر: الشيخ حسن البَنّا ومدرسة الإخوان المسلمين- رءوف شلبي ص١٤٠، الفكر التربوي والحضاري عند الإمام حسن البَنّا- عبد الرحمن النقيب ص١٧- ١٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٩.

(٣) انظر: الفكر التربوي والحضاري عند الإمام حسن البَنّا- عبد الرحمن النقيب ص ١٩- ٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

امتازت عليه بروحها الإسلامية الوثابة، والتي تطورت فيما بعد ليكون من بين أفرادها أفراد النظام الخاص المكلف بحماية الجماعة ومقاومة المحتل البريطاني وحركة استيطان العدو الصهيوني، وهكذا كانت جماعة الإخوان المسلمين بالإسماعيلية تنمو رويداً رويداً، ويكون لها مرشدها القائد ومسجدها الجامع، ومدارسها للبنين والبَنّات وفرقها الرياضية والكشفية.

لقد كان الإمام البَنّا (رحمه الله) دائم التنقل والترحال لافتتاح تلك المؤسسات التربوية ومتابعة نشاطها، حتى إنه ليذهب إلى مكانين مختلفين بالقطار في اليوم الواحد ليفتح شعبة جديدة هنا، ويتابع أو يلقى محاضرة في شعبة هناك، وهو جهد ضخم لا يمكن أن يقوم به إلا شخص مؤمن بهدفه، مثابر على أداء رسالته(١).

وحتى تكون تلك الأساسات المتينة التي يقوم على أكتافها بنيان الجماعة كَوَّن ثماني فرق للدعوة والإرشاد، وكانت هذه الفرق الثماني لا تزيد كل فرقة عن خمسين دارساً بشرط أن يكون الدارس في مستوى الدراسة الثانوية على الأقل، وأن يتفرغ للدراسة مدة خمسة عشر يوماً، وكان الإمام البَنّا (رحمه الله) هو الذي يلقى الدروس بنفسه في تلك الفرق بالقاهرة، وبعد ذلك يمارسون النشاط الدعوي، وحتى يضمن تفرغ هؤلاء الدارسين للدراسة فإنها كانت تعقد خلال أشهر الصيف من يوليو إلى آخر سبتمبر كل عام(٢).

وللمزيد من الارتفاع بمستوى الإخوان الثقافي وإعداد كوادر من الدعاة يحملون رسالة الإخوان إلى جميع أفراد الجماعة قدم حسن البَنّا في مارس ١٩٤٠ المنهاج الثقافي للإخوان، الذي يقوم على اختيار أربع مواد دراسية كحد أدنى حسب حاجة العضو، وحاجة منطقة الدعوة وميدان العمل، ومن بين هذه المواد الدراسية ما يلي:

أ- القرآن وعلومه وتفسيره، والسنة وعلومها وما يتعلق بها.

ب- العقائد والمذاهب الفكرية.

ت- الفقه وأصوله، وتاريخ التشريع ورجاله.

ث- الفلسفة وعلم النفس والأخلاق والتربية، وعلوم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، مع دراسة تطبيقية على مصر خاصة.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٢٠-٢١.

(٢) انظر: التربية السياسية عند جماعة الإخوان المسلمين- عثمان عبد المعز أرسلان ص٤٩٨، نقلاً عن المرجع السابق ص٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي العام.

ح- فن الخطابة عملياً وعلمياً[1].

وبجوار هذا الجهد التربوي المنظم استعان الإمام البَنّا (رحمه الله) بجميع الوسائل التربوية الإعلامية والصحفية التي يمكن أن تفيد في نشر الدعوة، وضم الأعضاء الجدد، والارتفاع بالمستوى الثقافي والتربوي للأعضاء المنتسبين على اختلاف درجاتهم، وكان من وسائله في ذلك ما يلي:

أ- المحاضرات والدروس في المساجد والشعب.

ب- الندوات الخاصة ودرس الثلاثاء، المساهمة في إحياء الذكريات الإسلامية.

ت- تركيز الدعوة في الجامعات والمدارس، وإنشاء قسم الطلاب والانتفاع بجهود الأزهر الشريف، علمائه وطلابه.

ث- إصدار عدد من الرسائل والمنشورات.

ج- إصدار رسالة المرشد العام، وإصدار مجلة الإخوان المسلمين والنذير، ثم الدعوة، وتنظيم مؤتمرات دورية.

فقد بث الإمام البَنّا (رحمه الله) من خلال تلك الأنشطة التربوية المتعددة أفكار الجماعة، وجعلها روحاً سارية بين أفرادها، وأعطى كل وقته وجهده لهذا العمل التربوي الخلاق.

وكأنما أحس الإمام البَنّا (رحمه الله) في أواخر حياته أن جهده التربوي العام لم يحقق له ما أراد من تربية أجيال التغيير الإسلامي المنشود بالكم والكيف المطلوب، فاتجه إلى الاهتمام بالتعليم النظامي، وشكل لجنة للتربية بالمركز العام على رأسها عبد الحميد مطر، وكان من مهمتها إنشاء مدارس (من رياض الأطفال حتى الثانوي) للبنين والبَنّات، بهدف تنشئة جيل جديد يحرص على دينه وينفذ تعاليم ربه وينهض بالأمة النهضة المرجوة، ورغم انتشار المدارس الخاصة والأجنبية في مصر خلال تلك الفترة، فإنَّ الدارس يعجب لعدم نجاح الإخوان في إنشاء العديد من المدارس الإسلامية بالكم والكيف الذي يتناسب مع حجم دعوتهم[1].

---

(١) انظر: الفكر التربوي والحضاري عند الإمام حسن البَنّا- عبد الرحمن النقيب ص٢٦.

(١) انظر: الشيخ حسن البَنّا ومدرسة الإخوان المسلمين- رءوف شلبي ص ٢٠١- ٢٠٥، انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة- اسحاق الحسيني ص ٨٤-٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالإضافة إلى ذلك أوجب على الإخوان العاملين أربعين واجباً، منها أن يحسن الصلاة، ويواظب على أدائها في أوقاتها، وأن يحرص على المسجد والجماعة، ويصوم رمضان صيامًا صحيحًا، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، ويجدد التوبة والاستغفار، ويجاهد نفسه جهادًا عميقا حتى يسلس له قيادها، وأن يحافظ على الأوراد الإخوانية ولا يقصر في أدائها[١].

وبهذا فقد نجحت دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله) في تربية الأمة على المشاركة في الأعمال الوطنية والقومية والإسلامية، ونورت الأذهان بحقيقة ما يحاك للأمة من مكايد في الداخل والخارج، وأحيت روح الكفاح بين الشعوب المسلمة، وربت أجيالاً مستعدة للتضحية دفاعاً عن الدين والأمة.

وهذا ما ينسجم مع سنة الله في الإنسان فهو صانع التغيير في الحياة، وإبراز دوره في العملية التغييرية بدرجة كافية غدا من الضرورات الملحة، ذلك لأن المنهجية الإسلامية في التغيير جعلت الإنسان مدار الحركة الحضارية، وأوكلت إليه فعل البَنّاء والتغيير لتحقيق الخلافة على الأرض، وإدارة الصراع فوقها من خلال عقله المدرك وشعوره وطاقاته التي زوده الله بها[٢].

وبهذا يتضح جلياً الفهم الدقيق لمنهج الإمام البَنّا (رحمه الله) في مشروعه الإصلاحي الهادف لتحقيق أستاذية الأمة كمكانة مستحقة لها بين الأمم، فكان لابد وأن تنطلق من عملية تربوية أصيلة، تسير بلا تعسف ولا إرتجال، منطلقة من أصول راسخة في وجدان الإمة؛ لهذا برزت جماعة الإخوان بين الدعوات الإصلاحية شامخة لا يضيرها جهالة الجاهلين ولا كيد الحاسدين، تسعى نحو ما تريد في قوة وبصيرة وإقتدار!!

(١) انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٤٢.

(٢) انظر: الفكر التربوي والحضاري عند الإمام حسن البَنّا- عبد الرحمن النقيب ص٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

العمل الجماعي المؤسسي[١]

ومن العجب أنَّ أُناساً نظروا إلى العمل الجماعي المؤسسي وكأنَّه رجسٌ من عمل الشيطان! مع أن إسلامنا يقوم على الجماعة والاجتماع، ويبتعد عن الفرقة والافتراق، ويحذر من الشذِّ عن الجماعة. وهذا ما أدرك سرَّه الإمام البَنّا (رحمه الله) مذ كان طالباً في الإعدادية، فقد كان رئيس إدارة (جمعية الأخلاق الأدبية)، وكان لهذه الجمعية نظام داخلي.

ثم أسس بعد حين (جمعية منع المحرمات) وكان مع زملائه يرسلون رسائل للعصاة والمقصرين يأمرونهم فيها بالمعروف وينهونهم عن المنكر، وكان عمره آنذاك ثلاثة عشر عاماً.

وانتسب إلى الطريقة الحصافية، وكان عمره أربعة عشر عاماً، وبايع شيخ الطريقة وأسس مع أحمد السكري (جمعية الحصافية الخيرية)، وكانت مهمتها نشر الدعوة إلى الأخلاق، ومقاومة المنكرات، ثم تخلى عن الطريقة والجمعية عندما أدرك أن حاجة المسلمين أكبر من ذلك بكثير!

وفى القاهرة – وكان عمره ستة عشر عاماً– انتسب إلى (جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية)، وإلى (جمعية الشبان المسلمين)، فقال: «وأذكر أنني كتبت تواً إلى عبد الحميد بيك سعيد معلناً اشتراكي بالجمعية، وواظبت على دفع الاشتراك»[٢].

وكان الدافع إلى انتسابه إلى هذه الجمعيات كلها رغبته في الإصلاح، وشعوره بأهمية العمل في جماعة، ولعل هذه الجماعات كانت تتناسب مع وعيه في تلك المرحلة غير أنه يكتشف بعد قليل أن دورها جزئي محدود، وإذن لابد من جماعة تتسم بالشمولية.

ولهذا أسس جماعة الإخوان المسلمين عام١٩٢٨م[٣]، التي تميزت بأن جعلها ناظماً جامعاً، وعاملاً مُوحِّداً برباطِ الشوق وحقوق الأخوة، قائمة على العمل الجماعي المؤسسي المبني على التعاون المثمر البَنّاء المستطاع الذي يدخل في حيز القدرة الشرعية، ويؤدي إلى تنشيط واقع الدعوة الإسلامية، ويسهم في إعزاز الدين ونصرته، والتمكين للشرع المطهر.

---

(١) العمل الجماعي المؤسسي: هو كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفعالية العمل، لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبرى وفرق عمل وإدارات متخصصة: علمية، ودعوية، واجتماعية؛ بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرار في دائرة اختصاصها. انظر: مقالاً العمل المؤسسي معناه ومقوماته– عبد الحكيم بن بلال ص٤٦.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية– الإمام حسن البَنّا ص٦٠–٦١.

(٣) انظر: مقالاً مجددون معاصرون– مجلة البيان ص١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنَّ الأعمال الكبيرة لا يقوم بها فرد، وإنما تقوم بها مجموعات متعاونة تعمل حسب خطة تكاملية مدروسة، ولن نستطيع الوصول إلى أهدافنا عبر أفراد بل مجموعات منظمة تضمن استمرار العمل وتعطيه الفاعلية، فتعالوا نجتمع معاً لنكون مجتمعاً من صفوة المجتمعات وصفوة الأفراد[1].

لهذا كان إيمان الإمام البَنّا (رحمه الله) بالعمل الجماعي مذ كان صغيرًا؛ لما يعيه جيدًا بالقاعدة الأصولية المعروفة عند الأصوليين: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) وعلى هذا فأي عمل من الأعمال لا يتم إلا جماعياً فإقامة الجماعة فيه واجبة.

ولا شك أن ما هو مطلوب من الجماعات من إنجازات لا يقدر فرد أو أفراد متفرقون أن يقوموا به، ولكن يجب أن يدرك الجميع أن الولاء لجماعاتهم يكون في إطار الولاء لله ولرسولهﷺ وللمسلمين.

فإنَّ العمل الجماعي المؤسسي قد كان هذا من هدي النبي ﷺ في دعوته وجهاده، ويكفي دلالة على ذلك ما تم في حادثة بناء مسجد النبي ﷺ وحادثة حفر الخندق.. والله أعلم[2].

أولاً: ضوابط العمل الجماعي:

الضوابط التي يجب أن تضبط العمل الجماعي المؤسسي لنصرة الإسلام من خلال جماعات أهل السنة العاملة في الساحة الإسلامية أمراً مطلوباً وهاماً، لكن لابد أن يراعى في ذلك عدة أمور:

١. الانتماء إلى جماعة التي يراها المسلم الأقرب إلى الصواب والأنفع للإسلام والمسلمين.

٢. أن لا تكون الجماعة هي ما يعقد عليه الولاء والبراء، بل الموالاة والمعاداة تكون على الإسلام، والدعوة تكون إلى جماعة أهل السنة والجماعة، وليس إلى جماعة معينة.

٣. العلم بأن في هذه الجماعات الصواب، كما أن فيها الخطأ، فيعاونون على الخير والصواب، وينصحون في الخطأ، ويعرف الخطأ من الصواب بالعرض على الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه رد[3].

---

(١) انظر: مقالاً وحدة العمل الإسلامي تحت راية أهل السنة والجماعة- محمد بدري- مجلة البيان- ص١٣.

(٢) انظر: فتاوى الشبكة الإسلامية: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية- http://www.islamweb.net [تَارِيخُ الْفَتْوَى] ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٨.

(٣) انظر: المرجع السابق [تَارِيخُ الْفَتْوَى] ٠٣ جمادي الأولى ١٤٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: مبررات العمل الجماعي:

فإنَّ ما يبرر أهمية العمل الجماعي المؤسسي أن منهاج الله في الأرض لا يقوم بمجرد الوعظ والإرشاد والبيان فقط، وإن كان هذا يمثل شطرًا من الدعوة، أما الشطر الباقي فهو قيام سلطة وقيادة واتباعاً يحملون منهج الله في الأرض، ويقومون به وتبلغونه للناس بما ترسمه من الوسائل والخطط وبما تنظمه من إمكانات وتدربه من دعاة وتبثه من إعلام، ثم تحيط كل ذلك بسياج وحماية ورعاية، كما تقوم تلك السلطة بصيانة تقاليد الجماعة وحمايتها من أن يعبث بها كل ذي هوي وكل ذي شهوة وكل ذي مصلحة.

وعلى هذا قامت الجماعة الأولى في المدينة المنورة، واستمرت به الدعوة الإسلامية بعد ذلك في العصور الإسلامية المجيدة، حيث كانت تتنفس في رحابها هذا المنهج، ويتحقق في صورته الواقعية، المعروف فيها هو الخير والفضيلة والعدل، والسيادة فيها لأوامر الله، والمنكر فيها هو الشر والرذيلة والباطل والظلم، عمل الخير فيها أيسر من عمل الشر، والحق فيها أقوي من الباطل والعدل أنفع من الظلم، فاعل الخير فيها يجد على الخير أعوانا وصانع الشر يجد مقاومة وخذلانا[1].

وهذا ما ذهب إليه الإمام الداعية محمد عبده في وجوب إقامة جماعة للدعوة إلى الله حيث قال: «الدعوة في الصدر الأول قد تيسر بغير تعليم صناعي ولا تأليف جمعيات معينة، أما في هذا الزمان فإنه يتوقف فهم الدين على التعلم الصناعي، ولو تتوقف الدعوة عليه، والأمر بما جاء به من المعروف.. ثم إن كون القائمين بالأمر والنهي أمة يستلزم أن يكون لها رياسة تدبرها، لأن أمر الجماعة بغير رياسة يكون مختلاً معتلاً، فكل كون لا رياسة فيه فاسد، فالرأس هو مركز تدبير البدن وتصريف الأعضاء في أعمالها، وكذلك يكون رئيس هذه الأمة مصدر النظام وتوزيع الأعمال على العاملين؛ لتكون أعمالهم مؤدية إلى مقصد الأمة العام، فإنَّ معنى الأمة أن يكون للأفراد الذين تتكون منهم وَحْدة في القصد من أعمالهم وسيرهم فإذا اختلفت المقاصد فسد العمل باختلاف الآراء وتنكيث القوى»[2].

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص ٣١٦.

(٢) انظر: تفسير المنار- محمد رشيد رضا ج٤ ص٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: متطلبات نجاح العمل الجماعي المؤسسي:

وفي ظل ما تعانيه الأمة اليوم من أمراض التخلف الحضاري، فلا تزال ترى اليوم كثيراً من التجمعات الإسلامية محكومة بعقلية الفرد، تعيش مركزية القرار، رغم ازدياد التحديات، وتوالي المحن، وتفاقم الأزمات.

فقد أصبح أسلوب العمل الجماعي المؤسسي المحكم الذي صار أسلوب القوة والتحدي في هذا الزمان، والأمة التي يتعاون أفرادها هي أمة الريادة؛ لأن تعاونهم يضيف كل فرد إلى الآخر إضافة كيفية لا كمية، ومن ثم تتوحد الأفكار والممارسات من أجل تحقيق رسالة الأمة، وقد كان النبي ﷺ يربي صحابته على الروح الجماعية، روح الأمة، كما ضرب مثلاً – للمجتمع – بقوم أقلَّتهم سفينة، إن أراد أحدهم خرقها وجب على الجميع الأخذ على يده، وإلا غرقوا جميعاً؛ فالمسؤولية في بلوغ الريادة تقع على الأمة جميعاً في مقابل أمة الكفر. فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**[1]».

ولم يعد اليوم مجالاً للنزاع – في الساحة الفكرية على الأقل– أن العمل المؤسسي الجماعي خير وأولى من العمل الفردي الذي لا يزال مرضاً من أمراض التخلف الحضاري عند مجتمعات المسلمين، فإنَّ العمل الجماعي المؤسسي يمتاز بمزايا عدة على العمل الفردي منها:

١. أنه يحقق صفة التعاون والجماعية التي حث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية قال الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ**﴾ (المائدة: ٢)، وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»[2] وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.

٢. تضييق الفجوة بين عمل الدعاة، وردم الهوة بينهم بتحقيق ذلك المبدأ، وتأسيس الأعمال المشتركة بينهم؛ فإنَّ ذلك يقلل التصادم والنزاع، وهي الطريقة المتبعة بين الدول في تأسيس اللجان والمجالس المشتركة، وهو ما لم يشعر بعض الدعاة بأهميته وضرورته بعد.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه– كتاب الشركة– باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه رقم(٢٤٩٣) ج ٣ ص١٣٩.

(٢) رواه البخاري صحيحه– كتاب الصلاة– باب تشبيك الأصابع رقم (٤٨١) ج١ ص١٠٣، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم (٢٥٨٥) ج ٤ ص١٩٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. عدم الاصطباغ بصبغة الأفراد، ذلك أن العمل الفردي تظهر فيه بصمات صاحبه واضحة، فضعفه في جانب من الجوانب، أو غلوه في آخر، أو إهماله في ثالث لابد أن ينعكس على العمل، لكن ذلك لا يقبل من مؤسسة دعوية بأكملها! إذ هي قادرة على تحقيق هذا التكامل من خلال مجموع أفرادها[١].

٤. الاستقرار النسبي للعمل الجماعي، أما العمل الفردي فيتغير بتغير قناعات الأفراد، بذهاب قائد ومجيء آخر، يتغير بالضعف والقوة، أو بالمضمون والإتجاه.

٥. يمتاز العمل الجماعي المؤسسي بالقرب من الموضوعية في الآراء؛ ذلك أن جو المناقشة والحوار الذي يسود العمل الجماعي المؤسسي يفرض على أصحابه أن تكون لديهم معايير محددة وموضوعية للقرارات، وهذه الموضوعية تنمو مع نمو النقاش والحوار.

٦. العمل الجماعي المؤسسي أكثر وسطية؛ إذ هو يجمع بين كافة الطاقات والقدرات التي تتفاوت في اتجاهاتها وآرائها الفكرية مما يسهم في اتجاه الرأي نحو التوسط غالباً.

٧. الاستفادة من كافة الطاقات والقدرات البشرية المتاحة، فهي في العمل الفردي مجرد أدوات للتنفيذ، تنتظر الإشارة والرأي المحدد من فلان، أما في العمل الجماعي المؤسسي فهي طاقات تعمل وتبتكر وتسهم في صنع القرار.

٨. العمل الجماعي المؤسسي هو العمل الذي يتناسب مع تحديات الواقع اليوم، فالأعداء الذين يواجهون الدين يواجهونه من خلال عمل مؤسسي منظم، تدعمه مراكز أبحاث وجهات اتخاذ قرار متقدمة، فهل يمكن أن يواجه هذا الكيد بجهود فردية[٢] ؟!

٩. ضمان استمرارية العمل – بإذن الله تعالى– لعدم توقفه على فرد يعتريه الضعف والنقص والفتور، ويوحشه طول الطريق وشدة العنت وكثرة الأذى.

وللمثال: فقد كان من أقوى أسباب استمرار التعليم قوياً في الدولة الإسلامية – حتى في عصور الضعف السياسي–: قيامه على المؤسسات العلمية القوية التي تمدها الأوقاف، كما تمد سائر

---

(١) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي– عبد الكريم بكار ص ٢٣٨. وانظر: العمل الجماعي المؤسسي– عبد الوهاب الديلمي ص٣٥.

(٢) انظر: خواطر في الدعوة– محمد العبدة ص١٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجهود الدعوية والإغاثية – التي لم يُتجرأ عليها إلا في العصر الحديث – واليوم نرى استمرار المؤسسات الغربية قوية تساندها جمعيات كثيرة[١].

١٠. عموم نفعه للمسلمين؛ لعدم ارتباطه بشخصية مؤسسه، وهذا بدوره ينمي الروح الجماعية الفاعلة، ويحيي الانتماء الحقيقي للأمة، وهذا مكمن قوتها.

١١. مواجهة تحديات الواقع بما يناسبها؛ فإنَّ الأمة اليوم يواجهها تحدٍّ من داخلها، في كيفية تطبيق منهج أهل السنة مع الاستفادة من منجزات العصر، دون التنازل عن المبادئ، كما يواجهها تحدٍّ من خارجها مؤسسي منظم؛ والقيام لهذا وذاك فرض كفاية لا ينهض به مجرد أفراد لا ينظمهم عمل مؤسسي، كما لا ينهض أفراد الناس لتحدي العمل المؤسسي في مجالات الحياة الاقتصادية، أو السياسية، أو الإعلامية، أو غيرها.

١٢. الاستفادة من الجهود السابقة والخبرات التراكمية، بعد دراستها وتقويمها بدقة وإنصاف وحيادية، وبذلك يتجنب العمل الجماعي تكرار البدايات من الصفر الذي يعني تبديد الجهود والعبث بالثروات[٢].

وهذا لا يعني بالضرورة أن العمل الجماعي المؤسسي معصوم من الخطأ والخلل، لكن فرص نجاحه أكثر من العمل الفردي، واحتمال الخلل في العمل الفردي أكثر منه في العمل الجماعي المؤسسي.

ولذلك كان لجماعة الإخوان المسلمين القدرة على البقاء ومواصلة العطاء رغم كثرة الخصوم والمعاندين؛ لأنها منذ انطلاقتها الأولى وهي تحكم المؤسسة في قراراتها وخياراتها.

---

(١) انظر: خواطر في الدعوة– محمد العبدة ص١٤٧.

(٢) انظر: مقالاً العمل المؤسسي معناه ومقوماته– عبد الحكيم بن بلال– مجلة البيان– العدد١٤٣ ص٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

البيعة وما أثير حولها من شبهات وردود

سبق أن بيَّنا أهمية ومزايا العمل المؤسسي الجماعي، وليستقيم العمل وتستمر المؤسسة الدعوية محصنة من التشرذم والفرقة؛ لذلك كان حرص الإمام البَنّا (رحمه الله) على تمتين الصف الداخلي، فربطه بميثاق غليظ؛ لتحقق دعوته أهدافها وهو ما أطلق عليه (البيعة)

فكان لابد أن نقف في هذا المطلب – بالبيان والتفصيل– على مفهوم البيعة من حيث التأصيل الشرعي، وما توارد من القول ببدعية بيعة غير إمام المسلمين، وما أثار ذلك من هرج ومرج وأخذ ورد.

أولاً: مفهوم البيعة من حيث اللغة والاصطلاح:

للبيعة في اللغة معانٍ: البَيْعةُ الصَّفْقةُ على إِيجاب البيْع وعلى المُبايعةِ والطاعةِ والبَيْعةُ المُبايعةُ والطاعةُ وقد تبايَعُوا على الأَمر كقولك أَصفقوا عليه وبايَعه عليه مبايعة: عاهده، وبايعته من البيع والبيعة جميعًا والتبايع مثله، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لمجاشع حينما سأله: عَلاَمَ تُبَايِعُنَا؟ قَالَ: «**عَلَى الإِسْلاَمِ وَالجِهَادِ**» [(١)].

فهي عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره[(٢)].

أما في الاصطلاح: فقد عرفها ابن خلدون – في مقدمته– أنها العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، وصارت البيعة تقترن بالمصافحة بالأيدي.

هذا مدلولها في اللغة ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة، وعند الشجرة، وحيثما ورد هذا اللفظ[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه– كتاب الجهاد– باب البيعة في الحرب، رقم (٢٩٦٢) ج٤ ص٥٠، وأخرجه مسلم في صحيه– كتاب الإمارة– باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد، رقم (١٨٦٣) ج٣ ص١٤٨٧.

(٢) انظر: لسان العرب– بن منظور ص٢٣.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ص٢٠٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالبيعة إذن تعني: إعطاء العهد من المبايع على السمع والطاعة للأمير في غير معصية، في المنشط والمكره والعسر واليسر وعدم منازعته الأمر وتفويض الأمور إليه.

ثانياً: أدلة مشروعية البيعة:

مبايعة المسلمين للرسول ﷺ إنما هي مبايعة لله تبارك وتعالى، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠)، هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي (بيعة الرضوان) التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله ﷺ، على أن لا يفروا عنه، فهي عقد خاص، فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم (يُبَايِعُونَ اللَّهَ) ويعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكيده أنه قال: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) أي: كأنهم بايعوا الله، وكل هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء بها(١).

فيده سبحانه في الثواب فوق أيديهم في الوفاء، ويده في المنة عليهم بالهداية فوق أيديهم في الطاعة(٢).

وفي صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ، وَقَالَ: «**بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نَفِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ**»(٣).

وفي بيعة العقبة الأولى بايع المسلمون الرسول ﷺ على بيعة النساء قبل أن تفرض عليهم الحرب، فعن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ج١ ص ٧٩٢.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس- لعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ج١ ص ٤٣٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٦ ص٢٦٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإمارة- باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، رقم (١٨٥٦) ج٣ ص١٤٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ[١].

وحين تخوف عمر بن الخطاب ﷺ الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسطها، فبايعه، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار[٢].

ويتضح من ذلك أنه استفاض عن رسول الله ﷺ أن الناس كانوا يبايعونه تارة على الهجرة والجهاد وتارة على إقامة أركان الإسلام وتارة على الثبات وتارة على التمسك بالسنة والاجتناب عن البدعة والحرص على الطاعات [٣].

ومن أعلن الإسلام فإسلامه صحيح إذا التزم أحكام الإسلام، وإن لم تحصل منه البيعة؛ لأن النبي ﷺ كان يعلم الناس الإسلام ويقبله منهم من دون أن يشترط عليهم البيعة في ذلك، ومعلوم من أدلة أخرى أن الواجب على المسلم السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف وإن لم تصدر منه بيعة [٤].

شبهات متواردة:

لم يكف البعض بتحميل البيعة دلالاتٍ لم تحتملها، وليست بالأمر المتبع عن الأئمة المعتبرين، حيث قرر الأصوليون: أن لازم المذهب ليس بمذهب.

أما أن تحمَّل البيعة جريرة إتلاف أموال الآمنين، وسفك دماء المعصومين من المسلمين والمستأمنين والمعاهدين، وقولهم أنها تتضمن أن يجعل الإنسان لنفسه إمامين وسلطانين: الإمام الأعظم الذي هو على جميع البلاد، والإمام الذي بايعه، وأنها تفضي إلى شر بالخروج على الأئمة الذي يحصل به من سفك الدماء، وإتلاف الأموال، ما لا يعلمه إلا الله!!

---

(١) صحيح البخاري- كتاب الإيمان- باب علامة الإيمان حب الأنصار رقم (٣٦٧٩) ج١ ص١٢،١٣. وأخرجه مسلم- كتاب- الحدود باب الحدود كفارات لأهلها رقم (١٧٠٩) ج٣ ص١٣٣٣.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ص ٦٦٠ من الجزء الرابع.

(٣) انظر: قواعد الفقه- محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ص٢١٦.

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الثانية: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء- موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء- http://www.alifta.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد سبق الإشارة إلى ما استفاض عن رسول الله ﷺ من أمر بيعتهم له في كل أمر خير، ثم إذا كان التأمير واجب لجماعة في سفر قاصدٍ، أليس أمر تمكين للمسلمين في الأرض لإقامة دين الله داخل من باب أولى؟![1].

فالبيعة كانت معهودة منذ القدم، ومعروفة في عهد الرسالات السابقة، وكان أصحاب الأنبياء يبايعونهم إما على النصرة والحماية، وإما على إعلاء كلمة الله تعالى، وتشير إلى هذا آية الصف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ (الصف: ١٤).

وفي عصرنا كثيرة هي المؤسسات التي تكتب إقرارًا رسمياً لمنتسبيها بتعهدهم بالالتزام باللوائح المنظمة للعمل فيه تلك المؤسسات، والإمتثال لقراراتها، والحفاظ على أسرارها، وإخلاص الانتماء إليها.

فلم التنطع والمغالاة باعتبار بيعة غير ولي أمر المسلمين مما تؤخذ في الجماعات بيعة منكرة شاذة؟!

قال صاحب المنار: « ثم إن كون القائمين بالأمر والنهي أمة يستلزم أن يكون لها رياسة تدبرها ؛ لأن أمر الجماعة بغير رياسة يكون مختلاً معتلاً، فكل هيكل تنظيمي لا رياسة فيه فاسد، فالرأس هو مركز تدبير البدن وتصريف الأعضاء في أعمالها، وكذلك يكون رئيس هذه الأمة مصدر النظام وتوزيع الأعمال على العاملين، فمنهم من يوجهون إلى دعوة غير المسلمين إلي الإسلام، ومنهم من يوجهون إلى إرشاد المسلمين في بلادهم، ومقام الرياسة يختار بالمشاورة لكل عمل، ولكل بلاد من يكونون كفاء للقيام بالواجب فيها، لتكون أعمالهم مؤدية إلى مقصد الأمة العام، فإنَّ معنى الأمة أن يكون للأفراد الذين تتكون منهم وَحْدة في القصد من أعمالهم وسيرهم فإذا اختلفت المقاصد فسد العمل باختلاف الآراء وتنكيث القوى» [2].

فالتعاهد على الدعوة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبيعة عليه لازمة،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢)،

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي، ص٣١١.

(٢) تفسير المنار- محمد رشيد رضا ج٤ ص٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، هذا وقد أخذ الرسول ﷺ بيعات كثيرة روتها كتب السنة الصحاح- سبق أن بينا جانباً منها.

فقد انتهى الإمام حسن البَنّا إلى أن إعادة الخلافة والوَحْدة الإسلامية، وحكم الإسلام لا سبيل له إلا عن طريق إقامة جماعة وتعاون من الجميع، حتى تكون عصبة للحق وسندا للدفاع عنه وتحقيقه في الأمة(١).

فالعمل على إعادة الخلافة ليستظل بفيئها المسلمون بل والناس أجمعون، عندما تقوم على واجب حراسة الدين وسياسة الدنيا ليس بالأمر الهين، أما تعليق الأمر على البيعة فقط لحاكم المسلمين، وإن كان لا يرى ضرورة أن يكون الدين نظامًا يحتكم إليه الناس في شئون دنياهم كما في أخراهم، ومع تعدد أشكال البيعات وتنوع مضامينها التي ثبتت فيما رُوري عن الرسول ﷺ فهو يدل على أن أمر البيعة ليست مثبتة على وضع واحد لا يتغير، وإنما هي متطورة مع المصلحة.

فعلى هذا فإنَّ تنوع البيعة يكون ناشئاً عن المصلحة، فإذا كان المقصود بها الرباط الروحي الذي يربط المبايِع والمبايَع فكان ذلك مدعاة لعلاقة دنيوية سببها عقد، مع أن النسب غير موجود بين المبايِع والمبايَع، وإنما جاء الربط بسبب هذه البيعة والالتزام؛ فهي مدعاة للإلتزام والوفاء بها فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا فَإِنْ أَعْطَاهُ وَفَى لَهُ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِ لَهُ**» (٢).

وعلى هذا فإنَّ البيعة التي بها تنشأ حقوق ويترتب عليها واجبات، فقيمتها وأهميتها تنبع من مضمون الحق الذي تُنشئه، فليس من الوارد قول القائل أنها كانت منشأ للإتلاف والقتل في سياق الحديث عن بيعة لأناس يتعاهدون على العمل لدين الله والسمع والطاعة في غير معصية، لكن من غير المفهوم أن من يجيزون العمل الجماعي في الدعوة إلى الله مع ما في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقرار الخير بين الناس تكليف شديد وليس بالأمر الهين أو اليسير، إذا نظرنا إلى طبيعته وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم وأهوائهم ومصالحهم ومنافعهم، وفيهم الجبار الغاشم، وفيهم الحاكم المتسلط وفيهم الهابط والمنافق الذي

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٣١٢.

(٢) هذا لفظ الترمذي أخرجه في سننه برقم (١٥٩٥) وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الألباني ج ٤ ص١٥٠. وهو طرف من حديث قد أخرجه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة، وهو مذكور في فصل «آفات النفس» من كتاب «اللواحق»، وهو في آخر الكتاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكره الجد، وفيهم المسترخي الذي يكره الصعود، وفيهم المنحل الذي يكره الفضيلة، وفيهم الظالم الذي يمقت العدل، وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة [١].

ثالثاً: البيعة في منهج الإمام البَنّا (رحمه الله) الدعوي:

فالبيعة ليس أكثر من عقد ضمانة ينشئ حقوقاً بميثاق وقسم، وأنها ليست أكثر من آلية لضبط الحقوق والتأكيد على ضرورة الالتزام بما تؤمن به من مبادئ وأفكار، والإلزام لمن تعهدت أن تسلك معهم الطريق للوصول إلى الغاية، لذا فقد وضع الإمام البَنّا (رحمه الله) أركاناً لهذا الواجب الذي عاهدت الله أن تلزم نفسك السير في ضوئه والعمل على تحقيقه ولذلك حدد لها الإمام عشرة أركان وهي: «أركان بيعتنا عشر فاحفظوها: الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوَّة والثقة»[٢].

وأكد على ضرورة القيام بواجب الطاعة وإنفاذه توَّاً في العسر واليسر والمنشط والمكره، والمراد بهذا الواجب هو امتثال الأمر في مراحل هذه الدعوة ثلاث وهي:

١. **مرحلة التعريف:** بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظام الدعوة في هذا الطور نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام، ووسيلتها: الوعظ والإرشاد تارة، وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية.

٢. **مرحلة التكوين:** باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض.

٣. **مرحلة التنفيذ:** الدعوة في هذا الطور جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذا الطور إلا كمال الطاعة كذلك[٣].

فالطاعة التي تنشأ عن ذلك الميثاق والعهد، للمرشد ومن ينوب عنه موجهة وفق برنامج واضح المعالم محدد المراحل حتى يصطبر الأخ السالك في دروب الدعوة متسلحاً بالمعرفة أين وجهته فإنَّ في تلك المعرفة عدة السالكين للصبر على صعوبة الطريق ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ (الكهف : ٦٨)، فيثبت على الطريق؛ ليظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته مهما بعدت المدة، وطالت السنون والأعوام، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنيين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٣١٦.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٤-٢٧٥.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٢٨١-٢٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٢٣)، والوقت عندنا جزء من العلاج، والطريق طويلة المدى، بعيدة المراحل، كثيرة العقبات، ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة، فالقلوب التي توثق بينها رباط متين تخلق مناخ للتضحية، فكل يقدم نفسه في ميادين التضحية والجهاد، ويعزف عن كل مطمع غير الغاية التي أوقف نفسه إليها بعدما اطمأن القلب بها، وهذا ما يوجد أجواء من الثقة بين القيادة والقاعدة الثقة، فقال الإمام (رحمه الله) : «وأريد بالثقة، اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥)، وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعاً، والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات» [١].

لماذا أولى الإمام البَنّا (رحمه الله) القيادة في دعوته كل هذا الاهتمام وكل تلك الحقوق؟

والجواب: لأنها محل الرأس من الجسد، فمسئولياتها عظيمة، فما أن تستقر تلك المفاهيم في النفوس وتتأكد المعرفة لا بد أن تلزم العمل حيث قال الإمام (رحمه الله) : «إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات –وعدد أربعين واجباً– حتى تكون لبنة قوية في البَنّاء»[٢].

فبنظرة على ما أكد عليه الإمام البَنّا (رحمه الله) من الواجبات الناشئة عن العقد (البيعة) فهي ليست تشريعاً ما لم يأذن به الله بل هي تعاهد على مكارم الأخلاق وأمر بالطاعات واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ فهي وَحْدة واحدة لم تفرق بين دين ودنيا، وكأنها تعالج كل شُعَب الإيمان كما أخبر النبيﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[٣]؛ ولأن حقيقة الإيمان إقرار وعمل، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٨٢.

(٢) المصدر السابق ص٢٨٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه– كتاب الإيمان– باب شعب الإيمان، رقم (٣٥) ج١ ص٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

دعوى غلو الإخوان في شخص البَنّا

مما نهى عنه الإسلام وحذر منه الغلو في شأن الصالحين، ولعل أول شرك وقع في الأرض كان سببه الغلو في الصالحين، وقد غلا قومٌ من النصارى في شأن المسيح حتى جعلوه ابناً لله، أو ثالث ثلاثة، وقال بعضهم: إن الله هو المسيح بن مريم!!

وغلا قومٌ في أحبارهم ورهبانهم؛ فاتخذوهم أرباباً من دون الله! من هنا حذر الله من غلو أهل الكتاب وشنع عليهم في ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ (النساء: ١٧١)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧).

ولكن ذلك لا ينبغي أن يكون مدعاة للبس والالتباس بين الغلو المذموم وبين تقدير الصالحين وحبهم فيما هم فيه من الصلاح والطاعة لله تعالى، فكم يُسعد الإنسان أن يرى عالماً يحترم أخاه، ومجاهدًا يقدر مكافحاً في سبيل الحق، وداعية يُعضد مصلحًا ويشد من أزره، وكم يبتئس الإنسان ويأسى ويأسف لعالم يسب آخر أو يقع في عرضه أو يحاول تشويه سمعته، أو غمزه ولمزه، وكم يفجع الإنسان في دعاة يغمطون الحق ويتعامون عن الصواب[١].

وكم يسعد الفضلاء في العصر الحديث إن وجد بقية من هؤلاء الصالحين الذين يقدرون جهد الدعاة والعلماء والمفكرين، كما ذكرنا من تقدير العلماء الأجلاء وحسن ثنائهم على الإمام البَنّا (رحمه الله)، ومن هؤلاء الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي حيث وصف الإمام البَنّا (رحمه الله) في مقدمة مذكرات الدعوة والداعية: «هذه الشخصية التي هيأتها القدرة الإلهية، وصنعتها التربية الربانية، وأبرزتها في أوانها ومكانها»[٢].

منهج الإمام البَنّا في تمتين أواصر المحبة للصالحين:

إن تقدير الصالحين والثناء على معروفهم قربة إلى الله، هذا ما أكده الإمام البَنّا (رحمه الله) حيث جعل ذلك أصلاً ثابتاً من أصول فهم الإسلام العشرين: «محبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٩٣.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في قول الله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ (فصلت: ١٨)، والكرامة ثابتة بشرائطها الشرعية، مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم»[١].

وكذلك عمل الإمام البَنّا (رحمه الله) على تمتين روابط المحبة بين الإخوان وقيادتهم، ففي الركن العاشر من أركان البيعة (ركن الثقة)، قال: «وأريد بالثقة: اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)؛ فمقام القائد في دعوة الإخوان المسلمين جزء من الدعوة، ولا دعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد: ٢٠-٢١).

فللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعاً.

فكل تلك الطاعة التي أولتها دعوة الإخوان للقيادة موقوفة على موافقة الأوامر التي تصدر إليه من القيادة – في غير معصية طبعاً– قاطعةً لا مجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير، مع أبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب، وأن يفترض في نفسه الخطأ وفي القيادة والصواب، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص شرعي[٢].

وحرص كذلك الإمام البَنّا (رحمه الله) أيضا على تمتين المحبة بين الإخوان وبعضهم، والناس جميعاً، وهذا ما كان يؤكده في كل لقاء يجمعه بالإخوان: «أيها الإخوان الكرام: إنها لنعمة كبرى وسعادة تسمو على الوصف والتعبير أن يجتمع إخوان متحابون في الله تبارك وتعالى من بلدان مختلفة وأماكن متباعدة في صعيد واحد لا يجمعهم رحم واشجه، ولا تضمهم قرابة واصلة ولا يؤلف بينهم نسب وصهر ولا توحد صفوفهم مصلحة مادية أو غاية دنيوية إنما هو الحب في الله،

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٢٨٣، ٢٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاجتماع عليه والعمل له والاستجابة لدعوته. فاستبشروا أيها الإخوان فإني أرجو أن نكون إن شاء الله تعالى ممن يستجيبون لنداء الله يوم يدعو داعية «**أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**[1]» [2].

أما في الواقع العملي فقد اجتهد الإمام البَنّا (رحمه الله) في مشاركة الإخوان في كل المناسبات الفردية والاجتماعية، ويوجههم في حياتهم العامة والخاصة أفضل توجيه ويدير معهم الحديث في كل المناسبات ويخلص لهم الحب والمودة من كل نفسه، وهم يبادلونه هذه العاطفة وهذا الشعور من أعماق قلوبهم وهذا سر تماسكهم، وعجز الدسائس والفتن عن أن تصل إلى كيانهم أو تنال من بنيانهم[3].

ولكن من أوقفوا أنفسهم للتجريح لم نجدهم قد فهموا هذا الفهم العالي للعمل الإسلامي المنظم، وما للقيادة من أهمية. فما يجدونه من محبة الإخوان لقيادتهم ولا سيما إمامهم الأول ومؤسس جماعتهم غلو في شخصه، أو تقديس لذاته ليس له من الحقيقة نصيب.

فمحبة الإخوان تلك لم تخرج عن إطار التقدير والطاعة المبصرة، فلم نسمع أن أي من الإخوان وفي أي قطر من الأقطار التي تنتشر فيها الجماعة أقام أي مظهر من مظاهر الغلو المنهي عنه.

قال الأستاذ عباس السيسي (رحمه الله) تحت عنوان حسن البَنّا... في رشيد: «في أوائل سنة ١٩٣٦م كانت قلوبنا متلهفة لرؤية حسن البَنّا فقد سمعنا عنه كثيرًا وتطلّعْنا إلى رؤيته الشخصية، فقد كانت له عندنا صورة – قمنا بتكبيرها.. والتففنا حول فضيلة المرشد نسلم عليه ونحاول كعادتنا مع من هو أكبر منا أن نُقَبّل يده ولكنه كان يمتنع عن ذلك بشدة وسرنا في موكب المرشد العام على الأقدام من محطة السكة الحديد إلى دار الجمعية.

حتى إذا اقتربنا من دار الجمعية رأى الأستاذ البَنّا صورته موضوعة فوق منصة الخطابة وكنت أسير بالقرب منه ولم يكن سني قد تجاوز السابعة عشرة فربَتَ على كتفي بيده وقال لي: «لمن هذه الصورة؟» فقلت له: «إنها صورة الشيخ البَنّا». فقال لي: «إذا كان الشيخ البَنّا موجوداً شخصيًّا فما الداعي لوجود هذه الصورة، اذهب فأنْزِلْها».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه– كتاب البر والصلة والآداب– باب في فضل الحب في الله، رقم (٢٥٦٦) ج٤ ص١٩٨٨.

(٢) انظر: مذكرات الدعوة والداعية– الإمام حسن البَنّا ص٢٣٩.

(٣) انظر: حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد– أنور الجندي ص٤٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فصعدتُ فوق منصبة الخطابة كي أقوم بخَلْع الصورة ولكن الإخوان صاحوا، قال لهم الأستاذ البَنّا: «أنا أمَرْتُه بإنزالها». فأنزلْتُها.

وكانت هذه أول صلتي بالأستاذ البَنّا، وكان أول درس في التوجيه والتربية تأثرتُ به تمامًا. وإن لم أكن قد فقهتُ بعد، غير أن الضمير والقلب يعي دائمًا الدروس الصادقة[1].

وذكر الإمام البَنّا (رحمه الله) في مذكراته أن أحد المدرسين دخل عليه وجلس معه، وجاء الإخوان يسلّمون عليه في شغفٍ شديدٍ واحترام فقال له هذا المدرس: «يا أستاذ إن الإخوان يحبونك إلى حَدّ العبادة»، فعاتبه الإمام البَنّا (رحمه الله) على هذا التعبير عتابًا قاسيًا وقال له إن هذا التعبير غير إسلامي جاءنا به الأدب الأوربي والميوعة الغربية، وانزلق إلى ألسنتنا وأقلامنا بحكم التقليد الأعمى، وإن من واجب كل مسلم أن يحترس من مثل هذه التعبيرات والألفاظ [2].

فأي تقديس إذن وأي غلو بعد هذا التوجيه الحكيم والإرشاد المبصر للإخوان المسلمين من مرشدهم الإمام البَنّا (رحمه الله) من محبة الصالحين بما هم أهل له؟!

(١) انظر: مواقف في الدعوة والتربية ص٣٣ – ٣٤، نقلاً عن الوجه السلفي لجماعة الإخون المسلمين– شحاتة محمد صقر ص٦٧– ٧٠.

(٢) انظر: مذكرات الدعوة والداعية ص١٢٦– ١٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

منهج الإمام البَنَّا (رحمه الله) في الاختلاف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الاختلاف وأنواعه وأسبابه.

المطلب الثاني: موقف البَنَّا من الخلاف.

المطلب الثالث: موقفه من الهيئات ومؤسسات العمل الإسلامي.

المطلب الرابع: موقفه من المسائل التي لا ينبني عليها عمل.

www.manaraa.com

المطلب الأول

حقيقة الاختلاف وأنواعه وأسبابه

عند الحديث عن منهج الإمام البَنّا (رحمه الله) في الاختلاف لا بد أن نقف على أوجهٍ محددة في الخلاف، مبينين حقيقة الاختلاف من خلال الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي، وعلم الخلاف، وأنواعه سواءً: التنوع أو التضاد، وأسباب الخلاف.

أولاً: تعريف الاختلاف:

في اللغة: الاختلاف افتعال من الخلاف، وهو تقابل بين رأيين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه، وهو مصدر اختلف، والاختلاف نقيض الاتفاق، واختلف الأمران لم يتفقا، وكل ما لم يتساوَ فقد اختلف، وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق(١).

وفي الاصطلاح: فقد عرفه المناوي بأنه افتعال من الخلاف بين رأيين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه. والخلاف أعمُّ من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين (٢).

إذن يمكن أن تقول: إن الخلاف يدل على تباين في الآراء والمواقف حول أمر من الأمور واختلاف في وجهات النظر، أو تعدد الآراء والاتجاهات في القضية الواحدة سواء أكانت هذه الآراء متضادة أم لا، وسواء أدَّت إلى النِزاع أم لا(٣).

وقد فرق التهانوي بين الاختلاف والخلاف فقال: «الاختلاف يستعمل في قول بني على دليل، والخلاف فيما لا دليل عليه» (٤).

أما عِلْم الخلاف: فهو علم يُعرف به كيفية إيراد الحُجَج الشرعية ودفع الشُبَه وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية(٥).

---

(١) انظر: المصباح المنير للفيومي ص١٧٩، ومختار الصحاح للرازي ص٧٨، انظر: الائتلاف والاختلاف- صالح السدلان ص١١.

(٢) التوقيف على مهمات التعريف- زين الدين محمد المناوي ص ٤١، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ص٢٩٤، والمعجم الوسيط ص٢٥١.

(٣) انظر: فقه التعامل مع المخالف- عبد الله الطريقي ص١٥.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم- محمد بن على التهانوي ج١ ص ١١٦.

(٥) فقه التعامل مع المخالف- عبد الله الطريقي ص١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: أنواع الاختلاف:

الاختلاف نوعان من حيث الطرح، وهما اختلاف تنوعٍ واختلاف تضاد.

النوع الأول: اختلاف تَنَوُّع: وهو عبارة عن الآراء المتعددة التي تَصُبُّ في مَشْرَبٍ واحد، فاختلاف التنَوُّع هو ما لا يكون فيه أحد الأقوال مناقضاً للأقوال الأخرى بل كل الأقوال صحيحة، وهذا الخلاف ليس فيه مذمَّة وإنما الذمُّ في بغي الناس بعضهم على بعض بسببه[١].

ومن ذلك ما يُعرف بالاختلاف المحمُود، وهو الاختلاف الحاصل نتيجة الاجتهاد في المسائل الاجتهادية التي ليس فيها دليل واضح من كتاب أو سنَّة أو إجماع في قضايا متفاوتة.

ومنه كذلك ذكر كل من المختلفين من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثال ذلك تفسير قوله تعالى:﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (فاطر: ٣٢)، قال بعضهم: السابق الذي يصلى أول الوقت، والمقتصد في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلي الاصفرار، وقيل: السابق المحسن بالصدقة، والمقتصد بالبيع، والظالم بأكل الربا[٢].

النوع الثاني: اختلاف تَضَاد: وهو عبارة عن الآراء أو الأقوال المتنافية المتنافرة، سواء أكان في أصول الدين أم في فروعه[٣].

والخلاف في أصول الدين يشمل الخلاف مع غير المسلمين كلهم، ومع الفرق والجماعات المخالفة لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة، والخلاف في فروع الدين يشمل ما هو مُجمَع عليه كتحريم المسكر، وتحريم الربا.

فاختلاف التضاد هو أن يكون كل قول من أقوال المختلفين يضاد الآخر ويُحكم بخطئه أو بطلانه، و يكون في الشيء الواحد[٤].

ويدخل فيه كذلك الاختلاف الناتج عن اتباع الهوى والتقليد الأعمى لمذهب معين، والتعصب المَمْقُوت لشخص أو جماعة أو لحزب. ولهذا فإنَّ المسلم طالب الحق، باحث عن الحقيقة، ينشد الصواب ويفرُّ من الخطأ، فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ**

---

(١) انظر: فقه التعامل مع المخالف– عبد الله الطريقي ص٢١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية ج١٣ ص٣٣٧، والموافقات للشاطبي ج٤ ص٢١٤.

(٣) انظر: فقه التعامل مع المخالف– عبد الله الطريقي ص٢٢.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، **قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»**[1].

قال الإمام الشافعي (رحمه الله): «إذا جاء عن أصحاب النبي ﷺ أقاويل مختلفة، يُنظر إلى ما هو أشبه بالكتاب والسنَّة فيُؤخذ به»[2].

ثالثاً: أسباب الاختلاف:

للاختلاف أسباب عدة، يذكر منها الإمام البَنّا (رحمه الله):

١. اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه، وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص على أعماق المعاني، وارتباط الحقائق بعضها ببعض، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها، والناس في ذلك جد متفاوتين فلا بد من خلاف.

٢. سعة العلم وضيقه، وإن هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك، وقد قال مالك للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور: إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة.

٣. اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند التلقين لها، فبينما نجد هذا الراوي ثقة عند هذا الإمام تطمئن إليه نفسه وتطيب بالأخذ به، تراه مجروحا عند غيره لما علم عن حاله.

٤. ومنها: اختلاف تقدير الدلالات[3].

فالاختلاف إما أن يكون ناشئاً عن هوي؛ فهو موضع الذم، إذ إن الفقيه تابع لما تدل عليه الأدلة الشرعية، فإن صرف الأدلة إلى ما تهواه نفسه فقد جعل الأدلة تابعة لهواه، أو ناشئاً عن الاجتهاد المأذون فيه[4].

وذكر الشاطبي أن الخلاف الناشئ عن الهوى هو الخلاف حقيقة، وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصاً على الغلبة والظهور بإقامة العذر في الخلاف، وأدى إلى الفرقة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الإيمان- باب تحريم الكبر وبيانه، رقم(٩١) ج١ص٩٣. (بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا (غمط الناس) معناه احتقارهم.

(٢) آداب الشافعي - ابن أبي حاتم ص٢٣٥.

(٣) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٤٢-١٤٤.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين- للغزالي ج١ ص٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبغضاء، لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، فأقوال أهل الأهواء غير معتد بها في الخلاف المقرر في الشرع[١].

أما الاختلاف الناشئ عن الاجتهاد المأذون فيه فله أسباب مختلفة، ويرجع الاختلاف إما إلى الدليل نفسه، ومن ذلك: الإجمال في الألفاظ واحتمالها للتأويلات، ودوران الدليل بين الاستقلال بالحكم وعدمه، ودورانه كذلك بين العموم والخصوص نحو قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٦) اختلف فيه هل هو عام أم خاص بأهل الكتاب الذين قبلوا الجزية؟، واختلاف القراءات بالنسبة إلى القرآن العظيم، واختلاف الرواية بالنسبة إلي الحديث النبوي، ودعوى النسخ وعدمه، وعدم اطلاع الفقيه على الحديث الوارد أو نسيانه له[٢].

وأما الاختلاف الناشئ إلى القواعد الأصولية المتعلقة به فمن العسر بمكان حصر الأسباب التي من هذا النوع، فكل قاعدة أصولية مختلف فيها ينشأ عنها اختلاف في الفروع المبنية عليها.

الإنكار والمراعاة في المسائل الخلافية: «لا ينكر المختلف فيه ولكن ينكر المجتمع عليه.. ويستثنى منها صور ينكر فيها المختلف فيه:

إحداها: أن يكون ذلك المذهب بعيد المأخذ.

والثانية: أن يترافع فيه لحاكم، فيحكم بعقيدته، إذ لا يجوز للحاكم أن يحكم بخلاف معتقده.

والثالثة: أن يكون للمُنْكِر فيه حق، كالزوج المسلم يمنع زوجته الذمية من شرب الخمر، بالرغم من وجود خلاف في حقه بمنعها وعدمه»[٣].

وكذلك من قلَّد في مسائل الاجتهاد لا يُنكَرُ عليه ولا يُهجر، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى عن العلماء المصنفين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره قولهم: «إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تُنكر باليد، وليس لأحد أن يُلزِم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية، فمن تبيَّن له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلَّد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه»[٤].

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ج٤ ص٢٢٢- ٢٢٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ج٤ ص٢١٣.

(٣) الأشباه والنظائر- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص١٤.

(٤) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج٣٠ ص٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنَّ ارتفاع الخلاف بتصرف الإمام أو نائبه، قال الإمام البَنّا (رحمه الله) : «إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى (الخليفة)، فيقضي بينهم ويرفع حكمه الخلاف، أما الآن فأين الخليفة؟ وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضي، ثم يعرضوا قضيتهم عليه، فإنَّ اختلافهم من غير مرجع لا يردهم إلا إلى خلاف آخر»[١].

وهذا ما قاله ابن تيمية (رحمه الله): «إذا كانت المسألة من مسائل الاجتهاد التي شاع فيها النزاع لم يكن لأحد أن ينكر علي الإمام ولا على نائبه من حاكم أو غيره، ولا ينقض ما فعله الإمام ونوابه من ذلك»[٢].

ومع هذا يذكر ابن تيمية(رحمه الله): «أن الواحد من العلماء والأمراء ليس معصوماً، ولهذا يسوغ لنا أن نبين الحق الذي يجب اتباعه، وإن كان فيه بيان خطأ من أخطأ من العلماء والأمراء» [٣].

وعليه فإن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية فمن المفترض على كل متناظرين أنهما طالبا حق، لكن قد يخفى الحق عليهما أو على أحدهما، والخفاء قد يكون سببه خفاء الدليل أو الدلالة، فيختلفإنَّ فتقع بينهما المناظرة، وقد تتكشف المناظرة ولا يتفقان على قول واحد، لكنهما مستصحبان للنية الأولى وهي طلب الحق.

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٤٤- ١٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج٣٠ ص٤٠٧.

(٣) المرجع السابق ج١٩ ص١٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

موقف البَنّا من الخلاف

وبعد هذا العرض التفصيلي للخلاف، نذكر أن الإمام البَنّا (رحمه الله) قد عاصر تعصبًا مذهبياً مقيتاً كاد يقضي على وَحْدة الأمة، حتى كانت تقام في المسجد الواحد عدة جماعات لكل مذهب جماعته!

وفي مواجهة تلك الحالة المرضية التي هددت كيان الأمة، أرسى الإمام البَنّا (رحمه الله) قواعد واضحة لأركان العمل الدعوي: قواعد للفهم، وقواعد للتربية، وقواعد في التنظيم، وقواعد في الاستراتيجية والحركة، وأبقى الباب مفتوحاً بعد ذلك لأنواع من الاختلافات في وجهات النظر لا تضر وَحْدة الجماعة ما دام هناك التزام بتلك القواعد.

وما دام الاختلاف منضبطاً بها وبهذا وأمثاله استطاع الإمام البَنّا (رحمه الله) أن يقيم بناء يتوسع على الأزمان، وأن يوجد الإطار الكلي الذي يضم المسلمين جميعاً فكراً وتنظيماً.

واستطاع أن يجمع بين الأفكار الصالحة كلها، وينفي الأفكار الخاطئة كلها فجمع في دعوته ما تفرق عند غيره من خير، وأبعد جماعته عما يوجد في غيرها من شر أو دخن فنادى الإمام البَنّا (رحمه الله) بأن: «الإسلام يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق الناس بها، ولا يمنع من أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أي مكان، فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا مفيد ونطبقه، وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا.

فالإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»[1].

فقد آثر الابتعاد عن أجواء الخلاف المذموم الذي ألقى بثقله على الحياة في عصره التي لن تقدم ولن تؤخر ولن تقدم حلولا عملية تنهض بالأمة من كبوتها، فقال: «ثقوا تماماً أن دعوتنا لا تكون إلا مصدر حب وإخاء، ونحن والحمد لله لا نختلف مع حاكماً كان أو محكوماً ما دام الكل يعمل بإخلاص، إن فكرة الإخوان هي تخليص الناس من الآراء الكثيرة التي فرقت الكلمة وصرفت القلوب، وترجعهم إلى المعين الأول وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه»[2].

---

(١) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر– سعيد حوّى ص٧٠، مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٧.

(٢) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا– أحمد عيسى عاشور، ص٤٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان خير ما فعل الإمام البَنّا (رحمه الله) أمام هذا الاستقطاب الحاد أنه جمع بين النظر العقلي والنظر الشرعي بين الغلاة الذين تخندقوا أمام ظواهر النصوص، والغلاة الذين ألَّهوا براهين العقول ونقلوها من النسبية إلى الإطلاق، حيث وقف الإمام بالتجديد الإسلامي عند وسطية الإسلام فقطع باستحالة الخلاف والصدام والتناقض بين (النظر العقلي) و(النظر الشرعي) في الأمور (القطعية)[١]، فقال: «وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي، فإنَّ كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالإتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار» [٢].

وأفرد قائلاً: «أن الإسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول، وعن أرشدها إلى التزام حدها، وعرفها قلة علمها، وندبها إلى الاستزادة من معارفها، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الاسراء: ٨٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤) » [٣].

فهذا الموقف الإسلامي الوسط إزاء العقل والعقلانية نابع من التمييز بين مجالات البحث وطبائع الأشياء موضوع النظر فمن هذه المجالات ما تكون السيادة الأولى فيه للنظر العقلي ومنها ما تكون السيادة الأولى فيه للنظر الشرعي، وهناك ميادين تكون السيادة فيها للحواس والتجربة وأخرى تكون السيادة الأولى فيها للقلب والوجدان[٤].

كما وحدَّ الهدف والمقصد والمبدأ نحو الإسلام فقال: «كي تكون الأمة عزيزة قوية يجب أن تجمع الناس والقلوب والهمم والعزائم والأفكار على مبدأ واحد وهدف واحد ومقصد واحد هو الإسلام ومبادئ الإسلام... حتى يقتنع الناس بالنتيجة الطبيعية، ويتضح الحق للناس فيعرفوه، ولا يعرفوا غيره، فإنه لا قيام للباطل إلا بعد غفلة الحق»[٥].

كما وعمَّق الإمام البَنّا (رحمه الله) الإيمان برسالة الإسلام، فجمع القلوب على رسالة الإسلام حتى يهزها الشوق ويحييها الأمل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى

(١) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٣٢- ٣٣.
(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٧.
(٣) المصدر السابق ص٤٦- ٤٧.
(٤) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة، ص٣٥.
(٥) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٤٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢)، نريد أن يصل هذا النور إلى القلوب التي طال بها الجحود ليسعدوا بروحانية هذه الرسالة، فإذا آمنت ثم تجمعت على كلمة الحق وجدت الأمة الصالحة، وإذا وجدت الأمة الصالحة وجدت الحكومة الصالحة. وأكد أيضاً على قاعدة المنار واعتبرها من الجمل الموجهة (قاعدة المنارة الذهبية تتعاون فيما اتفقنا عليه، ونعذر فيما اختلفنا فيه)[١].

وأضاف (رحمه الله) قائلاً: «نعتقد هذا فنلتمس العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، فأصحاب رسول الله ﷺ كان يخالف بعضهم بعضاً في الإفتاء، فهل أوقع ذلك اختلافا بينهم في القلوب؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم؟ اللهم لا»[٢].

وذكر: «أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور، ويماشي الأزمان، وهو لهذا سهل مرن هين، لين، لا جمود فيه ولا تشديد»[٣].

وعلل منهجه بأن الوَحْدة سر القوة، فقال: «تلمست طويلاً العمل إلى جمع القلوب حول هدف أسمى تلتقي عنده الأرواح المؤمنة، الإسلام دين وَحْدة واجتماع، وكل آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ فياضة بمعنى الوَحْدة والدعوة إلى الوحدة، وما كان المسلمون الأولون أقوياء بهذه الدعوة الشاملة التي جمعت قلوبهم وعقولهم حول هدف واحد، العمل له يدًا واحدة.

وطرح معاني الخلاف، واحتفاظ كل برأيه فيها حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً، بعيدًا عن الجو الخلافي، وأتخذ منه مثلاً لتسامح السلف- رضوان الله عليهم- ولوجوب التسامح واحترام الآراء الخلافية فيما بيننا»[٤].

وبين مرونة الإسلام، فقال: «الإسلام دين فسيح مرن، يفسح للفكر مجال التفكير، ويحض على النظر والاجتهاد، ويصرح بأن المجتهد إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران؛ لتشجيع المسلمين على النظر والاجتهاد واستخدام الفكر إذ أن شريعتهم لكل زمان ومكان، لا يتم لها هذا المعنى إلا إذا كانت كذلك فسيحة مرنة، تتفق نصوصها مع وجهات النظر المتباعدة،

---

(١) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٤٨٠-٤٩٠.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٤٤- ١٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٤.

(٤) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٨٤- ٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب»[١].

الاختلاف الفقهي هل هو رحمة؟: المشهور أن اختلاف مجتهدي الأمة في الفروع رحمة لها واسعة[٢]، وفي ذلك يذكر الإمام البَنّا (رحمه الله) : «إن الخلاف ميزة من ميزات الإسلام، ورحمة من الله للمؤمنين، وإنما يؤذيهم التعصب للرأي والتشيع لفكرة خاصة تشيعاً لا يفترض معه أبدا احتمال الصواب في غيرها، وهذا التعصب هو آفة الوَحْدة الإسلامية، ولقد انفسحت صدور أسلافنا للخلاف فلم تتأثر أبداً بهذا وحدتهم العامة، وظلَّ المسلمون مجموعة متينة البنيان ثابتة الأركان حتى نجم قرن التعصب للهوى، والجمود على الرأي بينهم؛ فكان آفة هذه الجماعة الربانية التي بهرت الدنيا بتوحيدها ووحدتها.

فالخلاف في فروع الأعمال ما لم يرق إلى صميم العقيدة لا يحرج صدراً ولا يؤذي أحداً وأمره دائر بين خطأ وصواب، فإذا عرفنا أن المخطئ والمصيب مأجوران، هان الخطب واستطعنا في ظل الإخاء والحب أن نصل إلى الحقيقة، واستطاع الحكم الشرعي أن يرفع الخلاف، ومن الخلاف ما يتصل بالعقيدة وصميمها، ومصدره عدم تحديد العبارات، و الجمود على مصطلحات لم يتعبدنا الله تبارك وتعالى بالجمود عليها، وأنه لو حددت العبارات وتعرف كل فريق على مقاصد الآخر ولم يتقيد بعبارات ومصطلحات خاصة، ما دام المعنى المقصود سليماً، أعتقد أننا لو فعلنا ذلك وحاولنا التقريب بين وجهات النظر لاستطعنا الجمع بين الآراء المتنافرة والفكر المتخالف، ولوصلنا إلى نتيجة محمودة، أقلها أن نخرج من حيز (كفر وإيمان) إلى حيز (خطأ وصواب) »[٣].

فبعد هذا العرض لموقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من الخلاف يتأكد لنا إن الله يرحم الأمة ويخفف عنها بالآراء الصحيحة المتعددة التي تؤدي كلها إلى الخير لو اتبعت، ولو أراد الله أن يجعل الحكم واحدًا لجاء بنص لا يحتمل إلا وجهاً واحداً كآيات الأصول في القرآن والميراث

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٦.

(٢) الموافقات للشاطبي ج٤ ص١٢٥.

(٣) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٥٠٧-٥٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثلاً، فقد تيقن الإمام البَنّا (رحمه الله) من خلال سبره للتاريخ ودراسة علم العمران الإسلامي أن أهم عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية كان بفعل الخلافات السياسية والمذهبية حيث يقول: «أن أهم عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية، الخلافات السياسية والعصبية... فإنَّ الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، والجمود والتعصب للآراء والأقوال، والولع بالجدل والمناظرات والمراء، وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهي، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ**»، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿**مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ (الزخرف: ٥٨)[١]» [٢].

فإنَّ الاختلاف في بعض المسائل بين الأئمة ما وجد إلا لوجهات نظر تقتضي ذلك أو لضرورات أوصلت إلى ذلك، ومن ثم فإنَّ احتياجات الأمة الإسلامية لا يسعها إلا مجموع أقوال الأئمة والمجتهدين على امتداد الزمان والمكان، وكل من يتصور أن مذهباً واحداً يسع الناس زماناً ومكاناً فإنه واهم، ولذلك فإنه لا تجد فترة من الفترات إلا والناس يستفتون أكثر من مذهب وتجد حتى علماء المذهب يرسلون إلى علماء مذهب آخر يستفتونهم في بعض الأمور لشعورهم بضرورة ذلك في مسألة ما[٣].

وموقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من المذهبية، واضح في قوله: «ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الإتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته، وان يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر»[٤].

وأكد الإمام البَنّا (رحمه الله) على التدرج في تعلم الدراسة الفقهية فقال موجهاً خطابه إلى: «مسلمي عصرنا في الدراسة الفقهية هو أن يبدأ الإنسان بدراسة الفقه على أصل مذهب، ثم يحاول التعرف على أدلة أمامه، ثم يحاول الارتقاء إلى أن يكون من أصحاب النظر بالنصوص،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث أبي أمامة الباهلي رقم (٢٢١٦٤) ج ٣٦ ص٤٩٣، وابن ماجة في سننه كتاب الإيمان باب اجتناب البدع رقم (٤٨) ج١ص١٩، قال الألباني في السلسلة الصحيحة: اسناده صحيح ج٤ ص١٤، وفي مشكاة المصابيح ج١ ص٦٣، برقم (١٨٠).

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص ٥١٤.

(٣) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر– سعيد حوّى ص ٦٣.

(٤) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والوقوف ضمن حدود هو الذي لا ينبغي تجاوزه، وهو الذي ينزل فيه الكثير فــلا يعرفــون أن يضعوا الأمور مواضعها، وما أجمل أن يكون الإنسان محباً للحق فلا تدفعه عصــبية لحــق أن يرفض حقاً آخر، وأما الذين يحاربون المذهبية بحجة الوَحْدة الإسلامية فهؤلاء نقــول لهــم: إن المذهبية نفسها لا تفرق، ولكن التطبيق الخاطئ للمذهبية هو الذي يفرق، وأما الذين يحملون على مذاهب الأئمة المجتهدين وعلى من يأخذ بها ويفتي على تحقيقات أهلها يسلبون أمثال أبي حنيفــة والشافعي ومالك وأحمد حق الاجتهاد ويعطونه للعامة! ولو أن احد استفتى أمثالهم وأمثال أتباعهم فاجتهدوا وأجابوا لم يروا في ذلك نكراً ويقيمون النكير على من استفتى أبا حنيفة أو الشــافعي أو مالكاً أو أحمد أو ليس هذا غلطاً كبيراً؟!(١).

ولهذا نجد أن الدولة الإسلامية تعدُّكل الآراء الفقهية ملكاً للأمــة الإســلامية، والإمــام بمجلس شوراه سيعتمد الرأي الذي يراه صالحاً لزمن ما أو لمرحلة ما، ما لم يتعارض مع قاعدة شرعية، فهذه قضية مبدئية تعدُّبديهية وفي ذلك يقول الإمام البَنّا (رحمــه الله) : «ورأي الإمــام ونائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوها عدة وفي المصالح المرسلة معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات، والأصل في العبادات التعبــد دون الالتفات إلى المعاني، وفي العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد»(٢).

فبعد تلك الجولة الممتعة في موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من الخلاف فقد رأى في زمانه أن الناس قد أهلكتهم الخلافات الفقهية والعصبيات المذهبية في فروع الدين، واشتغلوا بها عن الأصول وجلائل الأمور، فأراد أن يعالج ذلك بفقه حكيم ورأي سديد، وأن يردهم إلى ما رضيه رسول الله ﷺ وصحابته، والسلف الصالح. ولكن أنى للمتعصبين والشانئين أن يفقهوا ذلك!!

(١) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر- سعيد حوّى ص١١٥-١٢٢.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

موقفه من الهيئات ومؤسسات العمل الإسلامي

عاش المسلمون فترة من الوهن والضعف والشقاق؛ نتيجة التعصب لآراء ومذاهب معينة، وهذا ما أحزن كثيرًا من المخلصين، وحفز جملة من العلماء الفقهاء فعمدوا إلى إرساء قواعد تصبح دستورًا للعاملين في الحقل الإسلامي، تنظم قواعد الخلاف الذي لا يؤدي إلى الفرقة والتنابذ والشقاق، فكان أن وضع الشيخ محمد رشيد رضا القاعدة الذهبية المعروفة: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).

ومقصود هذه القاعدة أن يتفق الناس ويتعاونوا في العمل على الأصول الإسلامية التي لا يختلف عليها أحد، وأما الفروع المعتمدة عند كل إمام من الأئمة فلا داعي للخلاف حولها حتى لا تتفرق الأمة وتتقطع، وهذه القاعدة يعززها إجماع جمهور العلماء على أنه لا يجوز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ما اختلف فيه بين الأئمة، وقد قال الإمام البَنّا (رحمه الله) بهذه القاعدة، ولكن بعض الذين لا يقرأون ولا يعرفون يعيبون على العلماء جهدهم ورغبتهم في جمع شمل الأمة، ويدعون أن هذا يعد تساهلاً مع المخالفين [1].

وعملاً بتلك القاعدة الجليلة في العمل الدعوي يبين الإمام البَنّا (رحمه الله) الصلة التي تربط بين جماعة الإخوان وغيرها من الجماعات الإسلامية ويقول: «وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية على اختلاف نزعاتها، فموقف حب وإخاء وتعاون وولاء، نحبها ونعاونها، ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً ينتصر به الحق في ظل التعاون والحب، ولا يباعد بيننا وبينها رأي فقهي أو خلاف مذهبي، فدين الله يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

ولقد وفقنا الله إلى خطة مثلى، إذ نتحرى الحق في أسلوب لين يستهوي القلوب وتطمئن إليه العقول، ونعتقد أنه سيأتي اليوم الذي تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية والحواجز النظرية وتحل محلها وَحْدة عملية تجمع صفوف الكتيبة المحمدية حيث لا يكون هناك

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٢٦٥، نقلاً عن الطريق إلى الجماعة الأم ص١٣-٦٠- ٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا إخوان مسلمون، للدين عاملون وفي سبيل الله مجاهدون: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٦) » [١].

أما عن مبرر وجود تلك الجماعات والجمعيات الإسلامية فقال: «ومضت حياة المسلمين حيناً من الدهر، علت فيها دعوتهم، وامتدت دولتهم، وتمكن سلطانهم، وسادوا أمم الدنيا، وكانوا أساتذة الناس، ووعدهم الله على ذلك أجمل المثوبة، وحقق لهم هذا الوعد: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٨)، ثم اختلط عليهم بعد ذلك الأمر، فاتخذوا الدين طقوساً وأشكالاً، والعلم والمعرفة جدلاً ومراء، ووزعوا مهمة الإصلاح لتكون أداة للدنيا ووسيلة للجاه والمال، ففسدت النفوس أولاً وتفرقت الكلمة بعد ذلك، ودالت الدولة تبعاً لهذا، وطمع في المسلمين من لا يدفع عن نفسه، فوقعوا تحت حكم غيرهم وسلطانه، وتغيّرت تبعاً لذلك كل أوضاع حياتهم الأدبية والعلمية.

وأراد المصلحون الغيورون أن يتداركوا الأمر، فقامت طائفة تحاول إصلاح النفوس، وقامت أخرى تحاول خدمة الشعوب، واختصت ثالثة نفسها بتقويم أداة الحكم، وأطلق كل على نفسه اسماً يرضاه ووصفا يعجبه، انتصر لمهمته، وانتقص مهمة غيره، وكان شرط هذا الاختصاص- ليكون نافعاً مفيداً- أن تقوّى كل ناحية الأخرى وتكون سناداً لها، فيدفع من يهيمنون على تربية النفوس أتباعهم إلى خدمة المجتمعات، وهؤلاء ينبهون من معهم إلى أن صلاح المجتمع بصلاح الحكم، حتى يتآزر الجميع على الإصلاح العام.

وكان شرط هذا الاختصاص كذلك أن تقوم هناك الهيئة الجامعة التي تأخذ بأطرافه وتجمع بين حواشيه، وكان شرط هذا الاختصاص أخيرًا أن يقوم به الأكفاء المخلصون، ولكن هذا كله لم يتوفر إلا نادرًا، والنادر لا حكم له»[٢].

ويقول مؤكداً موقف الإخوان المسلمين من الهيئات الإسلامية في مصر: «إن كثيراً من محبي الخير يتمنون أن تجتمع هذه الهيئات وتتوحد في جمعية إسلامية ترمي عن قوس واحدة، ذلك أمل كبير وأمنية عزيزة يتمناها كل محب للإصلاح في هذا البلد! والإخوان المسلمون يرون في الهيئات الإسلامية على اختلاف ميادينها تعمل لنصرة الإسلام، ويتمنون لها جميعاً النجاح،

(١) مجموعة رسائل الإمام البنّا ص ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) المصدر السابق ص٥٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يفتهم أن يجعلوا من منهاجهم التقرب منها، والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة»[١].

أما في الواقع والممارسة فقد كان الإمام البَنّا (رحمه الله) مبادرًا في العمل التكاملي بينه وبين الهيئات الإسلامية الأخرى، فقال بشأن جمعية الشبان المسلمين: «أؤكد للذين يسرهم وَحْدة الجهود و تعاون العاملين أن الإخوان والشبان وبخاصة هنا في القاهرة، لا يشعرون بأنهم في ميدان منافسة ولكن في ميدان تعاون قوي وثيق، وأن كثيرًا من القضايا الإسلامية العامة يظهر فيها الإخوان والشبان شيئاً واحدًا وجماعة واحدة، إذ أن الغاية العامة مشتركة وهي العمل لما فيه إعزاز الإسلام وإسعاد المسلمين، و إنما تقع فروق يسيرة في أسلوب الدعوة و في خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين، وإن الوقت الذي ستظهر فيه الجماعات الإسلامية كلها جبهة موَحْدة غير بعيد على ما أعتقد، الزمن كفيل بتحقيق ذلك إن شاء الله»[٢].

ولكن تفادي المنازعات لم يكن ذلك من الإمام البَنّا (رحمه الله) على حساب العقيدة أو الأصول كما يدعون، ولكن في الفروع وفي خطط العمل ووسائله وميادينه، كما لا منازعة في أن التعدد إذا خلا من الخصومات وتجرد من المنازعات، كان تعدد تنوع وتخصص، بأن اتفقت هذه الجماعات فيما بينها أن تتكافل في أداء فروض الكفايات، فقال: «الإخوان المسلمون يخلصون لكل الهيئات الإسلامية ويحاولون التقريب بينها بكل الوسائط، ويعتقدون أن الحب بين المسلمين هو أصلح أساس لإيقاظهم، وهم يناوئون كل هيئة تشوه معنى الإسلام مثل البهائية والقاديانية»[٣].

فلو كان الأمر على هذا النحو وتم الاتفاق بين هذه الجماعات على ذلك، وقسموا العمل فيما بينهم على هذا النحو، وكفوا ألسنتهم عن التقاذف فيما بينهم بالتهم والمناكر، وجمعتهم المجالس للتنسيق والتعاون وتبادل الرأي، وجددوا مفهوم الأمة في العمل الإسلامي، ودعوا إلى نبذ التعصب والتحزب الجاهلي الذي يربط الولاء بالأشخاص لا بالمبادئ والعقيدة المتعلقة في الكتاب والسنة، كان هذا التنوع خيرا للمسلمين والإسلام[٤].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٦٧.

(٢) المصدر السابق ص٣٦٧.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٢٥٥.

(٤) انظر: مدى شرعية الانتماء - صلاح الصاوي ص١١٧. نقلاً عن الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٢٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنَّ الناظر في الواقع وظروفه وضروراته، يجد جلياً حاجة الأمة الإسلامية إلى التلاحم في مواجهة أعدائهم الكثيرين، الذين يختلفون فيما بينهم على أمور كثيرة، ولكنهم يتفقون على المسلمين، وهو ما حذر منه القرآن أبلغ التحذير: أن يوالي أهل الكفر بعضهم بعضاً، ولا يوالي أهل الإسلام بعضهم بعضاً، يقول تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال:٧٣).

وهل يملك عالم مسلم يرى تعاون اليهودية العالمية، والصليبية الغربية، والشيوعية الدولية، والوثنية الشرقية، خارج العالم الإسلامي- إلى جوار الفرق التي انشقت عن الأمة ومرقت عن الإسلام داخل العالم الإسلامي- إلا أن يدعوا أهل القبلة الذين التقوا على الحد الأدنى من الإسلام، ليقفوا صفًا واحدًا في وجه هذه القوي الجهنمية التي تملك السيف والذهب، وتملك قبلهما المكر والدهاء والتخطيط، لتدمير هذه الأمة مادياً ومعنوياً؟!

لهذا وقف الإمام البَنّا (رحمه الله) في ضوء بصيرته السياسية من الدعوات الأخرى موقفاً مسؤولاً فقال: «نتمنى لها جميعاً الخير، وندعو لها بالتوفيق، وإن خير طريق نسلكها ألا يشغلنا الالتفات إلى غيرنا عن الالتفات إلى أنفسنا؛ فإننا في حاجة إلى عدة وإلى تعبئة، وإن أمتنا والميادين الخالية فيها محتاجة إلى جنود وإلى جهاد، والوقت لا يتسع لنتطلع إلى غيرنا.

كل في ميدانه والله مع المحسنين حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق، وستسمعون أن هيئة من الهيئات تتحدث عنكم فإنَّ كان الحديث خيرًا فاشكروا لها في أنفسكم ولا يخدعنكم ذلك عن حقيقتكم! وإن كان غير ذلك فالتمسوا لها المعاذير، وانتظروا حتى يكشف الزمن الحقائق، ولا تقابلوا هذا الذنب بذنب مثله، ولا يشغلنكم الرد عليه عن الجد فيما أخذتم أنفسكم بسبيله، وثقوا إن ذلك لن يصرف عنكم أحدًا، ولن يضيركم أن تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور.

ذلك فيما أرى ما يجب أن يكون من موقفنا أمام الهيئات جميعاً: نريد لها الخير ونلتمس لها العذر ولا نطلب ولا نرد، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً»[1].

ولهذا رحب المصلحون بقاعدة الشيخ رشيد رضا التي تدعو إلى التآلف على الخير، والاتفاق على الأصول الإسلامية المجمع عليها بين الأئمة، وأما الفروع وأساليب الدعوة، والخطط والوسائل، فهذا شيء يمكن الاتفاق عليه، أو إفساح المجال فيه للاجتهاد بالضوابط

(١) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٣٠٧-٣٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشرعية المعروفة، حتى لا تكون فتنة، فلم يضع هذه القاعدة من فراغ، بل الذي يظهر للمتأمل أنه إنما استنبطها من هدي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح.

فكان الإمام البَنّا (رحمه الله) الأحرص على تطبيقها بالفعل، وأبرز من رأيناه احتفل بها، حتى ظن كثيرٌ من الإخوان (وغيرهم) أنه هو واضعها[1].

(١) انظر: فتاوى معاصرة- يوسف القرضاوي ص١٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

موقفه من المسائل التي لا ينبني عليها عمل

أوقف الإمام البَنّا (رحمه الله) نفسه لتحقيق هدف استراتيجي وهو: إرشاد الناس إلى الإسلام حقيقة وعملاً، فلم يخض لذلك في مسائل الاعتقاد خوضاً كلامياً فلسفياً، إنما عمل على تركيز العقيدة في النفوس؛ لينعكس أثر هذا الإيمان في السلوك فقال: «فإذا اعتقدت عقيدة لم تظهر في تصرفاتك فهي عقيدة لم تؤمن بها؛ لأن العقيدة لا بد أن يظهر أثرها في الأقوال والأعمال»[١].

وقد أجمل القول في الأصل التاسع من أصول الفهم: «وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعًا، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته»[٢].

فوجه الإمام البَنّا (رحمه الله) إخوانه توجيهاً عملياً لفهم الإسلام، فقال: «أقبلوا على القرآن تتدارسونه، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها، وكونوا عمليين لا جدليين!

فإذا هدى الله قومًا ألهمهم العمل؛ وما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل. وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده، والفرصة آتية لا ريب فيها، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: ٤-٥) »[٣].

وبين: «أن رجل القول غير رجل العمل، ورجل العمل غير رجل الجهاد، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدي إلى أعظم الربح بأقل التضحيات»[٤].

وبين كذلك أن الأساس العملي للإصلاح: «إصلاح القلوب، والشعور بالمسئولية بأن يكون القلب حساساً كميزان الذهب، والمظاهر العملية، وهو أن تتجمل بمكارم الأخلاق»[٥].

---

(١) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور، ص٣٣٢.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٦.

(٣) المصدرالسابق ص٥٣٠.

(٤) المصدر نفسه ص٣٤٥.

(٥) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٣٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلم يأتي الإسلام الحنيف إلا ليقرر أعدل المبادئ وأقوم الشرائع الربانية، ويسمو بالنفس الإنسانية، ويضع عقيدة الخلود والجزاء دافعًا إلى الأعمال الصالحة ومانعاً من الفساد في الأرض، ويرسم الطريق العملي لذلك كله في حياة الناس اليومية ثم في أوضاعهم المدنية، ويحيى على ذلك القلوب، ويجمع عليه الأمة، ويقيم على أساسه الدولة.

وقد كان الإسلام عملياً كعادته فلم يقف عند حد تقرير الأصول النظرية لهذه الوَحْدة الإنسانية ولكنه رسم وسائل التطبيق، وقرر الشعائر والشرائع التي يتأكد بها هذا المعنى في النفوس، وثبت دعائمه في المجتمعات، وهذا هو الفرق بين النظريات الفلسفية والرسالات الإصلاحية أو بين الفيلسوف والمصلح.

فالفيلسوف يقرر النظريات، والمصلح يرسم قواعد التطبيق ويشرف بنفسه على تمامه، ومن هنا كان الإسلام نظريًا وعمليًا معًا لأنه رسالة الإصلاح الشامل الخالد.

وعلى هذا الأساس قرر الشعائر والشرائع التي يتحقق بالعمل بها ما دعا إليه من إنسانية عالمية وأخوة حقيقية بين البشر على اختلاف أوطانهم وأجناسهم وألوانهم [1].

وأضاف قائلاً: «ولقد دعم الإسلام هذه المعاني النظرية والمراسيم العملية ببث أفضل المشاعر الإنسانية في النفوس من حب الخير للناس جميعاً والترغيب في الإيثار ولو مع الحاجة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩) والإحسان في كل شيء حتى في القتل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥) »[2].

وقد جعل العمل أصلاً من أصول دعوته؛ لأنه ثمرة العلم والإخلاص، وحدد مراتب للعمل مطلوبة من الأخ الصادق وهي:

إصلاح نفسه حتى يكون: قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، منظماً في شؤونه، نافعاً لغيره، وذلك واجب كل أخ على حدته.

وتكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام في مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد، والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام، وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك.

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا- من تراث البَنّا ص٦٨٤.

(٢) المصدر السابق ص٦٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخير، وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً، وذلك واجب كل أخ على حدته، وواجب الجماعة كهيئة عاملة.

وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي- غير إسلامي- سياسي أو اقتصادي أو روحي.

وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها، والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه.

ولا بأس أن نستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه ولا بالنوع، مادام موافقاً للقواعد العامة في نظام الحكم الإسلامي.

وإعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها، وإحياء مجدها، وتقريب ثقافتها، وجمع كلمتها حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة، والوَحْدة المنشودة.

وبهذا تبدو العقلية الإيجابية في أوضح مظاهرها حيث يدعو الإمام إلى الاتجاه لما هو أنفع من ذلك كله على الناس والمجتمع، ومحاربة المنكرات الشائعة التي تخالف لب الدين وصميمه، بدلاً من ضياع الجهود والأوقات في الخلاف حول الأمور الفرعية[1].

فتلك إذن العقلية الإيجابية الإنشائية التي تفكر في أن تبنى ولا تهدم، وتصدح ولا تحطم، وتتعالى عن سفاسف الأمور وتنشغل بعظائمها، وتتوجه إلى أهداف الدين الأساسية فتعمل على تحقيقها، بدلاً أن تضيع قروناً طويلة من الزمان في الخلاف حول أمور فرعية لا تمس جوهر الدين في شئ.

ولهذا نص القانون الأساسي للإخوان المسلمين على أن الإخوان: «هيئة إسلامية جامعة، تعمل لتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام الحنيف، ومما يتصل بهذه الأغراض ويتناول الناحية الروحية التي نحن بصددها: شرح دعوة القرآن الكريم شرحًا دقيقًا يوضحها ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضًا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة»[1].

وبعد هذا الوضوح الشامل والشمول الواضح والإيجابية في الطرح والسلوك، يقول الإمام: «إننا لا نرى مسوغاً للمتشكك في الإخوان المسلمين بعد وضوح أمرهم، ونصاعة عقيدتهم إلا أمرين لا ثالث لهما:

إما أن هذا المتشكك لم يدرس الإسلام دراسة صحيحة تمكنه من تشرب روحه وإدراك مراميه ومقاصده فهو يرى في مقاصد الإخوان ما يخرج عن روح الإسلام، لأنه لم يعرف من هذا الروح إلا دائرة ضيقة لا تسمن ولا تغني من جوع.

وإما أن يكون هذا المتشكك مريض القلب سيء الظن غير سليم القلب، فهو يطغى ويتجنى ويتلمس للبراء العيب، وكلا الأمرين وبال على صاحبه وهلاك للمتصف به.

ويؤكد الإمام أنه بهذا المنهج قد استطاع سيدنا محمد ﷺ أن يُكوِّن ديناً وأمة ودولةً، فهو الإسلام أفضل الأديان وأتمها، وخير الشرائع وأعمها.. وهو الذي يقيم الدولة على أصول العدل، ويبني الحكم على قواعد تقرير الحقوق، ويعطي كل ذي حق حقه من طبقات الأمة، لا مغبون ولا مهضوم ولا مظلوم. فما أجل أن يدرك حقيقة الإسلام من لم يتشرفوا بعد بهدايته، وأجل منه أن يذيعوا هذه الآراء في روعة القمر ووضوح الصباح»[2].

ولهذا عمل الإمام البَنّا (رحمه الله) على الاستفادة من كل المنابر للوصول بالدعوة إلى المدعوين، وعلى أن يكونوا عمليين حافظين على المبادئ التي أوجب على نفسه استخلاصها من وحي ربنا، ثم عمل على تنفيذها والقيام عليها.

---

(١) النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين العامة- الباب الثاني مادة ٢ ص٢، نقلاً عن الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص ٥١.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٢٢٩-٢٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

منهج الإمام البَنَّا (رحمه الله) في القضايا السياسية

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من العمل السياسي.

المطلب الثاني: موقفه من الحكم (الحاكمية).

المطلب الثالث: موقفه من الدستور المصري.

المطلب الرابع: موقفه من القانون الوضعي.

المطلب الخامس: موقفه من الديمقراطية والمجالس النيابية.

المطلب السادس: موقفه من الأحزاب السياسية.

www.manaraa.com

المطلب الأول

موقفه من العمل السياسي[1]

وإذا كانت السياسة ــ كما تدل على ذلك لغة العرب ــ تعني الإصلاح والاستصلاح؛ فإن ذلك لا يتم ولا يكتمل إلا بإزالة أو دفع نقيضه أو ما يضاده، ومن هنا يتبين أن السياسة الكاملة لا تتحقق إلا بتحصيل المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد ودرئها وتعطيلها.

فقال التهانوي في بيان السياسة أنواعها: «أن السياسة المطلقة هي إصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، على الخاصة والعامة في ظواهرهم وبواطنهم، وهي إنما تكون من الأنبياء، وتسمى مطلقة؛ لأنها في جميع الخلق، وفي جميع الأحوال، أو لأنها مطلقة أي كاملة من غير إفراط ولا تفريط.

وأما من السلاطين وأمرائهم فإنما تكون على كل منهم في ظواهرهم، ولا تكون إلا منجية في العاجل؛ لأنها عبارة عن إصلاح معاملة الناس فيما بينهم، ونظمهم في أمور معاشهم، وتسمى سياسة مدنية، وأما من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء حقاً على الخاصة في بواطنهم لا غير، أي لا تكون على العامة؛ لأن إصلاحهم مبني على الشوكة الظاهرة، والسلطنة القاهرة، وأيضاً لا تكون على الخاصة في ظواهرهم؛ لأنها منوطة بالجبر والقهر، وتسمى سياسة نفسية»[2].

ويتبين مما تقدم أن الدين كله سياسة لإصلاح الحياة الدنيا ودرء المفاسد عنها، وكذلك لإصلاح الآخرة ودرء المفاسد عنها.

لذلك يعدُّ العمل السياسي من الركائز الأساسية لدعوة الإمام البَنّا (رحمه الله)، والجوانب الهامة التي عنى بها؛ فالسياسة بمفهومها العام عنده: هي النظر في شئون الأمة الداخلية والخارجية، ولها جانبان: الجانب الداخلي، وتعنى: تنظيم أمر (الحكومة)، وبيان مهماتها، وتفصيل حقوقها وواجباتها، ومراقبة الحاكمين والإشراف عليهم ليطاعوا إذا أحسنوا وينقدوا إذا أساءوا.

---

(١) المعني اللغوي عند العرب لكلمة «سياسة» جاء من السوس، وهي تعني الرئاسة، وعندما نقول: ساس الأمر، نعني: أنه قام به، وشرط السياسة أن يقوم بالأمر «بما يصلحه» أي أمر الجماعة أو مجموع الناس. انظر: المجتمع والسياسة دراسات نظرية وتطبيقية– إسماعيل علي سعد ص٧.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ص٦٦٤– ٦٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الجانب الخارجي، فقد عني بالمحافظة على استقلال الأمة وحريتها، والسير بها إلى الأهداف المجيدة التي تحتل بها مكانتها بين الأمم ومنزلتها الكريمة في الشعوب والدول، وتخليصها من استبداد غيرها بها وتدخله في شؤونها.

مع تحديد الصلة بينها وبين سواها تحديداً يفصل حقوقها جميعاً، ويوجه الدول كلها إلى السلام العالمي العام وهو ما يسمونه (القانون الدولي)[١].

فإنَّ السياسة عرفها ابن عقيل الحنبلي فقال: «السياسة هي ما يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح والفلاح، وأبعد عن الفساد، في أمورهم الدنيوية، وإن لم يضعه رسول أو نزل به وحي»[٢]، وعرفها ابن خلدون: «حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم: الأخروية والدنيوية الراجعة إليها»[٣].

وعرفها مالك بن نبي بقوله: «هي العمل المنظم الفعال الذي تقوم به الأمة ككل – الدولة والجماعات – المتفق مع عقيدة جمهورها؛ لتحقيق التجانس، والتعاون بين الدولة والفرد على الصعيد الاجتماعي والثقافي؛ لتكون السياسة مؤثرًا حقيقياً في واقع الوطن»[٤].

وبهذا المفهوم تكون السياسة جزءاً من الإسلام، ولذلك أعدَّ الشيخ سعيد حوى العمل السياسي فرض عين على كل مسلم، ما دام حكم الإسلام غير قائم[٥].

وهذا ما يبرر أن يكون الإمام البَنّا (رحمه الله) من أشد الثائرين على النص الذي يتصدر دائماً قوانين الجمعيات الإسلامية (البعد عن العمل السياسي) ودعا كل جمعية إسلامية: «إلى أن تضع في رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمتها السياسية، وإلا كانت هي نفسها تحتاج إلى أن تفهم الإسلام!»[٦].

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٣٣-٢٣٧.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية- ابن قيم الجوزية ص١٧- ١٩.

(٣) المقدمة- ابن خلدون ص١٧.

(٤) بين التيه والرشاد- مالك بن نبي ص٨٥-٨٧.

(٥) انظر: جند الله ثقافة وأخلاقاً- سعيد حوى ص٣٩٧.

(٦) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٣٢- ٢٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبناءً على ذلك الفهم الدقيق أضاف مؤكداً على اهتمامه بالعمل السياسي على اعتبار أنه ركيزة للعمل الدعوي الإسلامي: «إن الإخوان ما كانوا يوماً من الأيام غير سياسيين، ولن يكونوا يوماً من الأيام غير مسلمين، وما فرقت دعوتهم أبداً بين السياسة والدين»[١].

وقد تمثل العمل السياسي عند الإمام البَنّا (رحمه الله) في عدة أمور هي:

١- إرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف.

٢- تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي.

٣- إصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق وتؤدي مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها.

٤- إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها، وإحياء مجدها، وتقريب ثقافتها، وجمع كلمتها، حتى يؤدي ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوَحْدة المنشودة، حتى تصل إلى الهدف الأسمى للأمة بحيث تصل إلى أستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه [٢].

ثم يحدد بعد ذلك وسائل وآليات واضحة تحقق أهداف ومقاصد العمل السياسي وهي:

أولاً: احتشاد الطاقات النفسية والعملية للأمة، وتفجير مكوناتها المذخورة؛ لتحقيق تلك الأهداف العظيمة من خلال الإيمان برسالة سامية رسالة ربانية أخلاقية إنسانية عالمية، قدمت من قبل للبشرية حضارة، ربطت الأرض بالسماء، ووصلت المخلوق بالخالق، ومزجت المادة بالروح، وجمعت بين الدين والدنيا.

ب – وجود كتلة إسلامية ضخمة، تمتد من المحيط إلى المحيط، تعمل بالإسلام، وتعمل للإسلام، وتجاهد في سبيل الإسلام، تعبر عن ذاتها، وتعيش لخير غيرها، وترضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً، وبالقرآن منهاجاً[٣].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٩- ٢٨٠.

(٣) التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص١٢٠-١٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبهذا اتصف منهج الإمام البَنّا (رحمه الله) في التغيير بالشمول والتكامل، وبدا ذلك واضحاً من خلال برنامجه العملي المتوازن من حيث المقاصد والوسائل[١].

فقد برع الإمام البَنّا (رحمه الله) في العمل السياسي منطلقاً من فقهه الدقيق، وفهمه العميق لأبجديات السياسة وشئون الحكم، حيث يتجلى ذلك من خلال ما تقدم بيانه وعرضه في تلك الجولة التي ركزت على اهتمامه بالعمل السياسي كركيزة أساسية لدعوته على إعتبار أن السياسية مكون أساسي من مكونات الدعوة الإسلامية الإحيائية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة والأخلاق.

فقال (رحمه الله): «إننا سياسيون بمعنى أننا نهتم بشئون أمتنا، ونعتقد أن القوة التنفيذية جزء من تعاليم الإسلام تدخل في نطاقه وتندرج تحت أحكامه، ونعتقد أننا لم نأت فيه بشيء جديد، فهذا المعروف عن كل مسلم درس الإسلام دراسة صحيحة»[٢].

ويعلل الإمام البَنّا (رحمه الله) ذلك من منطلق فقهه للإسلام الذي جاء للناس بفكرة سامية تحدد الأهداف العليا، وتضع القواعد الأساسية، وتتناول المسائل الكلية، ولا تتورط في الجزئيات، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها، وتتسع لها جميعاً ولا تصطدم بشيء منها، فـ «ليست في الدنيا شريعة تقبل التطور، وتساير مقتضيات التقدم، وتتمتع بمعاني المرونة والسلاسة والسعة كشريعة الإسلام الحنيف، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦)، ولا شك أن هذا من سعة مادة الفقه الإسلامي ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان[٣].

فلم تكن ملامح الفكر السياسي للإمام البَنّا متمثلة في وصاياه وتوجيهاته فقط، ولكن كانت حركة وموقفاً أساسهما شمول الإسلام، حيث أضاف إلى شمولية الإسلام الترابط الوثيق بين العقيدة والشريعة والسياسة، وبين الفكر والتنظيم الحركي، ومزج بين أفكار فقه الأزهر، ووجدانيات الصوفية ووطنيات الأحزاب الوطنية، وبهذه الأسس العامة تكوّن الهيكل الفكري السياسي لدى الإمام البَنّا (رحمه الله) وجماعة الإخوان المسلمين من بعده.

---

(١) انظر: ملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا- عدنان أبو عامر ص٨٦.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤٤٦.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٦٤١- ٦٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما جعله ينظر إلى بعض المفاهيم التي يغلب عليها الطابع الإشكالي بصورة متفتحة، بعيدة عن الانغلاق المطبق، والتشدد غير المبرر، كالديمقراطية ونظام الحكم، ومفهوم الدولة الإسلامية، ومنهج التغيير وآلياته،، وما يدخل ضمن هذه المفاهيم الحديثة نسبياً من تجليات كالتعددية السياسية، والفصل بين السلطات وتداول السلطة السلمي والحق في الاقتراع والترشح والانتخابات البرلمانية، وكل ما يتصل بشؤون الحكم، ونظام الدولة، والعلاقة بين الحكومة والشعب، والعلاقة بين الدولة وغيرها من الدول إسلامية وغير إسلامية، والعلاقة بالمستعمر الغاصب والموقف من الأحزاب والحزبية ومن الدستور والقانون والشورى والديمقراطية، وغير ذلك من القضايا المتعددة المتنوعة يدخل في إطار العمل السياسي[١].

فلم تحجبه الألفاظ عن الحقائق، فقال (رحمه الله): «لا تحجبنكم الألفاظ عن الحقائق، والأسماء عن الغايات، ولا الأعراض عن الجوهر، وإن للإسلام لسياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة، وتلك هي سياستنا لا نبغي بها بديلًا فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الدنيوية والسعادة الأخروية، ولتعلمن نبأه بعد حين»[٢].

فكان جديرًا أن الإمام البَنّا (رحمه الله) قد مثَّل حلقة إضافية نوعية في سلسلة المجددين، في قضايا الإصلاح والتغيير، وفي مسائل الحرية والديمقراطية، وفي إشكاليات بناء الجماعة الوطنية، والعلاقة مع الآخر بكل صنوفه، في كل هذه المدارات قدَّم رؤىً تجديدية ما زالت غضةً طريةً لم تيبس بعدُ، فكانت ملامح فكره السياسي دواءً ناجعاً لحالة الانفصام النكد بين الدين والسياسة التي كانت سائدة في عصره، تلك الحالة التي جعلت من فهمه الشمولي للإسلام وكأنه جاء بشيء لم يسبق إليه؛ وبسبب حالة الاختراق الذي أصاب العقل المسلم، ونتيجة الغزو الفكري الموجَّه؛ للنيل من مفهوم الإسلام وحسره في زوايا ضيقة.

فقال (رحمه الله): «والواقع أن غير المسلمين حينما جهلوا هذا الإسلام، أو حينما أعياهم أمره وثباته في نفوس أتباعه، ورسوخه في قلوب المؤمنين به، واستعداد كل مسلم ليفتديه بالنفس والمال، لم يحاولوا أن يجرحوا في نفوس المسلمين اسم الإسلام ولا مظاهره وشكلياته، ولكنهم حاولوا أن يحصروا معناه في دائرة ضيقة تذهب بكل ما فيه من نواح قوية عملية، وإن تركت

---

(١) انظر: ملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا- عدنان أبو عامرص ١٧- ١٨، والتربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي، ص٩.

(٢) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمسلمين بعد ذلك قشورًا من الألقاب والأشكال والمظهريات لا تسمن ولا تغني من جوع. فأفهموا المسلمين أن الإسلام شيء والاجتماع شيء أخر، وأن الإسلام شيء والقانون شيء غيره، وأن الإسلام شيء ومسائل الاقتصاد لا تتصل به، وأن الإسلام شيء والثقافة العامة سواه، وأن الإسلام شيء يجب أن يكون بعيدًا عن السياسة»[1].

وفسَّر الإمام البَنّا (رحمه الله) اتهام البعض للإخوان بالخلط بين الدين والسياسة، حتى أنك تجده يعبر عن هذه الفترة المحزنة أصدق تعبير فقال: «قلما تجد إنساناً يتحدث إليك عن السياسة والإسلام إلا وجدته يفصل بينهما فصلاً، ويضع كل واحد من المعنيين في جانب، فهماً عند الناس لا يلتقيان ولا يجتمعان، ومن هنا سميت هذه جمعية إسلامية لا سياسية، وذلك اجتماع ديني لا سياسة فيه، ورأيت في صدر قوانين الجمعيات الإسلامية ومناهجها (لا تتعرض الجمعية للشئون السياسية).

فإنَّ الإسلام شئ غير هذا المعنى الذي أراد خصومه وأعدائه من أبنائه أن يحصروا فيه، وأن الإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وسماحة وقوه، وخلق ومادة، وثقافة وقانون، وأن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعني بكل شؤون أمته، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

واعتقد أن أسلافنا، رضوان الله عليهم ما فهموا للإسلام معنى غير هذا، فبه كانوا يحكمون، وله كانوا يجاهدون، وعلى قواعده كانوا يتعلمون، وفى حدوده كانوا يسيرون في كل شان من شؤون الحياة الدنيا العملية قبل شؤون الآخرة الروحية»[2].

فالعمل السياسي يعني تحقيق المصالح المشتركة بين الناس في مجتمع معين، وأن هذا الصالح المشترك هو حاصل جميع المنافع التي تنتفع بها مجموعة الأفراد كل في مجاله، وعلى هذا فالسياسة الشرعية في نظر علمائنا لابد أن تكون قائمة على قواعد الشرع وأحكامه وتوجيهاته، وتتخذ من الشرع منطلقاً لها، ترجع إليه، وتستمد منه، وتتخذ منه منهاجاً لها.

فهذه السياسة هي المنشودة: شرعية المنطلقات، شرعية الغايات، شرعية المنهاج[3].

وفي هذا يبين الإمام البَنّا (رحمه الله) العمل السياسي المضبوط بقواعد فقهنا الدقيق، قائلاً: « يا قومنا: إننا نناديكم والقرآن في يميننا، والسنة في شمالنا، وعمل السلف الصالحين من

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٣١- ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق ص٢٣١-٢٣٣.

(٣) السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها- يوسف القرضاوي، ص٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام، فإنَّ كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسياً فنحن أعرق الناس في السياسة، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات»[١].

وكان من جملة اهتمام الإمام البَنّا (رحمه الله) بالعمل السياسي؛ لأنه متطلب أساس للاستقلال الحضاري الشامل وسيادة الأمة، فقال: «إن الإسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال، فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والمال فالموت خير من هذه الحياة، حياة العبودية والرق والاستذلال!»[٢].

ودعا إلى إيقاظ الوعي بوجوب تحرير الوطن الإسلامي، وإيقاظ الوعي بوجوب إقامة الحكم الإسلامي، وإيقاظ الوعي بوجوب إقامة الأمة المسلمة، وإيقاظ الوعي بوجوب الوَحْدة الإسلامية[٣].

إذن فالسياسة – من الناحية النظرية– علم له أهميته ومنزلته، وهي من الناحية العملية مهنة لها شرفها ونفعها، لأنها تتعلق بتدبير أمر الخلق على أحسن وجه ممكن، وتنطلق من القاعدة الفقهية السياسية القائلة: الإسلام دين إصلاح اجتماعي متكامل وشامل، وذروة سنامه دولة تقوم عليه (سياسة الدنيا وحراسة الدين)، باعتبارها هدفاً لتنظيم الحياة السياسية..

ثم تكون الخطوة الأخيرة باجتماع المسلمين على خليفة لهم جميعاً، لقد تمثل الإنجاز الأكبر للإمام البَنّا في مجال الفكر السياسي بأنه أوصل وجدان الأمة بالمدلول السياسي لرسالة الدين الإسلامي من خلال مفاهيم وشعارات أطلقها، وحرص على إشاعتها وتثقيف الناس عليها وأولهم أبناء الإخوان المسلمين[٤].

فيتضح أهمَّ ملامح العمل السياسي عند الإمام البَنّا (رحمه الله) قائم على أن ممارسة السلطة في الدولة الإسلامية التي يمكن إيجازها في التأكيد على مفهوم وَحْدة السلطة، وعدم

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤١.

(٢) المصدر السابق ص٣٧٥.

(٣) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص١٣١.

(٤) انظر: الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي المعاصر– طارق البشري ص ١٣، ملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا– عدنان أبو عامر، ص٢٢، انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية شبهات وردود– توفيق الواعي ص١٧٥–١٧٦، مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٥٢٥– ٥٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انقسامها إلى سلطة مدنية وأخرى دينية، إيماناً منه بأن سلطة الحكم في الدولة الإسلامية بعيدة كل البعد عن مفهوم السلطة الدينية (الثيوقراطية)[1]، ومن جهة أخرى قبول صيغة الحكم الدستوري النيابي باعتباره أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام[2].

وخلاصة الأمر فإنَّ الاسلام وممارسة الحكم وجهان لمعنى واحد، وأنه لا مستقبل لجماعة سياسية تريد أن تحكم مع رفض الإسلام في مجتمع أغلبيته مسلمة، وأنه لا يمكن أن يتخلى الإسلام عن رسالته في أن يحكم؛ لأن الإسلام هو دين وحضارة ودولة، ونظام مجتمع..

(١) ثيوقراطيَّة، مذهب يقوم على تعليل السلطة السياسيَّة لدى الجماعة على أساس الاعتقاد الدينيّ ومنها نظريَّة (الحقّ الإلهيّ) في الحكم التي تعدُّأنّ الله عزّ وجل مصدر للسلطة، وأنّ الحاكم بمثابة ظلٍّ الله على الأرض، وتقوم الثيوقراطيّة على أساس العنصريّة «اتَّسمت الحضارة الأوربيَّة بطابع التصدي للتيوقراطيَّة»- معجم اللغة العربية المعاصرة ج١ ص٣٠٨.

(٢) انظر: ملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا- عدنان أبو عامر ص ٧٤- ٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

موقفه من الحكم (الحاكمية[1])

الحاكمية التي قال بها أبو الأعلى المودودي[2] وسيد قطب[3]، وجعلاها لله وحده، لا تعني أن الله تعالى هو الذي يولي الخلفاء والأمراء، يحكمون باسمه، بل المقصود بها الحاكمية التشريعية فحسب، أما إسناد السلطة السياسية فمرجعه إلى الأمة.

ومبدأ الحاكمية لله في الإسلام من الأمور التي يثيرها العلمانيون[4] ويظنون أن هذا المبدأ يستغله البعض ليظلم ويضطهد ويحقق مصالحه الشخصية والسياسية باسم الله!

ولكن الإمام البَنّا (رحمه الله) لم يَدْعُ قَطُّ إلى إقامة نظام حكم ديني ثيوقراطي بالمعنى الذي عرفته أوربا في عصورها الوسطى، بل دعا إلى إقامة حكم إسلامي على أساس الشورى والحرية والعدل والمساواة، وقَبِل قبولاً صريحًا بصيغة الحكم الدستوري النيابي، واعتبره أقرب

---

(١) حاكميَّة لغة هي: [مفرد]: مصدر صناعيّ من حاكم: منصب الحاكم أو وظيفته أو لقبُه الوظيفيّ«قضيَّة الحاكميَّة»- معجم اللغة العربية المعاصرة ج١ ص٥٣٩.

(٢) ولد المودودي بتاريخ ١٥ أيلول سنة ١٩٠٣م في مقاطعة حيدر آباد، في أسرة علمية صوفية، بدأ نشاطه كصحفي إسلامي وهو في السابعة عشر من عمره، أسس جماعة إسلامية في الهند تعتبر من أكبر وأنشط الحركات الإسلامية في الهند، وباكستان، وبنغلاديش وغيرها من البلدان، ركز الشيخ على قضية الحاكمية وجدد معالمها التي كادت أن تمحى من عقول المسلمين، له حوالي ١٠٠ كتاب ما بين رسائل وكتب في السياسة والقانون والدستور والتربية والاقتصاد والاجتماع والأخلاق والتاريخ وما إلى ذلك من مشكلات اليوم والقضايا العصرية المعقدة، وعادته في التأليف أن يدرس الموضوع أولا مهما كان الموضوع دراسة وافية ثم يعرضه على القالب الإسلامي وبوتقته ثم يعالجه معالجة سديدة بشكل جذاب وأسلوب أخاذ على ضوء الكتاب والسنة والمنطق السليم. انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (٤ / ١٦٢،١٦١).

(٣) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الاهرام. أوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (١٩٤٨ - ٥١) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الانجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الاسلامية. وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣) في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الاخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣ - ٥٤) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الادبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الاسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الاسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والاسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق). ولما وصل خبر استشهاده إلى الغرب أقيمت على روحه صلاة الغائب وأصدر أبو بكر القادري عددا خاصا به من مجلة (الايمان) ولما كانت النكسة (أو النكبة) عام١٩٦٧ م، قال علال الفاسي: ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب. انظر: الأعلام للزركلي - (٣ /١٤٦، ١٤٨).

(٤) مصطلح العلمانية: هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها. انظر: مذاهب فكرية معاصرة- محمد قطب ص٤٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، ورأى أن تلك الصيغة إذا طُبِّقت كما ينبغي فإنها تضمن تحقيق المبادئ الثلاثة التي يقوم عليها الحكم الإسلامي، وهي (مسئولية الحاكم)، و(وَحْدة الأمة)، و(احترام إرادتها).

لكن الحاكمية الإلهية في اصطلاحنا المقصود بها الحاكمية التشريعية، ومفهومها أن الله سبحانه هو المشرع لخلقه وهو الذي يأمرهم وينهاهم ويحل لهم ويحرم عليهم.. أما سند السلطة السياسية فمرجعه إلى الأمة هي التي تختار حكامها وهي التي تحاسبهم وتراقبهم بل وتعزلهم. والتفريق بين الأمرين مهم والخلط بينهما موهم ومضلل(١).

ومما ينبغي أن نعلمه بداية أن هناك ثلاثة أنواع من الحاكمية هي: حاكمية قدرية، وحاكمية تشريعية، – وكلاهما لله تعالى– وحاكمية بشرية.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأنواع وهو يتحدث عن الحكم حيث ينقسم الحكم في القرآن الكريم إلى نوعين:

النوع الأول: حكم إلهي مطلق: هذا الحكم اختص به الله تعالى بنفسه ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧)، يحكم كيف يشاء فيما يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١)، وهذا الحكم ينقسم إلى قسمين:

حكم عام (الحاكمية القدرية) : يدخل فيه الحكم في الدنيا والآخرة ويمتد من عرش الرحمن إلى منتهى خلقه، ويعني القضاء والقدر في الدنيا. وهي أحد نوعي الحكم الإلهي المطلق ــ فلا يتعلق حديثنا بها وهي في الوقت نفسه من قبيل الأفعال الاضطرارية التي يخضع لها كل الخلق وكل الناس مؤمنهم وكافرهم ولا يشذ عن الخضوع لها واحد منهم.

حكم شرعي: وهو المحدد بمقدار معين ومعلق بزمن ومكان وشروط، وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين من البشر.

النوع الثاني: حكم بشري: وهو الحكم الصادر عن البشر، وهو حكم يختلف من الناطق به إلى الموجه إليه، فتلك الأحكام البشرية عارضة تحتمل وجوها كثيرة من ناحية القبول والرفض، ومن

(١) انظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام– يوسف القرضاوي ص٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ناحية الصلاحية والصحة، ولا ترقى إلى منزلة حكم الله تعالى الواجب على عباده. فمن حق المسلمين أن يشرعوا لأنفسهم في دائرة ما لا نص فيه أصلاً[1].

والكلام هنا منصب على الحاكمية الشرعية الإلهية والحاكمية البشرية: فهل يعني قولنا: لا حاكمية إلا لله إلغاء الحاكمية البشرية؟ إن هذه القضية شبيهة بقولنا: إن المال في الإسلام هو مال الله، فهل يعني ذلك أنه لا أحد من البشر يملك المال في الإسلام؟ بالطبع لا، وإنما يكون المقصود من ذلك أنه لا يملك أحد من البشر المال في الإسلام إلا في إطار القواعد والأهداف التي وضعها الله تعالى لتمليك المال، فضلاً عن أن ملك الله للمال ملك حقيقي ودائم بينما ملك غيره من خلقه لهذا المال ملك إضافي وزائل. وهذا تقريباً نفس المعنى المقصود من حاكمية الله تعالى.

فقولنا: لا حاكمية إلا لله يعني أن الحاكمية التشريعية يجب أن تكون لله وحده، وأنه لا يحق لأحد أن يحكم بشكل مستقل في أي أمر من الأمور دون الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ اعتماداً على هوى شخصي، وليس المقصود قطعاً منع الناس من إعمال العقل والتشريع في إطار القرآن والسنة والضوابط الأصولية للدين[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠).

فقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان، الذي وضع لهم الياسق، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله)[3].

لذلك فليس هناك من حركة سياسية لا تستهدف الحكم، بل من واجبات المواطنة ومقتضياتها أن يفكر الجميع بخير هذا المواطن، ولهذا يرد الإمام البَنّا (رحمه الله) على الذين

---

(١) انظر: تاريخ الحكم في الإسلام- محمود عكاشة ص٩٩-١٠٠.

(٢) حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين- محمد إبراهيم مبروك ج٢ ص٨٧-٨٨ بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير ج٣ ص١٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يلمزون الإخوان على أنهم طلاب حكم، فيقول بكل وضوح: « والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر»[1].

بل إن العمل على إيقاظ الوعي والشعور بفرضية إقامة الحكم الإسلامي واجب، إذ هو الغاية من تحرير الوطن؛ لتحقق الأمة ذاتها، وتعيش بعقيدتها ولعقيدتها، وتدبر أمر وطنها وفق عقائدها وقيمها وفلسفتها الخاصة.

أما إنه فريضة، فقد أوجب الله على الحكام والمحكومين أن يرجعوا إلى حكمه وحكم رسوله ﷺ في كل شؤونهم بموجب عقد الإيمان في صدورهم[2]؛ لأجل هذا اعتمد الإمام البَنّا (رحمه الله) في قوله هذا على الكثير من الآيات التي توجب الحكم بما أنزل الله تعالى نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ٦٠). وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥): قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٥)، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤)، وقال تعالى: ﴿ لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (المائدة: ٤٥)، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٧)، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة: ٤٩).

وقد اتفق كثير من العلماء قديماً وحديثاً مع الإمام البَنّا (رحمه الله) وإليك كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في سياق حديثه عن الحكم بغير ما أنزل الله: « ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتّباع لما أنزل الله فهو كافر فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل،

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٥٥.

(٢) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يكون العدل في دينها ما يراه أكابرهم.. فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله منهم كفار» [1].

وقال ابن أبي العزّ الحنفي في معرِض ذِكرِ ما يجب على الأمّة تجاه ربها ونبيّها ﷺ : «فنوحّده بالتحكيم و التسليم والانقياد والإذعان، كما نوحّد المرسِلَ بالعبادة والخضوع والذلّ والإنابة والتوكّل، فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسِل، و توحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، و لا نرضى بحُكم غيره» [2].

ولذلك فإنَّ الذي له حق الحكم في شئون عباده والتشريع لهم في أمور دينهم ودنياهم إنما هو الله وحده، العالم بخلقه الرحيم بهم، الخبير بما يصلحهم وما يفسدهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤).

فالله وحده، هو الذي خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنه، فمن حقه وحده أن يكلفهم ويأمرهم وينهاهم ويحل لهم ويحرم عليهم، لأنه رب الناس، ملك الناس، إله الناس، وليس لأحد غيره من الربوبية والملك والألوهية ما له، حتى يكون له سلطة الحكم والتشريع.

وإذا كان هذا حكم القرآن والسنة فيمن اتخذ غير الله مشرعاً، واتبعه فيما لم يأذن به الله، فكيف بمن جعل نفسه لله نداً، فأعطاها حق الحكم والتشريع والتحليل والتحريم الذي هو من خصائص الألوهية؟! [3].

وهل هذا يخرج عن رأي الإمام البَنّا (رحمه الله) ؟ حيث قال بالإسلام عقيدة وشريعة تشمل كل أمور الحياة اجتماعية وسياسية وقانونية وثقافية، كما أن الإسلام عبادة تنظم شئون الناس في الآخرة وتقودهم إلى الفوز ورضاء الله تعالى.

قد يكون مفهومًا أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاء لأوامر الله و تنفيذا لأحكامه.

وأما إن كان الحال غير ذلك حيث التشريع الإسلامي في واد والتشريع الفعلي في واد آخر، فإنَّ قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف، فقال الإمام

(١) منهاج السنّة النبويّة- ابن تيمية ج٥ ص٨٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاويّة- لابي العز الحنفي ص٢٠٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٤٦- ٤٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البَنّا (رحمه الله) : « والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل تعاليم ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره، فإنَّ النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد ونفخة في رماد كما يقولون»(١).

وأضاف قائلاً: «هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف. وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم فإنَّ وجدوا من الأمة من يستعد لحمل العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله، وعلى هذا فالإخوان المسلمون أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة»(٢).

فالحكم الإسلامي ضرورة قومية وإنسانية، فقد جربت أمتنا خاصة والبشرية عامة الفلسفات البشرية والأنظمة الوضعية، فلم تجد من ورائها السعادة التي ترجوها، والحياة الطيبة التي تنشدها، بل فقدت كل معنى جميل تسعى إليه وتحصل عليه، لذلك أكد الإمام حسن البَنّا هذا المعنى في كل رسائله ومقالاته ومحاضراته: بالمطالبة بتحكيم القرآن وإقامة دولة الإسلام، محارباً بذلك الفكرة (العلمانية) الدخيلة، التي تنادي بفصل الدين عن الدولة في الحكم والتشريع والقضاء والتعليم والإعلام والثقافة وغيرها(٣).

فقال الإمام البَنّا (رحمه الله): « وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها، والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه»(٤).

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٥٥.

(٢) المصدر السابق ص٣٥٥-٣٥٦.

(٣) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص٣٠.

(٤) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن واجباتها: صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع العامة، وتنمية الثروة، وحراسة المال، وتقوي الأخلاق، ونشر الدعوة[١].

وبين مقصد مجيء الإسلام فقال: «لقد جاء الإسلام نظاماً وإماماً، ديناً ودولة، تشريعاً وتنفيذاً، فبقي النظام وزال الإمام، واستمر الدين وضاعت الدولة، وازدهر التشريع وذوي التنفيذ. أليس هذا هو الواقع أيها الإخوان ؟!

وإلا فأين الحكم بما أنزل الله في الدماء والأموال والأعراض؟ والله تبارك وتعالي يقول لنبيه ﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٩)[٢].

ولهذا وجه الإمام البَنّا (رحمه الله) نداء يطالب فيه الحكومات بالعودة إلى نظام الإسلام، فقال: «وعلى هذا فنحن نطلب من أية حكومة مصرية أولاً وعربية أو إسلامية بعد ذلك أن تعود في نظام حياتها الإسلامية والمدنية إلي الإسلام، ويكون من المظاهر العملية لذلك[٣]:

١. أن تعلن أنها حكومة إسلامية تمثل فكرة الإسلام دولياً تمثيلاً رسمياً.
٢. أن تحترم فرائضه وشعائره وأن تلزم بأدائها كل موظفيها وعمالها وأن يكون الكبار في ذلك قدوة لغيرهم.
٣. أن تحرم الموبقات التي حرمها الإسلام من الخمر وما يلحق بها، ومن الزنا وما يمهد له، والربا وما يتصل به من أنواع القمار والكسب الحرام، وأن تكون الحكومات قدوة في ذلك فلا تبيح شيئاً من هذا ولا تعمل على حمايته بسلطة القانون ولا تتعامل مع شعبها على أساسه.
٤. أن تجدد مناهج التعليم بحيث تقوم على التربية الإسلامية والوطنية، ويعني بها باللغة العربية والتاريخ القومي عناية فائقة، وتؤدي إلي طبع نفوس المتعلمين بتعاليم الإسلام وتثقيف عقولهم في أحكامه وحكمه.
٥. أن تكون الشريعة الإسلامية المصدر الأول للقانون.
٦. أن تصدر الحكومات عن هذا التوجيه الإسلامي في كل التصرفات.

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٩.

(٢) المصدر السابق ص٤٣٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه ص٥٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن مثار الاستغراب أن يطالب المسلمون بالحاكمية لله بالتحاكم إلى شريعته؛ لأن لكلمة الدين عند الغربيين مدلولاً خاصاً، فلا يتعدى عن كونه العقيدة التي تنظم صلة العبد بربه فقط، كما أن المسيحية، قد نشأت في ظل الإمبراطورية الرومانية، التي كان لها من قوانينها المشهورة، ما لا يزال حتى الآن مصدرًا من مصادر التشريعات الأوروبية الحديثة، فلم تكن المسيحية بحاجة يومئذ – ولا كانت بقادرة يومذاك – أن تضع للدولة الرومانية الوطيدة، وللمجتمع الرومانى المعقد، قوانين، ونظماً، وحدودًا، للسير على هداها في الدولة والمجتمع، بقدر ما كانت محتاجة وقادرة على أن تتصرف إلى التهذيب الروحى، والتطهير الوجداني[١].

فحينما زحف الاستعمار الغربي على الشرق والشرقيين، وزحفت معه أفكاره ومبادئه، ومثالياته ونظم حياته، وأخذ يروج لها بوسائل الدعاية المنظمة، عن طريق البرامج الثقافية وغيرها من وسائل الاتصال المختلفة التي تكيف العقول حسب رغبته، وتوجه الميول حسب مشيئته، وحسبما تملى مصالحه السياسية، والاقتصادية، والثقافية، على حد سواء.

ومرت الأيام والسنون، وإذا في الشرق جيل كامل يؤمن بهذه المبادئ ويعتقدها، ويروج لها، بل ويتشيع ويتعصب لها، إذا أراد أحد أن يناقشه فيها أو يقنعه بخلافها.

والآن فلنعد إلى الإسلام الذي هو الدين الذي قصدناه في بحثنا هذا لنرى مدى علاقته بالسياسة، ولنستعرض بعض أحكام الإسلام وقوانينه؛ لنرى مدى علاقتها بحياة الناس ومجتمعهم، في جميع شئونهم عامة، وفي شئونهم السياسية خاصة[٢].

---

(١) انظر: العدالة الاجتماعية في الإسلام– سيد قطب ص٧، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري– محمد شوقي زكي ص٧٢.

(٢) انظر: المال والحكم في الإسلام– عبد القادر عودة ص ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

موقفه من الدستور المصري

يُعرف الدستور[١] بأنه مجموعة الأحكام التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها، وسلطاتها، وطريقة توزيع هذه السلطات، وبيان اختصاصاتها، وبيان حقوق المواطنين وواجباتهم[٢].

فهو يعدُّ من أهم القوانين السارية في الدولة، بل أساس هذه القوانين، ويجب ألا تخالف القوانين حكماً أو أحكاماً دستورية.

والدستور في الإسلام هو مجموعة القواعد والأحكام العامة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، التي تنظم المبادئ الرئيسة التي يقوم عليها الحكم في الإسلام.

فالدستور الإسلامي بهذا التعريف العام ثابت على مدى الزمن، لا يمكن تعديله، أو تغييره، أو إلغاؤه بحال؛ لأنه وحي من الله وليس لبشر أن يغير في الوحي أو يبدل.

التعريف الخاص للدستور في الإسلام هو مجموعة القواعد والأحكام الأساسية في الدولة المسلمة التي تبين نظام الحكم وشكل الدولة، والسلطات العامة فيها، والأشخاص والهيئات التي تتولى هذه السلطات، وارتباطها ببعضها، وبيان حقوق الأفراد، وواجباتهم، صادرة في ذلك عن مبادئ الإسلام العامة، وتنظيماته في الشؤون الدستورية.

وتعريف الدستور بهذا المعنى، يمكن أن يسمى (التعريف الفني أو القانوني)، وهو الذي تعنى به هذه الدراسة، والدستور بهذا المعنى لا يعني الأحكام الشرعية الثابتة، والمبادئ الأساسية لنظام الحكم في الإسلام، وإنما يعني الدستور في دولة إسلامية – مهما اختلف زمان وجودها ومكانها – الذي يبين التنظيمات الأساسية في تلك الدولة حسب ظروفها وأحوالها، وقد يختلف عن دستور دولة إسلامية عن أخرى، باختلاف مكانها أو زمانها.

---

(١) **الدستور في اللغة:** الدستور كلمة فارسية تعني الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجند، والذي تجمع فيه قوانين الملك، وتطلق أيضا على الوزير، وهي مركبة من كلمة «دست» بمعنى قاعدة، وكلمة«ور» أي صاحب، وانتقلت إلى العربية من التركية بمعنى «قانون، وإذن» ثم تطور استعمالها حتى أصبحت تطلق الآن على القانون الأساسي في الدولة». محمد موسى هنداوي– المعجم في اللغة الفارسية ص ٢٠٧، السيد آدي شير– معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ٦٣، أحمد عطية الله– المعجم السياسي ص ٢٥١.

(٢) أصول الأحكام الشرعية ومبادئ علم الأنظمة–عبد العزيز النعيم ص١٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما سبق يتضح أن الأحكام والقواعد الدستورية في النظام الإسلامي تنقسم إلى قسمين: ثابتة، وغير ثابتة، فالثابتة هي ما ورد صريحاً من قواعد عامة في نصوص القرآن والسنة، وما كان محل إجماع علماء المسلمين منها، في الشؤون الدستورية كالشورى، والعدالة، والمساواة، والتعاون.

وغير الثابتة وهي الأحكام المستنبطة عن طريق الاجتهاد والرأي، مما يتعلق بالأساليب والأنظمة، والتفصيلات التي تختلف تبعاً لاختلاف ظروف الزمان والمكان(١).

فإنَّ الدستور لأي دولة كانت يُعبر عن فكر تلك الدولة، واتجاهها الديني والاجتماعي؛ لأنه القانون المهيمن والموجه لقوانين تلك الدولة ونظمها، وهذا ما يفسر توعية الإمام البَنّا (رحمه الله) لإخوانه بتحديد الموقف الدستور بناءً على معيارية تحقق المصالح المعتبرة والمرسلة منه، وكان ذلك من الدعائم التي قامت عليها التربية السياسية عنده، وقد فرَّق بين القانون والدستور، بقوله: «أحب أن نفرق دائماً بين (الدستور) وهو نظام الحكم العام الذي ينظم حدود السلطات وواجبات الحاكمين ومدى صلتهم بالمحكومين، وبين (القانون) وهو الذي ينظم صلة الأفراد بعضهم ببعض ويحمى حقوقهم الأدبية والمادية ويحاسبهم على ما يأتون من أعمال»(٢).

ويبيِّن أهمية تحديد مفهوم الدستور، والحكم الدستوري وما يتضمنه من دلالات، فقال (رحمه الله): «وأستطيع أن نقول في اطمئنان إن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الإسلام، وليست بعيدة من النظام الإسلامي ولا غريبة عنه، بل إن واضعي الدستور المصري رغم أنهم وضعوه على أحدث المبادئ والآراء الدستورية وأرقاها، فقد توخوا فيه ألا يصطدم أي نص من نصوصه بالقواعد الإسلامية، فهي إما متمشية معها صراحة كالنص الذي يقول: (دين الدولة الإسلام) أو قابلة للتفسير الذي يجعلها لا تتنافى معها كالنص الذي يقول: (حرية الاعتقاد مكفولة) » (٣).

---

(١) انظر: القانون الدستوري والأنظمة السياسية مع المقارنة بالمبادئ الدستورية في الشريعة الإسلامية- عبد الحميد متولي ج ١ ص٢٢- ٢٤.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٥٧.

(٣) المصدر السابق ص٦٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكنَّ الإمام البَنّا (رحمه الله) يقف أمام غموض النصي وما يوقعه من إيهام، وطريقة التطبيق وما توقعه من إشكال، فيقول: «بقي بعد ذلك أمران: أولهما النصوص التي تصاغ في قالبها هذه المبادئ، وثانيهما طريقة التطبيق التي تفسر بها عملياً هذه النصوص.

إن المبدأ السليم القويم قد يوضع في نص مبهم غامض فيدع مجالاً للعبث وبسلامة المبدأ في ذاته، وإن النص الظاهر الواضح للمبدأ السليم القويم قد يطبق وينفذ بطريقة يمليها الهوى وتوحيها الشهوات، فيُذهب هذا التطبيق بكل ما يرجى من فائدة.

والأولى: إذا تقرر هذا فإنَّ نصوصًا من الدستور المصري يراها الإخوان المسلمون غامضة مبهمة تدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والأهواء، فهي في حاجة إلى وضوح وإلى تحديد وبيان.

والثانية: هي أن طريقة التنفيذ التي يطبق بها الدستور، ويتوصل بها إلى جني ثمرات الحكم الدستوري في مصر، طريقة أثبتت التجارب فشلها، وجنت الأمة منها الأضرار لا المنافع، فهي في حاجة شديدة إلى تحوير وإلى تعديل يحقق المقصود ويفي بالغاية»[(١)].

فإنَّ ما وقع فيه الشعب المصري من اضطراب في الحياة السياسية والنيابية ناجم عن القصور في عبارات الدستور المصري، وسوءًا في التطبيق أو في حماية القواعد الأساسية التي جاء بها الإسلام وقام عليها الدستور؛ ولتجنب تلك الثغرات في الدستور المصري وما تعكسه من إشكالات في واقع الحياة السياسية فقد كان من مقررات المؤتمر الخامس أن اقترح المؤتمرون على مكتب الإرشاد العام الإسراع في تشكيل اللجان الآتية: لجنة دستورية من أعضاء الجماعة المختصين؛ لدراسة نصوص الدستور المصري، والموازنة بينها وبين القواعد الأساسية في نظام الحكم الإسلامي، ثم العمل على إحلال النظم الإسلامية محل غيرها مما لا يتفق معها[(٢)].

فبعد هذا البيان والتفصيل يتضح أنَّ الإمام البَنّا (رحمه الله) يتحدث عن الدستور حديث الأنصار لا الخصوم[(٣)]، ولكن قد يقع في الوهم بعض الناس، وبعض الإخوان، أنهم حين يعلنون ويهتفون: القرآن دستورنا– يرفضون أي دستور وضعي أو بشري يضعه الناس لأنفسهم ويتفقون عليه، والواقع أن المقصود المفهوم من شعار (القرآن دستورنا) أنه هو المرجع الأعلى،

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٥٧، ٦٥٩.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٣٧٧.

(٣) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص ٨٢–٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا يقبل أي شيء منها إذا عارض القرآن، فهو الذي يعلو ولا يعلى عليه، ويحكم ولا يُحكم عليه، فلا يمنع الإسلام، أن يضع المسلمون لأنفسهم نظاماً أو دستوراً ينظم العلاقات الأساسية بين الأمة والدولة، أو بين الحاكم والمحكوم، ويُبيِّن الحقوق، ويفصل الحريات، ويحدد الواجبات، ويوزع السلطات، ويضع النقاط على الحروف، بالنسبة لنظام الحكم وعلاقاته الداخلية والخارجية، ولكن شريطة: ألا يتعارض مع عقائد الإسلام البينة، وشرائعه المحكمة، وقيمه الموجهة، وأن يسير في ضوء تعاليمه.

ولهذا لم يعترض علماء الإسلام في أي بلد مسلم على فكرة الدستور في حد ذاتها، ولكن قد يعترضون على بعض ما يشتمل عليه الدستور من مواد مخالفة للنصوص والقواعد الإسلامية الثابتة، أو لقصوره أو تقصيره عن النص على أشياء منها، مثلاً أن يكون الإسلام هو مصدر التشريع أو المصدر الأساسي للتشريع أو غموض بعض المواد في الدستور، بحيث يفسرها كل فريق بما يخدم أغراضه ويتفق مع هواه، فلا ينبغي بحال الوصول بنص بشري مهما بلغت قيمته ودقته إلى هذه الرتبة من التقديس، كما لا يجوز العبث بالدساتير المحترمة وتغييرها بسهولة إتباعاً للأهواء، أو تحقيقاً لغرض معين، حتى لا يصبح الدستور ملعبة للحكام المستبدين، وليس ضابطاً لهم[1].

بعض الناس قد لا يعرف شيئا عن نظم الحكم إسلامية كانت أو غربية، ومع هذا لا يتعب نفسه أو يكلفها مؤونة البحث ويكتفي برفض أي شيء، ولا يستطيع أن يوضح ما يريد أو يبين عما يقصد، ومن قبيل ما ذكرنا اعتراض البعض على الإمام البَنّا (رحمه الله) في مقارنته بين الإسلام وبين الدستور الذي كان موجودًا في مصر، وقد وصفوا الدستور بالصنم، وعلى هذا فكل من يذكر هذه الكلمة يكون قد حام حول الصنم، فالمبادئ والفلسفات والمقاصد التي جاء بها الإسلام في سياسة الأمة والدولة التي يمكن أن تحققها (النظم المدنية)، والتجارب الإنسانية التي هي إبداع إنساني– إسلامي أو غير إسلامي والمعيار في القبول والرفض، هو مدى تحقيق هذه النظم لمقاصد الإسلام في إشراك الأمة في سلطة صنع القرارات وفي تحقيق العدل بين الناس[2].

(١) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص ٧٩–٨١.

(٢) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا– محمد عمارة ص٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

موقفه من القانون[١] الوضعي

من المعلوم أن مصادر الأحكام في الشريعة الإسلامية تختلف عنها في القانون الوضعي، فمصدر الأحكام في الشريعة هو الوحي المتمثل في القرآن والسنة، وبقية المصادر تابعة للوحي، أما مصادر القانون الوضعي فهي بشرية ومرتكزة على نتاج الفكر البشري المجرد[٢].

في ضوء ما سبق نبين موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من القانون الوضعي حيث أكد الإمام البَنّا (رحمه الله) على حقيقة ثابتة وهي أن الإسلام لم يجئ خالياً من القوانين، سواءً المادية أو الجنائية أوالتجارية أو الدولية، فقال: «إن الإسلام لم يجئ خلواً من القوانين، بل هو قد أوضح كثيراً من أصول التشريع وجزئيات الأحكام، سواء أكانت مادية أم جنائية، تجارية أم دولية، والقرآن والأحاديث فياضة بهذه المعاني، وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحي، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة، وأقرها مؤتمر لاهاي الدولي[٣] أمام ممثلي الأمم من رجال القانون في العالم كله»[٤].

بل إن الاحتكام للقانون الوضعي اصطدام مع ما جاء عن الله ورسول ﷺ وتناقض أيضا مع الدستور الذي يقرر أن دين الدولة هو الإسلام، فقال: «فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون في أمة إسلامية متناقضًا مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها ﷺ، مصطدماً كل الاصطدام بما جاء عن الله ورسوله ﷺ.. فكيف يكون موقف المسلم الذي يؤمن بالله وكلماته

---

(١) القانون كلمة يونانية الأصل، تلفظ كما هي (kanun) وانتقلت من اليونانية إلى اللغات الأخرى، وهى تعني العصا المستقيمة، فانتقلت إلى الفارسية بنفس اللفظ (كانون) بمعنى أصل كل شيء وقياسه، ثم عربت عن الفارسية بمعنى الأصل، ودرج استخدامها بمعنى أصل الشيء الذي يسير عليه، أو المنهج الذي يسير بحسبه، أو النظام الذي على أساسه تنتظم مفردات الشيء، وتكون متكررة على وتيرة واحدة بحيث تصبح خاضعة لنظام ثابت، فيقال في معرض الأبحاث الطبيعية قانون الجاذبية، ويقال في معرض الأبحاث الاقتصادية قانون العرض والطلب وهكذا.. هذا من حيث اللغة. [انظر: ابن منظور لسان العرب- ج ٣ ص ١٧٧، حبيب إبراهيم الخليل- المدخل للعلوم القانونية ص ٩، محمد موسى هنداوي- المعجم في اللغة الفارسية ص ٣٢٨، أحمد سلامة]

أما التعريف الاصطلاحي العام للقانون، فهو: القواعد التي تنظم سلوك الأفراد في المجتمع تنظيماً ملزماً، ومن يخالفها يعاقب، وذلك كفالة لاحترامها. انظر: جميل الشرقاوي- دروس في أصول القانون ج١ ص١٣، عبد المنعم فرج الصدة- أصول القانون ص٢.

(٢) انظر: الإسلام والدستور- توفيق بن عبد العزيز السديري، موقع الإسلام- http://www.al-islam.com.

(٣) كان هذا المؤتمر الدولي سنة ١٩٣٢م.

(٤) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا سمع هذه الآيات البينات وغيرها من الأحاديث والأحكام، ثم رأى نفسه محكوماً بقانون يصطدم معها؟»[١]، وفي تناقضها مع الدستور قال: «إن هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه، تصطدم بالدستور الوضعي نفسه الذي يقرر أن دين الدولة هو الإسلام، فكيف نوفق بين هذين يا أولى الألباب؟!»[٢].

ويذكر: «إن الأمم التي تقول في أول مادة من مواد دستورها: إن دينها الرسمي الإسلام يجب أن تضع بقية المواد على أساس هذه القاعدة، وكل مادة لا يسيغها الإسلام ولا تجيزها أحكامه يجب أن تحذف، حتى لا يظهر التناقض في القانون الأساسي للدولة»[٣].

وحذر من الارتهان للقوى الأجنبية في الخشية من تطبيق الأحكام الشرعية، فقال: «فإذا طالب بالتعديل (القوانين الوضعية بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية) قيل له: إن الأجانب لا يرضون بهذا ولا يوافقون عليه، ثم يقال بعد هذا الحجر والتضييق: إن المصريين مستقلون وهم لم يملكوا بعد أن يتمتعوا بحرية الدين، وهي أقدس الحريات»[٤].

وأن مشجب الارتهان للقوى الأجنبية لن يقدم ولا يُؤخر، فقال: «وخلاصة هذا الكلام في إيجاز: أننا إذا لاحظنا غضب الغربيين ورضاهم في تمسكنا بالإسلام أو بعدنا عنه، فليس لهذا من معنى إلا أننا إن لم نتمسك بالإسلام فلن نكسب رضاهم وسنخسر أنفسنا، في حين أننا إذا تمسكنا به وتجمعنا من حوله واهتدينا بهديه كسبنا أنفسنا ولا شك. وكان هناك احتمال قوى أن نكسبهم أيضا بتأثير قوة الوَحْدة فأي الرأيين أولى بالاتباع يا أولي الألباب ؟!»[٥].

وقد سلك الإمام البَنّا (رحمه الله) مسلكاً عملياً للإصلاح والتعديل، فقال: «الإخوان المسلمون سيعملون بكل سبيل على أن يحل مكانه أي (القانون الوضعي) التشريع الإسلامي العادل الفاضل في نواحي القانون»[٦].

وكان أيضا من قرارات المؤتمر الخامس اقتراح المؤتمرين على مكتب الإرشاد العام الإسراع في تشكيل اللجان الآتية: لجنة قانونية للموازنة بين القانون الوضعي في كل فروعه،

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٥٩.
(٢) المصدر السابق ص٣٦٠.
(٣) المصدر نفسه ص٦٢- ٦٣.
(٤) المصدر نفسه ص٣٥٩.
(٥) المصدر نفسه ص٦٤٣.
(٦) المصدر نفسه ص٣٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبين القانون الإسلامي، وبيان نواحي الخلاف بينها، ومطالبة الحكومة بتعديل القانون ليتفق مع أحكام الإسلام[١].

وأكد في المؤتمر السادس على إصلاح القانون باستمداده من شرائع الإسلام فقال: «وإصلاح القانون باستمداده من شرائع الإسلام[٢] بـ: بيان جماليات النظم والقواعد والقوانين الإسلامية عن غيرها من النظم البشرية، فقال: «يعتقد الإخوان المسلمون أن الله تبارك وتعالى حين أنزل القرآن وأمر عباده أن يتبعوا محمدًا ورضي لهم الإسلام ديناً، ووضع في هذا الدين القويم كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها.. وأنت إذا أمعنت النظر في تعاليم الإسلام وجدته قد وضع أصح القواعد وأنسب النظم وأدق القوانين لحياة الفرد رجلا وامرأة، وحياة الأسرة في تكوينها وانحلالها، وحياة الأمم في نشوئها وقوتها وانحلالها» [٣].

وبيان أن أية نهضة للشرق تبنى على غير نظم الإسلام، أو تصطدم بأحكامه فلن يكتب لها النجاح، فقال: «يطالب الإخوان المسلمون الناس بأن يعملوا على أن تكون قواعد الإسلام الأصول التي تبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شؤون الحياة، ويعتقدون أن كل مظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قواعد الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة فاسدة فاشلة، ستخرج منها الأمم بتضحيات كبيرة في غير فائدة، فخير للأمم التي تريد النهوض أن تسلك إليه أخصر الطريق بأتباعها أحكام الإسلام»[٤].

ورد الإمام البَنّا (رحمه الله) اعتراضات ومبررات عدم الانصياع لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، فقال: «قد يقال: كيف ذلك والحياة العصرية في العالم كله لا تقوم على أساس الدين في أية ناحية من نواحيها، وقد اصطلحت أمم العالم، التي بيدها اليوم مقاليد الأمور وتوجيه مقدرات الأمم والشعوب على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية، وإقصاء الدين عن كل مرافق الحياة وحصره بين الضمير والمعبد، وهى وحدها نافذة المؤمن التي يتصل منها بالله؟ والذين يقولون هذا القول لم يعرفوا الإسلام! ولم يدرسوا تعاليمه وأحكامه، ولم يفقهوه بعد على طبيعته الصحيحة ووضعه السليم؟!، من أنه دين ومجتمع، ومسجد ودولة، ودنيا وآخرة، وأنه تعرض لشؤون الحياة الدنيوية العلمية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية، وإن كان قد أقام

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٧٧.
(٢) المصدر السابق ص٤٤٧.
(٣) المصدر نفسه ص٦١- ٦٢.
(٤) المصدر نفسه ص٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشطرين معاً على دعامة من سلامة القلب، وحياة الوجدان، ومراقبة الله وطهر النفس، فالدين على هذا جزء من نظام الإسلام، والإسلام ينظمه كما ينظم الدنيا تماماً.

ونحن كمسلمين مطالبون بأن نقيم ديننا ودنيانا على أساس القواعد الإسلامية: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠).

ومن هنا فرق الفقهاء في النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد أحكام المعاملات وشؤون الحياة الاجتماعية، فأفسح للنظر والاجتهاد في الثانية ما ليس في الأولى حتى لا يكون على الناس في ذلك حرج ولا مشقة، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة:١٨٥).

وقد يقال: إن هذا جمود ورجوع بالعالم إلى الوراء ألف عام أو تزيد، فكيف يعقل أننا نطبق اليوم نظماً جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر جيلاً في أرض غير أرضنا وعلى لون من الحياة غير ألوان حياتنا ؟! وأين سنة التطور وقوانين التقدم والارتقاء؟

ونقول لهؤلاء كذلك إنكم أيضا لم تفهموا طبيعة الإسلام الحنيف، الذي جاء للناس فكرة سامية تحدد الأهداف العليا، وتضع القواعد الأساسية، وتتناول المسائل الكلية، ولا تتورط في الجزئيات، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها وتتسع لها جميعاً ولا تصطدم بشيء منها»[١]. وأضاف قائلاً: «وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور، وتساير مقتضيات التقدم، وتتمتع بمعاني المرونة والسلاسة والسعة كشريعة الإسلام الحنيف، ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة:٦) » [٢].

كما أنه حذر (رحمه الله) من خطر التنصل عن شريعتنا الغراء، فقال: «فإنَّ خطر التنصل من الإسلام والتنكر له عظيم على كياننا نحن، فما دمنا بعيدين عن تشرب روحه وتحقيق تعاليمه، فسنظل حائرين فتتحطم معنوياتنا، متفرقين فتضعف قوتنا»[٣].

ولهذا أكد على ضرورة أن يكون القانون مستمداً ومتفقاً من شريعتنا وأصول الفقه الإسلامي، فقال: «يجب أن يكون القانون مستمداً من أحكام الشريعة الإسلامية، مأخوذاً عن القرآن الكريم، متفقًا مع أصول الفقه الإسلامي، وإن الشريعة الإسلامية، وفيما وضعه المشرعون المسلمون ما

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٤١.
(٢) المصدر السابق ص٦٤٢.
(٣) المصدر نفسه ص٦٤١-٦٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يسد الثغرة، ويفي بالحاجة وينقع الغُلة، ويؤدي إلى أفضل النتائج وأبرك الثمرات، وإن في حدود الله – لو نفذت– لزاجرًا يردع المجرم وإن اعتاد الإجرام، ويكف العادي وإن تأصل في نفسه العدوان، ويريح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة، والتجربة تثبت ذلك وتؤيده، وأصول التشريع الحديث تنادي به وتدعمه، والله – تبارك وتعالى– يفرضه ويوجبه: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٧) »[1].

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

موقف البَنّا من الديمقراطية[1] والمجالس النيابية

أُطلق على الإمام البَنّا (رحمه الله) لقب الإمام المجدد، كونه صاحب النظرية الداعية لشمولية فهم الإسلام، والانفتاح على الآخر والاطلاع على ثقافاتهم، وحسن الإفادة مما عندهم، مع الاحتفاظ بخصوصياتنا كأمة لها رسالة سماوية عالمية.

فقد تحدث في شتى المجالات حديث العالِم المتقن، فقدّم الدعوة الإسلامية بُحلة زاهيةٍ مواكبة لروح العصر، وحمل فكراً متجدداً مضيئاً، فقال: «إن الإسلام كدين عام نظمّ كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، وقد جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة، وخصوصاً في الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها، والسير في حدودها»[2].

ولبيان وجهة نظر الإمام البَنّا (رحمه الله) من مفهوم الديمقراطية وأوجه الالتقاء مع النظام السياسي في الإسلام الذي جاء كاملاً شاملاً، لا عيب يعتريه، ولا نقص يشوبه، فهو صالح لكل زمان ومكان، وإن معيار القبول والرد هو موافقة ما جاء به الإسلام، وأنه لا مستقبل في عالمنا الإسلامي للأيديولوجيات الرافضة للإسلام، التي لم تستطع أن تحل أي مشكلة من مشاكل أمتنا، هذه الأيديولوجيات التي نمت في مرحلة مَرضيَّة، وهي مرحلة الغزو الفكري[3].

وهنا نصطدم بتساؤل رئيس، قد يوضح بعض الغموض الحاصل في اللبس في المفاهيم، ولماذا وقع هذا اللبس؟ فالبعض رد الديمقراطية بالمطلق كمصطلح من غير أن يفصل بين الديمقراطية كآلية حكم، والديمقراطية كنسق قيمي مادي بحت يجعل الإنسان سلعة أو متاعاً، الأمر الذي ظهر جلياً في عدم التمييز بين الديمقراطية كجهاز للحكم- فيمكن اعتباره بحق تطبيقاً لقيمة الشورى، وسلطة الجماعة (الجمهور)، وبين الفلسفة الليبرالية التي نشأت الديمقراطية المعاصرة في ظلها، ومن قيم هذه الفلسفة الرؤية المادية للكون والإنسان.

---

(١) الديمقراطية: -Democracy- كلمة مشتقة من لفظتين لاتينيتين، (Demos) الشعب، و(Kratos) سلطة، ومعناها الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب. مذاهب فكرية معاصرة- قطب ص١٧٨.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٣٥- ٣٣٦، التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد ص٣٦- ٣٧.

(٣) انظر: حوارات قصي صالح الدويش- راشد الغنوشي ص:٣٥- ٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أوقع هذا كثيراً من دعاة الإسلام في هذا الخلط العجيب، وزج بهم وبالأمة في معارك لا طائل من ورائها غير إلصاق صفة الاستبداد بنظام الحكم الإسلامي بحكم المخالفة، والحال أنه ليس أسعد بالديمقراطية، وبالحريات عامة من الإسلام، وهل من عدو للإسلام ودعاته أنكى وأخطر من الاستبداد؟! ومن العجب أن أناساً مطحونون بالدكتاتوريات، مقهورون بالاستبداد، وهم مع ذلك بدل أن يتصدوا لخصمهم الحقيقي (الاستبداد) نراهم يختلقون مشكلات مع الديمقراطية!! وكأن لسان حالهم يقول: نحن لو أتيحت لنا فرصة للسلطة لطحناهم، ولقهرناهم أيضاً!! فلماذا نجني على هذا الدين العظيم، هو في حقيقته ثورة تحررية شاملة؟، ولماذا يجني عليه بعض دعاته، فيلحقون به تهمة الاستبداد والإرهاب من خلال تصويره ظلماً وجوراً على أنه خصم للديمقراطية؟![1].

فإنَّ العديد من النظريات ناصبناها العداء؛ لمجرد أن ناقلها أو واضعها لا ينتمي لأمتنا أو لم يعتنق ديانتنا! مع أن الفكر الإسلامي يجب أن ينحى منحى الاجتهاد المفتوح، لا التقوقع والانغلاق في متاهات الذات ورفض الآخر، وخاصة في ظل التطورات الحاصلة اليوم في العالم، حيث أصبح قرية صغيرة، يتزاحم فيها الناس على موارد الحياة، وينقلون ثقافاتهم ويتبادلونها من باب المزج الاجتماعي.

فإنَّ الظواهر الاجتماعية ظواهر معقدة؛ لذلك عندما نقول ديمقراطية نعطي انطباعاً وكأن هناك نظاماً محدداً لا اختلاف حوله!

على حين أن هناك ديمقراطيات متعددة، وليست ديمقراطية واحدة، وهناك أنظمة للانتخاب، وليس نظاماً واحداً؛ فتبسيط الظواهر الاجتماعية لا يطور حياتنا الثقافية، وإنما يُسَطِّحها، ويدفع كل التيارات إلى التصادم[2].

أما الجمود أمام دائرة الحراك الاجتماعي فإنه يصنع حالة من التصادم الحُرِّ الذي لم يعرف معنى للقواعد والقوانين، أو المعايير؛ فيتشبث ببعض الشكليات معتبراً إياها لُبَّ القضية وفحواها، مع أن العبرة بالحقائق لا بالأشكال.

وبناءً على ذلك فقد تطرق الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى مفهوم الديمقراطية بانفتاحٍ، وتمييز بين ما يحتويه المصطلح من مفاهيم متعددة نمت في إطاره عبر رحلة تفاعله مع الواقع

---

(١) انظر: حوارات قصي صالح الدويش- راشد الغنوشي ص٦٣- ٧١- ٧٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومتغيراته، وعلى اختلاف الثقافات والأمم، وكأنه يعلم أننا سننتهي في يوم من الأيام من هذا المفهوم الضيق لننتقل إلى مفاهيم أكثر اتساعاً وشمولية: كالعولمة، والحداثة.. وغير ذلك.

فمهد لنا الطريق للسير حثيثاً نحو مسابقة الشعوب؛ لنكشف عما يحتوى ديننا الحنيف من كنوز معرفية، يمكن لها أن تختلف في التسميات ولكنها تتفق في المعاني والعبر.

فالديمقراطية كمصطلح ينطوي على مفاهيم عديدة، ودلالات مختلفة قد تصل لحد التباين؛ ولكنها كمصطلح سياسي يحمل معنى واحداً وهو المشاركة السياسية.

ولم يتطرق الإمام البَنّا (رحمه الله) للبعد القيمي، ولا الأرضية التي ينطلق منها، ولا الخلفية التي خرج منها ذلك المفهوم. مع أنه اتسع مفهوم الديمقراطية في العصر الحديث، وتبنتها أنظمة حكم متباينة، ومن ثم صار لها تعاريف كثيرة بحسب الزاوية التي ينظر إليها[١].

ونؤكد على أن العالِم بأمور السياسة – أي المتبحر فيها– يجد أنه قد يستفيد من كل الأشياء، بغض النظر عن مصدرها، أو مقدار قيمتها؛ إن استطاع الوصول إلى نقاط الالتقاء فيها، فيجردها من تسلطها وتحيزها؛ ليرجعها إلى صيغتها الأساسية.

فمثلاً تجدنا نتفق مع الديمقراطية من حيث أنها آليات لاستخراج القرار السياسي؛ لأن مآلها هو توزيع السلطة، بمعنى أن يكون القرار شركة، وليس انفراداً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى: ٣٨)، فبقدر ما يتوزع القرار السياسي وبقدر ما تتسع قاعدة المشتركين فيه، بقدر ما يتحقق النظام الإسلامي، وكذلك النظام الديمقراطي.

فآليات الديمقراطية، كالانتخاب، والاستفتاء، والبرلمان، والأغلبية، والتداول على السلطة، هذه آليات لا غبار عليها في الإسلام؛ فإنَّ خصم الديمقراطية، وخصم الإسلام، واحد هو الدكتاتورية والاستبداد[٢].

إذاً فالديمقراطية والشورى ليست العلاقة بينهما كخطي سكة حديدية واحدة لا تلتقيان؛ لأنهما تتقاطعان في مفهوم المشاركة السياسية، والشراكة من خلال استطلاع رأي الأمة، أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها. وهذا ما أوضحه الإمام البَنّا (رحمه الله)، فقال: «إن السياسة الإسلامية نفسها لا تنافي أبداً الحكم الدستوري الشورى، وهي واضعة أصله، ومرشدة

(١) انظر: المشاركة في الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة– مشير المصري ص٥٢.

(٢) انظر: حوارات قصي صالح الدويش– راشد الغنوشي ص٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناس إليه، في قوله تعالى من أوصاف المؤمنين: ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨) »[١].

فالشورى إذا آلية من آليات الاستئناس بالرأي الصواب، وجس لنبض الشارع – أي نستطيع القول إنها دراسة احتياجات يعمد إليها الحاكم؛ لتسير عجلة الحكم قدماً، فلا يشعر المحكوم بأنه ينفذ ما يُدلى إليه من غير أن يكون جزءاً من صناعة القرار السياسي في السلم والحرب – وغيرهما من القضايا المستجدة.

فالذي يشارك في القرار يشارك في المسؤولية، فالديمقراطية من تلك الزاوية ليست أكثر من جهاز يُمكن من الحوار، والتفاوض، والتداول على السلطة، ويستطيع هذا الجهاز أن يفرز أغلبية تحكم، ويترك للأقلية أن تعارض، كما وينظم الصراع الفكري والسياسي بعيداً عن إهدار الدماء، هذه الآلية لا تجري في الفراغ، بل تجري في إطار ثقافي معلوم، وفي إطار مرجعية ثقافية، ويُمكِّن كذلك من تنظيم للرأي العام ضمن جماعات سياسية ونقابية واجتماعية وثقافية وخدمات اجتماعية وصحافة.. وغير ذلك.

فماذا في هذا الجهاز ذاته مما أنكره الإسلام وجفاه؟ وماذا في قيم الإسلام مما يتناقض مع الديمقراطية إذا أُحسن فهمها؟! وما الذي يمنع أن نستخدم هذا الجهاز السياسي، مع التأكيد على أن المرجعية التي يتحرك عليها هذا الجهاز ليست جامدة، بل قابلة للتطوير؟![٢].

فنظام الحكم يعد هو الأداة التي تحرك المجتمعات، وتنظم حراكها، ولا يمكننا أن نطور ذاتنا بالوقوف ساكنين في مضمار السباق المحموم، والعالم في حالة تسابق حامي الوطيس.

فإنه من حقنا اقتباس ميزات الديمقراطية، فالإسلام قد سبقها بقرون في تقرير القواعد التي يقوم عليها جوهرها، ولكنه ترك التفصيلات لاجتهاد المسلمين وفق أصول دينهم، ومصالح دنياهم، وتطور حياتهم بحسب الزمان والمكان، وتجدد أحوال المسلمين[٣].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٤٠.

(٢) انظر: حوارات قصي صالح الدويش– راشد الغنوشي ص٦٤– ٦٥.

(٣) انظر: فتاوى معاصرة– يوسف القرضاوي ج٢ ص٦٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجه الآخر لمفهوم الديمقراطية:

لمَّا كانت عوامل كثيرة تسهم في تكوين الظواهر الاجتماعية، والمفاهيم الفلسفية، فإنَّ هذا ما يفرض في حال فهمها والحكم عليها مراعاة فهم كل تلك العوامل، وإسهام كل عامل في التكوين، وأي تسطيح لها لا يخدم في فهمها، الأمر الذي ينتج عنه حكم يجانب الصواب.

ولذلك في ميادين الممارسة لأحظ الإمام البَنّا (رحمه الله) ما وقعت به النظم الغربية في مخالفات تتناقض مع ما بَشَّرت به من قبل!

كل ذلك يرجع إلى الحاضنة الأساسية التي تشكل أرضية الممارسة الديمقراطية كنظام يرعى الحريات، ولم يتوقف الأمر عند تنكرهم لها فحسب، بل استبدلوا الحرية الاجتماعية بالفوضى، والحرية الفردية التي انفلت عقالها؛ لتسقط في الإباحية، وتمهد للديكتاتورية المقيتة، في الوقت الذي سادت العالم هذه النظم الديمقراطية، وانطلقت الحناجر في كل مكان تسبح وتقدس بما جاء به هذا النظام الديمقراطي من حرية للأفراد، وللشعوب على السواء، ومن إنصاف للعقل الإنساني بحرية التفكير، وللنفس الإنسانية بحرية العمل والإرادة، وللشعوب بأن تكون مصدر السلطات![1].

لذلك يتأكد لدينا أن هناك أوجه من التشابه بين الديمقراطية كآلية يمكن أن تحمل فكرة إسلامية، والشورى كمبدأ من مبادئ الحكم في الإسلام، إلا أن الديمقراطية تتباين مع الإسلام فيما تحمله من القيم الهابطة وهي التي تقوم عليها الديمقراطيات الغربية وما تبيحه من تضليل الرأي العام بالأكاذيب، والتلاعب بأصوات الناخبين، وتطرد الأخلاق من عالم السياسة.. وغير ذلك من الممارسات الهابطة. هنا تكمن جرثومة النظام السياسي الليبرالي، والنظرة الاقتصادية للإنسان على أن قيمته فيما يملك، وأنه مجرد أداة إنتاج، هنا يكمن الداء!

ولكن أن ما يحدث في أروقة النظام الديمقراطي من ممارسات تسيء لفكرة الديمقراطية هو أمر متأصل في المبدأ.

فإننا نؤكد على أنه لا يعدو درباً من دروب الممارسات الخاطئة، لأشخاص وتكتلات جاءوا لمصالح بعيدة كل البعد عن تلك التي جاء لأجلها نظام الحكم في الإسلام.

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٧٥- ٦٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالديمقراطية وحدها إن لم يعززها فكر عقدي أصيل- كما الشورى- لا تصلح أن تكون نظام حكم!

ومن هنا وجب التمييز بين الديمقراطية كأداة للتقرير، وبين مضامين القيم الديمقراطية الغربية، والفلسفة الليبرالية والمادية، وليس التلازم بينهما بمؤكد، وذلك ممكن أن نحرر هذه الأداة من المضمون الفلسفي المادي.

فيعمرها الإيمان بقيمه الشورى، باعتبار أن الشورى في الإسلام ظلت في معظم عهوده المتأخرة قيمة أخلاقية تصلح للوعظ والإرشاد، ولم تتحول إلى نظام سياسي، على حين أن الغرب قد طور الشورى وحولها إلى نظام سياسي.

فمن المؤكد أنه لا يوجد بين ديمقراطية اليوم وبين النظام اليوناني الأثيني أي اشتراك إلا في الاسم؛ لأن الديمقراطية اليونانية هي حكم الأقلية، وليس حكم الأكثرية، فإنَّ قلة كانوا هم الأحرار في أثينا الذين يحق لهم الانتخاب، بينما الإسلام هو الذي نادى بأن الأمر شورى، ونادى بفكرة جمهور الأمة(١).

الإمام البَنّا (رحمه الله) والنظام النيابي البرلماني:

إنه ليس أضرُّ على الإسلام من الانغلاق وضيق الأفق، الذي أفسد حياتنا، وجعلنا نعيش على هوامش الحياة، بعد أن كنا أمة شاهدة على الناس بالعلم، والمعرفة العميقة بميراث الحضارات، فتفاعلنا معه بديناميكية مبصرة، وبهذا المنطق كان تقييم الإمام البَنّا (رحمه الله) للديمقراطية على اعتبار أنها شكل من أشكال ترتيب نظام الحكم؛ فإنَّ الأشكال المحققة للحكم الإسلامي هي بالضرورة متنوعة بتنوع أحوال الناس، ومستوى تطورهم، لذلك نجده يوازن بعقلية السلفي المجدد بين النظام النيابي، والنظام الإسلامي في الحكم؛ مستشهداً بما قرره علماء الفقه الدستوري، فقال: «إن النظام النيابي يقوم على مسؤولية الحاكم، وسلطة الأمة، واحترام إرادتها، وإنه لا مانع فيه يمنع وحده الأمة، واجتماع كلمتها»(٢).

ويعقب على ذلك قائلاً: «وعلى هذا فليس في قواعد هذا النظام النيابي ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيداً عن النظام الإسلامي، ولا غريباً عنه، وبهذا الاعتبار يمكن أيضاً أن نقول في اطمئنان: إن القواعد الأساسية التي قام

(١) انظر: حوارات قصي صالح الدويش- راشد الغنوشي ص٦٢.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الإسلام، وليست بعيدة من النظـــام الإســـلامي، ولا غريبة عنه»[١].

فالقواعد الأساسية لنظام الحكم (الدولة) في الإسلام كما يراها الإمام البَنّا (رحمه الله)، وهي:

المرتكز الأول: مسؤولية الحاكم:

«إن الأصل في النظام الإسلامي أن المسؤول فيها هو رئيس الدولة كائنا من كان لـــه أن يتصرف، وعليه أن يقدم حساب تصرفه للأمة، فإنَّ أحسن أعانته، وإن أساء قوَّمته» [٢].

فلما كان واجب الأمة بذلك ثقيل، وهو الطاعة للحاكم إن أحسن، أو التقـــويم إن شـــطَّ أو أساء، وجب عليها الوَحْدة والابتعاد عن الخلاف المذموم، وهي القاعدة الثانية.

المرتكز الثاني: وَحْدة الأمة:

«إن الإسلام الحنيف يفترضها وجوباً، ويعدها جزءاً أساسياً في حياة المجتمع الإســـلامي لا يتساهل فيه بحال، إذ إنه يعد الوَحْدة قرين الإيمان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات: ١٠، يعد الخلاف والفرقة قرين الكفر، فوَحْدة الأمة أساسٌ في النظـــام الاجتماعي الإسلامي، لا يأباه النظام النيابي»[٣].

والوَحْدة مظهرٌ من مظاهر قوة الأمة، بل الوَحْدة هي انعكاس لما أوجدته عقيدة التوحيـــد إن رسخت في القلوب، وأشرقت بها الأفئدة، والعلاقة بين وَحْدة الأمة وقوتها وبين قوتها وهيبتها علاقة طردية، وبقدر ما تكون الأمة ضعيفة تكون مستباحة، وبقدر ما تكون موَحْدة تكون قويـــة، فهذا ما يجعلها مهابة، مما يوجب احترام رأيها، وهو القاعدة الثالثة.

المرتكز الثالث: احترام رأي الأمة:

«إن احترام رأى الأمة في الإسلام، ووجوب تمثيلها، واشتراكها فـــي الحكـــم اشـــتراكاً صحيحاً، لا يشترط فيه استبانة رأى أفرادها جميعاً في كل نازلـــة، وهـــو المعبـــر عنـــه فـــي الاصطلاح الحديث بالاستفتاء العام، ولكن يكتفى في الأحوال العادية بأهل الحل والعقد» [٤].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٥٩.

(٢) المصدر السابق ص٦٦٠.

(٣) المصدر نفسه ص٦٦٣- ٦٦٤.

(٤) المصدر نفسه ص٦٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن من هم أهل الحل والعقد؟

يذكر الإمام البَنّا: « أن أهل الحل والعقد لم يعينهم الإسلام بأسمائهم، ولا بأشخاصهم، والظاهر من أقوال الفقهاء أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات، هم:

الفئة الأولى: الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم في الفتيا واستنباط الأحكام.

الفئة الثانية: أهل الخبرة في الشؤون العامة.

الفئة الثالثة: من لهم نوع قيادة أو رئاسة في الناس، كزعماء البيوت والأسر، وشيوخ القبائل، ورؤوساء المجموعات.

فهؤلاء جميعاً يصح أن تشملهم عبارة (أهل الحل والعقد) »[١].

أما طريقة الوصول لأهل الحل والعقد فهي متروكة لما يستجد من الوسائل والإجراءات، مما تتوصل إليه البشرية عبر مشوارها الطويل، بما لا يتعارض مع تعاليم الدين، وأحكام شريعته الغراء، وفي ذلك قال الإمام البَنّا (رحمه الله) : «رتب النظام النيابي الحديث طريق الوصول بها إلى أهل الحل والعقد، بما وضع الفقهاء الدستوريون من نظام الانتخابات، وطرائقه المختلفة، والإسلام لا يأبى هذا التنظيم، ما دام يؤدى إلى اختيار أهل الحل والعقد، وذلك ميسور إذا لوحظ في أي نظام من نظم تحديد الانتخاب صفات أهل الحل والعقد، وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة»[٢].

السلطة التشريعية:

عند الحديث عن السلطة التشريعية كسلطة رقابية في النظام النيابي الذي اضطلع بدور الترتيبات والإجراءات المضبوطة على أساس اختيار الشعب من آنٍ لآخر نواباً يتولون الحكم لمدة محددة، باسمه ونيابة عنه، وتعد بعد ذلك إرادة أولئك النواب معبرة عن إرادة الناخبين، والشعب على العموم[٣].

إن النواب الذين تقاطعت إرادة الناخبين في أشخاصهم؛ ليصبحوا بعد ذلك مفوضين لتمثيل الأمة؛ يشكلون هيئة أو مجموعة تسمى بمسميات مختلفة، وعلى سبيل المثال يمكن أن نسميها (مجلس الشورى) الذي يكون له سلطة النظر فيما يعرض للمسلمين من وقائع وأحداث؛

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٦٦- ٦٦٧.

(٢) المصدر السابق ص٦٦٧.

(٣) المشاركة في الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة- مشير المصري ص١٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليبحث عن الأحكام التي ينبغي أن تعطى له وفق تعاليم الإسلام، والأحكام الصادرة عنه ملزمة، وليس له أن يخالف الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والأحكام التي عليها إجماع المسلمين[١].

موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من قانون الانتخابات:

فقد كان من مظاهر عبقرية الإمام البَنّا (رحمه الله) إدراك عظم المسئولية التي تقع على المجالس النيابية من تمثيل للأمة التي في اجتماعها وإجماعها ما يوجب التقدير والقبول، لذلك كان لزاماً أن يتصدر ذلك المكان، ويتبوأ تلك المكانة من هو أهل لها.

ولهذا تقدم (رحمه الله) لنقد قانون الانتخابات مبيناً المثالب، ومقترحاً البدائل، فقال: «منذ أن أخذت مصر بنظام الانتخاب المباشر تارة في قانون سنة ١٩٢٣م، وبنظام الانتخاب على درجتين في قانون سنة ١٩٣٠، كلاهما في الواقع لم يحققا الغرض المقصود منه

وظهر له حين التطبيق عيوب يجب أن نعمل على إصلاحها بتعديل شامل، وليس الخطأ عيباً في ذاته، ولكن الرضا به والاستمرار عليه والدفاع عنه، هو الخطأ كل الخطأ» [٢].

إذاً فليس عيباً أن يقع الخطأ في الممارسة والتطبيق، ولكن العيب أن يستمر الخطأ، أما أن يكون الخطأ في النظام الذي يُختار على أساسه من يوكل إليهم حماية النظام؛ فذلك يوجب تعديلا وإصلاحا لقانون الانتخاب، ومن وجوه هذا الإصلاح الضرورية:

١. وضع صفات خاصة للمرشحين أنفسهم، فإذا كانوا ممثلين لهيئات فلا بد أن يكون لهذه الهيئات برامج واضحة، وأغراض مفصلة، يتقدم على أساسها هذا المرشح، وإذا لم يكونوا ممثلين لهيئات فلا بد أن يكون لهم من الصفات، والمناهج الإصلاحية، ما يؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمة، وهذا المعنى مرتبط إلى حد كبير بإصلاح الأحزاب[٣] في مصر، وما يجب أن يكون عليه أمر الهيئات السياسية فيها.

٢. وضع حدود للدعاية الانتخابية، وفرض عقوبات على من يخالف تلك الحدود، بحيث لا تتناول الأسر ولا البيوت، ولا المعاني الشخصية البحتة التي لا دخل لها في أهلية المرشح، وإنما تدور حول المناهج، والخطط الإصلاحية.

---

(١) انظر: المشاركة في الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة-مشير المصري ص١٦٨.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٦٧.

(٣) وفي هذا ما يؤكد أن موقف الإمام البَنّا من المسألة الحزبية أنه لم يرفضها مبدئيا- إنما الرفض كان لواقع الأحزاب التي كانت في عصره- وظروف نشأتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. إصلاح جداول الانتخابات، وتعميم نظام تحقيق الشخصية، فقد أصبح واقع جداول الانتخابات أمراً عجباً بعد أن لعبت بها الأهواء الحزبية، والأغراض الحكومية طول هذه الفترات المتعاقبة، وهو يرى ضرورة- فرض التصويت إجبارياً.

٤. وضع عقوبة قاسية للتزوير من أي نوع كان، وللرشوة الانتخابية كذلك.

٥. وإذا عدل إلى الانتخابات بالقائمة، لا الانتخاب الفردي، كان ذلك أولى وأفضل، حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبيهم، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية في تقدير النواب والاتصال بهم.

وعلى كل حال فأبواب الإصلاح والتعديل كثيرة، وهذه نماذج منها، وإذا صدق العزم وضح السبيل، والخطأ كل الخطأ في البقاء على هذا الحال والرضا به، والانصراف عن محاولة الإصلاح[١].

إن هذه النظرة الثاقبة التي جاء بها الإمام حسن البَنّا (رحمه الله) لا يمكن لها أن تخرج إلى حيز الحياة دون أن يتبناها من يخلفه، فما أراد إمام بالأمة إلا خيراً.

فقد وصل فقه الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى درجة رفيعة من الدقة والإتقان؛ حيث إنه لم يقفل الباب لمن أراد أن يضع وجوهاً أخرى للإصلاح، فما أورده لم يكن إلا نماذج تبين بعض وجوه الإصلاح، ولما كانت المهمة التي يضطلع بها النواب ليست فخرية، أو مجرد تمثيل للقوى السياسية بدافع مصالح ضيقة وآنية، بل هي ساحة من ساحات، فقال: «النضال الدستوري لتحكيم شرع الله، ويرتفع صوت هذه الدعوة في الأندية الرسمية، وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية، وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجيء الوقت المناسب إلى الأمة ليمثلوها في الهيئات النيابية، ونحن واثقون بعون الله من النجاح مادمنا نبتغي بذلك وجه الله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠) »[٢].

وقد وضع الإمام البَنّا (رحمه الله) إطاراً واضحاً لمن أراد أن يتقدم لساحات النضال الدستورية؛ إذ لابد أن يتقدم القوي المتسلح بقوة الإقناع الراسخة في وجدانه، ولا ترهبه أو تغريه السلطة

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٦٨- ٦٦٩، انظر: المشاركة في الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة- مشير المصري ص١٩٣؛ للوقوف على ضوابط المشاركة في المجالس النيابية.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التنفيذية المحتكرة للقوة بنوعيها: قوة الإغراء، وقوة الإكراه، كما ويُدفع بالأمين الذي يحفظ الأمانة، فيؤديها على وجهها بحسن تمثيله لأمته.

فينبغي على المسلم أن يملك الزمام في أمته، وأن يسارع إلى تولي قيادة التشريع الاجتهادي والرقابي في أمته، حتى ينفذ تعاليم ربه، ويعتدل ميزان العدالة، وتسود تعاليم الإسلام.

أما أن يتقاعس عن البرلمانات والمجالس صاحبة القرار، ويترك ذلك لممثلي الثقافات الدخيلة، أو المناهضين للإسلام، فهذا خطأ كبير يدل على عدم تقدير للأمور؛ لأن أحوال الأمة اليوم تحتاج من المخلصين أن يتقدموا؛ ليكونوا البديل الصالح داخل البرلمانات، وليكونوا دعاة ومثلاً لرسالتهم ومنهجهم(١).

واليوم بفضل ذلك الفقه السياسي المنفتح تُمثَّل جماعة الإخوان المسلمين، إن لم يكن في كل البرلمانات العربية والإسلامية التي تجري فيها انتخابات، فليس أقل من جلها.

والخلاصة هذه الجولة من التأصيل والتفصيل في بيان موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من النظام النيابي البرلماني، يمكن إيجازها في:

أولاً: قبول صيغة الحكم الدستوري النيابي؛ باعتباره أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، ورأى أن تلك الصيغة تضمن تحقيق المبادئ الثلاثة التي يقوم عليها نظام الحكم الإسلامي، وهي: مسئولية الحاكم، وَحْدة الأمة، احترام إرادتها.

ثانياً: الإقرار بضرورة وجود معارضة سياسية في ظل النظام الإسلامي، المتمثل باحترام رأي الأمة الذي لابد وأن يقع فيه تعارض في تقدير المصالح؛ فإنَّ للشعوب احتياجاتها التي قد تتعارض مع ما للحكومات من ضرورات، مع رفضه أن يكون الوصول إلى السلطة هدفاً من أهداف المعارضة في النظام الإسلامي إلا في حالة واحدة فقط وهي أن تفقد السلطة القائمة شرعيتها، بعدم التزامها بالحكم بما أنزل الله، وأعدَّ أن أهم وظيفة للمعارضة هي إسداء النصح والمشورة لمن بيدهم مقاليد الأمور، بحيث ينالون التأييد إن أحسنوا، وينتقدون إن أساءوا.

ثالثاً: تجلى موقف الإمام من الديمقراطية، في نظرته الشاملة إلى الإسلام، وفي عمقه للفقه السياسي، فجعل من المحتوى مدار البحث والفحص، ولم يجمد عند المصطلح، طالما أن

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص١٧٧- ١٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الديمقراطية وسيلة لتحقيق العدالة، فلا مانع من تأطيرها، وهي خير موجود حتى يتوافر المفقود[1].

رابعاً: أكد على حق كل فرد من أفراد الأمة بالمشاركة في الحياة السياسية؛ فإنَّ للفرد حقاً أن يشارك سلطة الحكم أعمالها، توجيهاً وإدارة وتنفيذاً، وكل ما يتعلق بأمور الدولة وشؤونها، والاشتراك في الانتخابات المختلفة، والاستفتاءات المتنوعة، وكذلك حق الترشيح للهيئات والمجالس المنتخبة.

خامساً: وأخيراً حق التوظيف، وبصفة عامة المشاركة في اتخاذ القرارات التي تصدرها الأجهزة والسلطات الحكومية.

وفي نهاية ذلك يتضح لنا كيف تجلى موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من الديمقراطية، من خلال نظرته الشاملة إلى الإسلام، وعمقه للفقه السياسي؛ فجعل من المحتوى مدار البحث والفحص، ولم يجمد عند المصطلح فلا مشاحة فيه، طالما أن الديمقراطية وسيلة لتحقيق العدالة، فلا مانع من تأطيرها، وهي بالتالي خير موجود حتى يتوافر المفقود[2].

(١) انظر: ملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا- عدنان أبو عامر ص١٩-٢٠-٨٥- ٨٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٨٥- ٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس

موقفه من الأحزاب السياسية

إنه لمن المؤكد أن الزمان سيلد من الوسائل، والنظم في الحكم، وفي الإدارة، وفي المصالح المرسلة الشيء الكثير، ومادامت الحياة مستمرة، والنوازل والقضايا متجددة.

ولمَّا كان كثيراً من المسائل والمشاكل التي كانت في الماضي عسيرة الحل أو مستحيلة التذليل، توصلت العقول والاجتهادات إلى تذليلها وحلها، أو تيسيرها وتسهيلها تحقيقاً للمصالح؛ لأن هذا هو مقصود السياسة الشرعية كما عرفها ابن عقيل[1] بأنها: «ما كان فعلاً يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه رسول ﷺ، ولا نزل به وحي»[2].

وقد أصبحت الحزبية السياسية في هذا العصر لازمة من لوازم العمل السياسي لملازمتها للنظام الديمقراطي فشكلت له إحدى الضرورات التي ينبني عليها أي نظام برلماني ديمقراطي.

في حين يرى البعض أن التعددية الحزبية تتصادم مع اهداف النبوة والرسالة لأنها جاءت لتوحيد الأمة تحت راية واحدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢)، وعليه فإن تعدد الأحزاب لا يأتي إلا من ورائه اختلاف الكلمة وتفرق الأمة، وأحياناً كثيرة يصنعها بعض الديكتاتوريين لتجميل وتزين نظمهم القمعية الفاشية الفاسدة.

لكن لو نظرنا إلى الأمور من زاوية أخرى وبأفقٍ أوسع لوجدنا ذلك ضرورة من ضرورات العمل السياسي والتداول السلمي للسلطة بين البرامج في إطار التطور المستمر.

فإنه يتأكَّد لنا وجوب تكوين الأحزاب السياسية [3] كوسيلةٍ لازمةٍ؛ لمقاومة طغيان السلطات الحاكمة، ومحاسبتها، وردها إلى سواء الصراط أو إسقاطها؛ ليحل غيرها محلها.

---

(١) ابن عقيل الامام العلامة البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري، الحنبلي المتكلم، صاحب التصانيف، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة، قال ابن الجوزي: كان ابن عقيل دينا، حافظا للحدود، توفي له ابنان، فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه، وكان كريما ينفق ما يجد، وما خلف سوى كتبه وثياب بدنه، وكانت بمقدار، توفي بكرة الجمعة ثاني عشر جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩ / ٤٤٣-٤٤٧)

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية- ابن قيم الجوزية ص ١٧.

(٣) الحزب السياسي هو عبارة عن: مجموعة متحدة من الأفراد، تعمل بمختلف الوسائل الديمقراطية للفوز بالحكم، بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين. انظر: السلطات الثلاث- الطماوي ص ٥٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل إن هذا التعدد قد يكون ضرورة في هذا العصر؛ لأنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة معينة بالحكم، وتسلطها على سائر الناس، وتحكمها في رقاب الآخرين، وفقدان أي قوة تستطيع أن تقول لها: لا، أو: لِمَ؟ كما دلَّ على ذلك قراءة التاريخ، واستقراء الواقع(١).

وعلَّمنا التاريخ وكذلك تجارب الأمم وواقع المسلمين، أن تقويم اعوجاج الحاكم ليس بالأمر السهل، ولا بالخطب اليسير، ولم يعد لدى الناس سيوف يقومون بها العوجاج؛ لأن السيوف كلها يملكها الحاكم، وهذا ما يسمى بـ (احتكار القوة للدولة).

وقد وصلت البشرية بعد صراعها المرير، وكفاحها الطويل، إلى صيغةٍ لتقويم اعوجاج السلطان، دون إراقة للدماء، فهي وسيلة فضلة؛ لمنع ظلم السلطات، ولها سند قانوني بمراقبة الحاكم في برامجه وتصرفاته، وتستطيع أن توقفه إذا تعدى، وأن تستدرك عليه إذا أخطأ، وأن تستبدل به غيره إن رغبت الأمة في ذلك.

كما أن التعددية الحزبية السياسية تعمل على إيجاد مناخ صالح؛ لنمو نظريات متنوعة في السياسة، والاجتماع وازدهارها، والوصول إلى ما هو أصلح(٢).

أما ما يُوقِع به البعض أنفسهم به من حرج وحساسية مفرطة من مصطلح والحزب، ويحمِّله دلالات التفرق والفرقة، مع أن القرآن الكريم استخدمه للدلالة بالخير، وكذلك للدلالة على الشر كل ذلك بحسب ما أضيف إليه.

ففي الأولى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٦)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

أما الدلالة على الشر، ففي قوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (المؤمنون:٥٣)، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة: ١٩).

---

(١) انظر: أزمة الحكم في العالم الإسلامي- فاروق عبد السلام ص١٢٦، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي، ص١٩٥، انظر: الأحزاب السياسية- صفي الرحمن المبارك فوري ص١٣- ١٤.

(٢) انظر: الأحزاب السياسية- صفي الرحمن المبارك فوري ص١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ذلك، يقول الإمام ابن تيمية: «وأما رأس الحزب، فإنه رأس الطائفة التي تتحزب، أي تصير حزباً، فإنَّ كانوا مجتمعين على ما أمر به الله ورسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم»[1].

ويضيف محذراً مما قد يجنح إليه بعض المتحزبين، فقال: «وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل؛ فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله.

فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان»[2].

ما يشترط لتكتسب هذه الأحزاب شرعية، أمران أساسيان هما:

الشرط الأول: أن تعترف بالإسلام – عقيدة وشريعة – ولا تعاديه أو تتنكر له، وإن كان لها اجتهاد خاص في فهمه، في ضوء الأصول العلمية المقررة.

الشرط الثاني: ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمته، أيا كان اسمها وموقعها.

وبذلك يتأكد أنه من حق الناس في الإسلام – بل من واجبهم –أن ينصحوا للحاكم، ويقوموه إذا اعوج، ويأمروه بالمعروف، وينهوه عن المنكر، وإذا ضيَّعت الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقدت سر تميزها، وسبب خيرتها، وأصابتها اللعنة كما أصابت من قبلها من الأمم، ممن كانوا قبلكم قَالَ تَعَالَى:﴿ **كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ (المائدة: ٧٩).

وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ إِنَّكَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ**»[3]، وفي الحديث الآخر عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ،

---

(١) مجموع الفتاوى– ابن تيمية ج١١ ص٩٢.

(٢) المرجع نفسه ج١١ ص٩٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب الأحكام، رقم (٧٠٣٦) ج٤ ص٩٦، من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وقال الحاكم : (صحيح الإسناد) وفي الجامع الصغير وزيادته قال الشيخ الألباني:(ضعيف) رقم (٥٠١) في ضعيف الجامع ج١ ص ١٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوَا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْ قَالَ: الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ**»(١).

وعندما ولي أبو بكر الخلافة قال في أول خطبة له: «أيها الناس إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعمت الله فيكم فإنَّ عصيته فلا طاعة لي عليكم»(٢).

أما من قال بأن التعددية مبدأ مستورد، والواجب أن يكون لنا استقلالنا السياسي والفكري، ولا نتبع سنن غيرنا.

مع أن الذي يحذر منه الشرع، هو التقليد الأعمى في الخير وفي الشر، بحيث يجعلنا ذيولا لغيرنا نمضي خلفهم في كل شيء، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلناه معهم.

والتشبه الممنوع هو ما كان تشبها فيما هو من علامات تميزهم الديني كلبس الصليب للنصارى، والزنار للمجوس، ونحو ذلك، مما يدخل صاحبه في زمرة المتشبه بهم، ويحيله كأنه واحد منهم، أما الاقتباس منهم فيما عدا ذلك مما هو من شؤون الحياة المتطورة فلا حرج فيه، ولا جناح على من فعله، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

وقد حفر الرسول ﷺ خندقا حول المدينة، ولم تكن مكيدة تعرفها العرب، إنما من أساليب الفرس، أشار بها سلمان رضي الله والشواهد من سنة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين في هذا الإطار أكثر من الحصر في هذا المكان.

وعلى هذا فلا غضاضة ولا حرج من اقتباس مبدأ التعدد الحزبي من الديمقراطية الغربية بشرطين:

أولهما: أن نجد في ذلك مصلحة حقيقية لنا، ولا يضرنا أن نخشى من بعض المفاسد من جرائه، المهم أن يكون نفعه أكبر من ضرره، فإنَّ مبنى الشريعة على اعتبار المصالح الخالصة أو الغالبة، وعلى إلغاء المفاسد الخالصة أو الراجحة، وقوله تعالى في الخمر والميسر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٩)، أصل في هذا الباب.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه– كتاب البر والإحسان– باب ذكر البيان بأن المنكر والظلم إذا ظهرا كان على من علم تغييرهما حذر عموم العقوبة إياهم بهما، رقم (٣٠٤) ج١ ص ٥٣٩، وقال الألباني في التعليق: صحيح، وقال في التعليق شعيب الأرنؤوط:إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) قال ابن كثير: في البداية والنهاية إسناده صحيح ج ٥ ص٢٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثانيهما: أن نعدل ونطور فيما نقتبسه، حتى يتفق مع قيمنا الدينية ومثلنا الأخلاقية، وأحكامنا الشرعية، وتقاليدنا المرعية[1].

أما من قال بأن التعددية الحزبية تجعل الولاء للأشخاص، والأحزاب، وليس للدولة، أو الإسلام الذي بايع على أن يكون له السمع والطاعة، وللدولة الإخلاص والولاء، والصحيح أن يكون ولاء المسلم لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥-٥٦).

وأن انتماء الفرد المسلم إلى قبيلة أو إقليم، أو جمعية، أو نقابة، أو اتحاد، أو حزب، لا ينافي انتماءه للدولة وولاءه لها، فهذه الولاء والانتماء كله مشدود إلى أصل واحد هو الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وإذا كان النمط الحزبي المعهود هو تأييد الفرد لحزبه في مواقفه، وإن اعتقد أنه مبطل بيقين، ومعارضة للدولة وإن اعتقد أنها على حق، فهذا غير مُقرٍّ ولا معتبر.

ومن الجدير ذكره، بأنه ليس صحيحاً أن التعددية في النظم الديمقراطية مطلقة بغير قيود، فالقيود في النظم الأوروبية التي تبنت الديمقراطية أهمها:

١- قيود الالتزام بالدستور والقوانين.

٢- قيود حماية النظام العام في الدولة.

٣- قيود لحماية المقومات الأساسية للمجتمع كعقيدة الأغلبية ونظامها السياسي.

٤- قيود للمحافظة على سلطة الدولة وهيبتها.

٥- قيود لحماية حقوق الآخرين.

٦- قيود لضمان الحريات العامة.

٧- قيود لحماية الحرية الشخصية وأسرار الأفراد والعائلات[2].

اجتهادًا منها لمصلحة الأمة وخيرها، ولا بأس بأن تجتهد فيما بعد في النظام الحزبي وتحسنه وتضيف إليه ما ينفع الناس والأمة لخدمة المسلمين والبشرية جمعاء.

---

(١) انظر: فتاوى معاصرة- يوسف القرضاوي ص٦٥٣، التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص١٠٤.

(٢) انظر: المشاركة في الحياة السياسية في ظل أنظمة الحكم المعاصرة- مشير المصري ص١٤٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا تستند اتهاماتهم إلى أي واقع عملي بل تكذيب للواقع وافتراء على الناس بل إن الواقع العملي هو أصدق دليل على موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من التعددية، وهو التفسير العملي لما قد يوجد من غموض في أي بيان، ولكن البعض تجاهل هذا الواقع وذهب بعيداً عنه، واختار بعض العبارات من أقوال الإمام البَنّا (رحمه الله) ليستدل بها على رفضه التعددية.

ولهذا ظن بعض المنتسبين إلى الحركة الإسلامية أن الإمام حسن البَنّا يرى عدم شرعية نظام تعدد الأحزاب، ولا يسمح بحرية الرأي الآخر، وهذا فهم ملتبس لأقواله في هذه المسألة، فيجب أن يجمع الباحث بين جميع ما قاله وما كتبه الإمام البَنّا (رحمه الله) عن الأحزاب حتى يصبح الحكم في هذه القضية سليماً.

وبالرجوع إلى أقوال الإمام حسن البَنّا نجدها على النحو التالي:

أولاً: إنه ينكر الحزبية التي نهجها الخلاف والانقسام وتسخير الوسائل الشريفة وغير الشريفة للوصول إلى الحكم، فهذه كانت سمة الأحزاب المصرية التي كانت قائمة في عصره، وأفسدت الأخلاق، ومزقت الروابط، وأضرت بالأمة، فقال رحمه الله: «الحزبية السياسية إن جازت في بعض الظروف في بعض البلدان، فهي لا تجوز في كلها، وهي لا تجوز في مصر أبداً، وخاصةً في هذا الوقت، وإذا جاز لبعض الأمم التي استكملت استقلالها وفرغت من تكوين نفسها أن تختلف وتتحزب في فرعيات الأمور، فإنَّ ذلك لا يجوز في الأمم الناشئة أبداً» (١).

فهذا قول في غاية النفاسة والدقة في فقه العمل السياسي فالوسائل دائماً ترتبط مشروعيتها بما تحققه من مصلحة متحققة أو غالبة.

ثانياً: كان واقع الأحزاب المصرية في عصره جزءاً مكوناً للحالة المَرَضِيَّة، واستدل بأقوال فقهاء القانون الدستوري في عصره، حيث قال عن تلك الأحزاب: «لقد انعقد الإجماع على أن الأحزاب المصرية هي سيئة هذا الوطن الكبرى، وهي أساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الآن، وأنها ليست أحزاباً حقيقية بالمعنى الذي تعرف به الأحزاب في أي بلد من بلاد الدنيا، فهي ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة، اقتضت الظروف في يوم ما أن يتحدثوا باسمها، وأن يطالبوا بحقوقها القومية.

كما انعقد الإجماع على أن هذه الأحزاب لا برامج لها، ولا مناهج، ولا خلاف بينها في شيء أبدا إلا في الشخصيات، وآية ذلك واضحة فيما تعلن من بيانات خارج الحكم، وفيما تطلع

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

به من خطب العرش داخل الحكم، وبما أن الأحزاب هي التي تقدم الشيوخ والنواب، وهي التي تسيّر دفة الحكم في الحياة النيابية فإنَّ من البديهي ألا يستقيم أمر الحكم وهذا حال من يسيّرون دفته»[١]. وبهذا القول البين يتضح أن الإمام البَنّا (رحمه الله) يعنى على الأحزاب المصرية في عصره ومصره، ويذكر ما يجب أن تكون عليه الأحزاب، ويشاركه في ذلك فقهاء القانون الدستوري، ويكشف جانباً عن حال الأحزاب المصرية في عصره، فقال: «إنها أحزاب مصنوعة أكثر منها حقيقية، وأن العامل في وجودها شخصي أكثر منه وطني، وإن المهمة والحوادث التي كونت هذه الأحزاب انتهت ويجب أن ينتهي هذا النظام بانتهائها»[٢].

ومما يذهب إليه الإمام البَنّا (رحمه الله) بشأن الأحزاب السياسية قوله: «إن الأحزاب السياسية المصرية جميعاً قد وجدت في ظروف خاصة، ولدواع أكثرها شخصي لا مصلحي، وأنه ليس لها شأن يهمها غير التهالك على الحكم، وتسخير كل دعاية حزبية، وكل وسيلة شريفة، وغير شريفة في سبيل الوصول إليه، وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه»[٣].

وأضاف: «لما وجد ما بينها من الحرص والتطلع للحكم بأي وسيلة كانت دون النظر لتحقيق لمصالح العامة فرأى أن العلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التي أوجدتها ولكل زمان دولة ورجال»[٤].

ويعقب الإمام قائلاً: «لا أدري ما الذي يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس- التي من نتاج تلك الحزبية الخاطئة وقوع نار الخصومة والحقد في نفوس الحاكمين والمحكومين على السواء، ولم نفهمها نحن في مصر في يوم من الأيام على أنها خلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، بل فهمناها عداوة وبغضاء تتعدى النظر في المصالح العامة إلى المقاطعة في كل الشؤون عامة وخاصة، وإلى أن نرى الحق في جانب خصوماً الحزبيين باطلاً، والباطل في جانب أنصارنا الحزبيين حقاً- تسمي نفسها الأحزاب السياسية!! فلا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعاً، وتجمع قوى الأمة في حزب

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٤٣.
(٢) المصدر السابق ص٢٤٣.
(٣) المصدر نفسه ص٣٦٨.
(٤) المصدر نفسه ص٣٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها، ويضع أصول الإصلاح الداخلي العام، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق في التنظيم في ظل الوَحْدة التي يفرضها الإسلام»[1].

إذاً موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من الحزبية السياسية مرتبط بظروف محددة وأحوال معينة، حيث واقع الأحزاب المصرية، وظروف نشأتها من جانب، والتناحر والتنافر الذي حكم العلاقة بينها.

وما كانت تقتضيه حاجة الأمة يومئذ للوَحْدة والترابط والتراص، وضرورة التحصين الداخلي من أن ينفذ منه المستعمر الجاثم على مقدرات الشعب، فكل تلك الظروف توجب في تقديره –وبميزان المصلحة الشرعية الذي يقوم عليه فقه السياسة الشرعية– الوَحْدة ونبذ التفرق والفرقة التي عملت تلك الأحزاب على تفشيها.

لذلك توجه مطالباً رؤساء الأحزاب في عصره لما سئم حالهم، أن يطرحوا الخصومة جانباً وينضم بعضهم إلى بعض، حتى تندمج جميعاً في هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام.

وعلى الرغم من الحالة المقيتة التي كانت عليها الأحزاب المصرية في عصره إلا أنه لم يبخس أياً من حقها، وما قامت به من خدمة حتي وإن كانت في ميزان المصالح والمفاسد مرجوحة، وما قامت به تلك الأحزاب السياسية مشكورة، من خدمة قضية مصر السياسية، إلا أنها جميعًا تتفق في ضبابية المنهاج، والقصور في فهم الإسلام فهماً شمولياً، وأنها لم تأت بجديد فترات تعاقبها على الحكم، فقال: «لسنا نفاضل بينها ولا ننحاز إلى واحد منها ولكننا نعتقد أنها تتفق جميعاً في عدة أمور وهي:

١. تتفق في أن كثيراً من رجالها قد عملوا على خدمة القضية السياسية المصرية، واشتركوا فعلاً في الجهاد في سبيلها، وفي الوصول إلى ما وصلت إليه مصر من ثمرات هذا الجهاد الضئيلة أو الجليلة، فنحن في هذه الناحية لا نبخس هؤلاء الرجال حقهم.
٢. وتتفق كذلك في أن حزباً منها لم يحدد بعدُ منهاجًا دقيقاً لما يريد من ضروب الإصلاح، ولم يضع هدفاً يرمي إليه، وهي لهذا لا تتفاوت في المناهج والأغراض والغايات.

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٦٥– ٦٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. وتتفق كذلك في أنها جميعاً لم تقتنع بعدُ بوجوب المناداة بالإصلاح الاجتماعي على قواعد الإسلام وتعاليم الإسلام، ولا زال أقطابها جميعاً يفهمون الإسلام على أنه ضروب من العبادات والروحانيات لا صلة لها بحياة الأمم والشعوب الاجتماعية والدنيوية،

٤. وتتفق بعد ذلك في أنها تعاقبت على حكم هذا البلد فلم تأت بجديد، ولم يجد الناس في ظل حكمها ما كانوا يأملون من تقدم مادّي أو أدبيّ»[١].

وشر ما كانت فيه الأحزاب المصرية تعاطيها للعمل السياسي في إطار موافقة الاستعمار ورضاه، وكان رجالها يتحركون في دائرة النفوذ الغربي المسيطر على الشأن المصري كله.

ويذكر البَنّا الأرضية التي أوجدت تلك الأحزاب، والمناخ السياسي الذي ساعد على ذلك النمو المشوه، فقال: «الوفد المصري تكوّن من الأمة كلها؛ للمطالبة بالاستقلال على أساس المفاوضة؛ وتلك هي مهمته، ثم تفرع منه حزب الأحرار الدستوريين؛ للخلاف في أسلوب المفاوضات، وقد انتهت المفاوضة بأساليبها ونظمها وقواعدها؛ فانتهت مهمتها بذلك.

وتكوّن حزب الشعب؛ لإيجاد نظام خاص، ودستور خاص، وقد انتهى ذلك الدستور، وذلك النظام بأشكاله وأوضاعه؛ فانتهت مهمته هو الآخر، وتكون حزب الشعب؛ لموقف خاص بين السراي والأحزاب.

لقد انتهت هذه الظروف جميعاً، وتجددت ظروف أخرى تستدعي مناهج وأعمالاً، فلا معنى أبدا لبقاء هذه الأحزاب، ولا معنى أبدا للرجوع إلى الماضي، والمستقبل يلح إلحاحاً صارخاً بالعمل والسير بأسرع ما يمكن من الخطوات»[٢].

ويتأكد بذلك أن الأحزاب السياسية المصرية لا خلاف بينها إلا في مظاهر شكلية، وشؤون شخصية، كما أن الظروف والأحداث تجاوزتها فهي بذلك فقدت مبرر وجودها؛ لانعدام الجدوى منها، بل أضحى إثمها أكبر من نفعها، ولهذا يقول الإمام البَنّا (رحمه الله) : «لو أدرك رجال هذه الأحزاب على السواء هذه الحقيقة، وقدّروا هذه الظروف الدقيقة، ونزلوا على حكم الوطنية الصحيحة، فتوحدت كلمتهم، واجتمعوا على منهاج واحد، تصلح به الأحوال وتتحقق الآمال»[٣].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤٤٨.

(٢) المصدر السابق ص٦٦٤- ٦٦٥.

(٣) المصدر نفسه ص٤٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومع ذلك فقد آثر الإمام البَنّا (رحمه الله) مسالمة الأحزاب السياسية على مهاجمتها، رغم تطاولها عليه والتشكيك في دعوته، فقال: «إننا في حاجة إلى الجهد الذي يبذل في الخصومة والكفاح السلبي؛ لننفقه في عمل نافع وكفاح إيجابي وندع حسابهم للزمن، معتقدين أن البقاء للأصلح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: ١٧).

وأعلن الإمام البَنّا (رحمه الله) في المؤتمر الخامس[١]، أنه منذ عام طلب الإخوان من رؤساء هذه الأحزاب أن يطرحوا هذه الخصومة جانباً، وأن ينضم بعضهم إلى بعض لتحقيق الهدف الذي قامت الأحزاب من أجله حينذاك، وهو تحرير وادي النيل من الإنجليز، وأعلن أن الإخوان يفرقون بين حرية الرأي والتفكير والشورى والنصيحة، وهو ما يوجبه الإسلام، وبين التعصب للأحزاب سالفة الذكر، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة[٢].

فهذه النظرة الخاصة إلى الأحزاب سالفة الذكر وبظروفها المشار إليها، جعلته يوجه رسالة مطولة إلى رئيس الحكومة، وإلى البرلمان، وإلى رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية، وإلى موجهي الجماهير، وإلى كل محب للخير، والرسالة بعنوان: (مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي)، ولقد جاء فيها ما يتعلق بالحزبية والانتخابات أن يعدل قانون الانتخابات بما يضمن الآتي: البند الذي يدلل على موقفه من الأحزاب:

١. وضع صفة خاصة للمرشحين، فإذا كانوا ممثلين لهيئات، فلابد أن يكون لهذه الهيئات برامج واضحة، وأغراض مفصلة يقوم على أساسها المرشح، وإذا لم يكونوا ممثلين لهيئات، فيجب أن يكون لهم مناهج إصلاحية تؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمة، وأكد أن هذا المعنى مرتبط إلى حد كبير بإصلاح الأحزاب في مصر، وما يجب أن يكون عليه أمر الهيئات السياسية.

٢. ضرورة وضع حدود للدعاية الانتخابية، بحيث لا تتناول الأسر والبيوت والمعاني الشخصية، كما كان متبعاً من قبل، لتدور الدعاية والمناهج والخطوط الإصلاحية مع وضع عقوبات على من يخالف ذلك.

٣. دعا إلى الأخذ بنظام الانتخاب بالقائمة حتى يتحرر النواب من ضغط الناخبين ومطالبهم الشخصية، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية، وتكون المنافسة حول مناهج للإصلاح، والمعروف أن الانتخاب بالقائمة أنسب للأحزاب، والهيئات ذات البرامج، ومن ثم

(١) سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م بمناسبة مرور عشر سنوات على قيام جماعة الإخوان المسلمين.

(٢) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالإمام البَنّا (رحمه الله) يدعو إلى إصلاح نظام الأحزاب في مصر، وذلك لا شأن له بإنكار تعدد الأحزاب[١].

وكان ينبغي على من أراد الاستناد إلى رأي الإمام البَنّا (رحمه الله) أن يرجع إلى جميع أقواله وألا يفسرها بما يؤدي إلى التناقض في الأقوال، فإنَّ الخير كل الخير في التعددية، وهو الموافق للنظام الكوني كله، إذ يقوم على التعددية في كل شيء: تعدد الأجناس: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: ١٣)[٢].

وعلى هذا رأت جماعة الإخوان المسلمون أن تأخذ بتعددية الأحزاب[٣] المقيدة بتعاليم الإسلام، وبدستور الدولة، وبدين الأغلبية (الإسلام)، وبثوابت الأمة، مما يدل على حيوية الجماعة، وتحررها من الجمود والتقليد [٤].

واليوم وفي ظل ما يسمى بالربيع العربي تتسابق الكثير من الجماعات والجمعيات السلفية منها والجهادية في كثير من الأقطار الإسلامية؛ لتشكيل أحزاب سياسية، وتغادر إلى غير رجعت قمقم الانغلاق، والتنظير الأجوف الذي يقفز في الفضاء الحالم، إلى واقع المشاركة السياسية الجادة وما تُلزم به من تشكيل أحزاب سياسية تدفع بها في أتون الصراع السياسي المحكوم بقواعد العملية الديمقراطية البرلمانية، وفي إطار التدافع المجتمعي الحضاري؛ فتقديم الإسلام كآليات عمل يُسيِّر حركة الحياة، ويتعايش الأحياء في ظلال رحابه فيتشكل الإسلام في واقع مُعاش.

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٧١.

(٢) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص١٠١- ١٠٣.

(٣) فقد أصدر مكتب الإرشاد قراراً تاريخياً يأخذ بالتعددية السياسية وذلك في ذلك في مارس ١٩٩٤.

(٤) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص١٠٤، من فقه الدولة- يوسف القرضاوي ص١٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

منهج الإمام حسن البَنّا في قضايا العقيدة

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: مكانة العقيدة في دعوة الإمام البَنّا.

المبحث الثاني: عقيدة الإمام حسن البَنّا في توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: دعاوى المناوئين لموقف الإمام البَنّا من البدعة والابتداع.

المبحث الرابع: دعاوى المناوئين لعقيدة الإمام البَنّا في الولاء والبراء.

www.manaraa.com

المبحث الأول

مكانة العقيدة في دعوة الإمام البَنَّا (رحمه الله)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: منهج الإمام البَنَّا في عرض قضايا العقيدة.

المطلب الثالث: دعوى إهمال الإخوان الجانب العقدي.

www.manaraa.com

المطلب الأول

مفهوم العقيدة الإسلامية

فلأن العقيدة هي التي يحيا بها المؤمن الحياة الحقيقية، وتزكو بها نفسه، وتستقيم بها أعماله، وتُتَقبَّل بها طاعاته، وترتفع بها درجاته عند الله- عز وجل- لذا وجب العناية بها وأنها إذا اختلت، أو فسدت، أو ذهبت انعكس ذلك على شؤونه كلها، وأعماله جميعها. ولهذا فإن للعقيدة الفاسدة شؤماً على صاحبها في أعماله وأخلاقه، وهي مردية ومهلكة له.

العقيدة في اللغة: من العَقْدِ؛ وهو الرَّبطُ، والإبرامُ، والإحكامُ، والتَّوثقُ، والشَدُّ بقوة، والتماسُك، والمراصةُ، ومنه اليقين والجزم، والعَقْد نقيض الحل، يقال: عَقَده يعقِده عَقْدًا، ومنه عُقْدَة اليمين والنكاح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ (المائدة:٨٩).

والاعتقاد عقد القلب على الشيء وإثباته في نفسه و(العَقِيدَةُ) ما يدين الإنسان به وله، وهي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده و(في الدين) ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل. والجمع: عقائد[1]، فإنَّ ما عقد الإنسانُ عليه قلبه جازماً به؛ فهو عقيدة؛ سواءٌ أكان حقاً، أم باطلاً.

تعريف العقيدة في الاصطلاح العام: هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً، بغضِّ النظر عن صحته من عدمها. أو هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريبٌ، ولا يخالطها شكٌ. أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقا للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظناً؛ فإنَّ لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يُسَمى عقيدة[2].

---

(١) انظر معاجم اللغة: لسان العرب (مادة عقد) التعاريف ج١ ص٧٥، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج٢ ص٤٢١، المعجم الوسيط ج٢ ص٦١٤، (مجلة مجمع اللغة العربية بمصر) بحثٌ للأستاذ عبدالصبور شاهين بعنوان : (حول كلمة عقيدة) استقرأ فيه عدم وجود هذه اللفظة في: الكتاب أو السنة، ولا في أُمهات معاجم اللغة، وأن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيري (م سنة ٤٣٧ هـ) في (الرسالة) كما في أولها، ومن بعده أبو حامد الغزالي م سنة ٥٠٥ هـ، جاء بمفردها (عقيدة) انظر: معجم المناهي اللفظية ومعه فوائد في الألفاظ للشيخ بكر أبو زيد (٣١ / ٥٦).

(٢) تبسيط العقائد الإسلامية – حسن محمد أيوب ص ٢٩، الوجيز في عقيدة السلف الصالح- عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد عرَّفها الإمام البَنّا (رحمه الله) تعريفاً عاماً، فقال: «هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك»[١].

فإن مفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور:

أولاً: المعرفة بالله، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والمعرفة بدلائل وجوده، ومظاهر عظمته فى الكون والطبيعة.

ثانيًا: المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة، أو العالم غير المنظور، وما فيه من قوى الخير التى تتمثل فى الملائكة، وقوى الشر التى تتمثل فى إبليس وجنوده من الشياطين، والمعرفة بما فى هذا العالم أيضًا من جِن وأرواح.

ثالثًا: المعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل، والخير والشر، والحلال والحرام، والحسن والقبيح.

رابعًا: المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى، وقادة الخلق إلى الحق.

خامسًا: المعرفة باليوم الآخر، وما فيه من بعث وجزاء، وثواب وعقاب وجنة ونار.

سادسًا: المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخَلق والتدبير[٢].

وحدة العقيدة: وهذا المفهوم للإيمان، هو العقيدة التى أنزل الله بها كتبه، وأرسل بها رسله، وجعلها وصيته فى الأولين والآخرين[٣].

درجات الاعتقاد: يوضح الإمام البَنّا (رحمه الله) درجات الناس في قوة العقيدة بحسب وضوح الأدلة وتَمكُّنها من النفوس، فيقول: «والناس في قوة العقيدة وضعفها أقسام كثيرة، بحسب وضوح الأدلة، وتمكنها من نفوس كل قسم، ولنوضح لك هذا المقام بضرب الآتي: لو أن رجلاً سمع بوجود بلد لم يره، كاليمن مثلاً، من رجل آخر غير معروف بالكذب، فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقده، فإذا سمع هذا الخبر من عدة رجال زاد به ثقة، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك في اعتقاده إذا عرضت له الشبهات، فإذا رأى صورته الفوتوغرافية زاد اعتقاده بوجوبه، وأصبح الشك متعسرًا عليه أمام قوة هذا الدليل، فإذا سافر وبدت له أعلامه وبشائره زاد إيقانه وزال شكه، فإذا نزله ورآه رأي العين، لم يعد هناك مجال للريبة، ورسخت في نفسه هذه العقيدة

---

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث– جمعة عبد العزيز ص٤٥.

(٢) العقائد الإسلامية – سيد سابق ج١ ص٨

(٣) المرجع السابق ج١ ص٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رسوخاً قوياً حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها، فإذا سار في طرقه وشوارعه، ودرس شؤونه وأحواله ازداد به خبرة ومعرفة، وكان ذلك أمرًا موضحاً لاعتقاده زائدًا عليه.

وإذا علمت هذا فاعلم أن الناس أمام العقائد الدينية أقسام كذلك: منهم من تلقاها تلقيناً، واعتقدها عادة، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت الشبهات، ومنهم من نظر وفكر فازداد إيمانه، ومنهم من أدام النظر وأعمل الفكر، واستعان بطاعة الله تعالى وامتثال أمره، وإحسان عبادته، فأشرقت مصابيح الهداية في قلبه، فرأى بنور بصيرته ما أكمل وأتم يقينه، وثبَّت فؤاده: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (محمد: ١٧).

وإنما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطن التقليد في التوحيد، وتعمل الفكر في تفهم عقيدتك، وتستعين بطاعة مولاك في معرفة أصول دينك، حتى تصل إلى مراتب الرجال، وتترقى في مدارج الكمال»[1].

تقدير الإسلام للعقل: إن العقل له في تقرير العقائد الدينية مكانة معتبرة؛ لأنها جميعاً ليس فيها ما يتنافى مع العقل، وإن كان أساس العقائد الإسلامية – ككل الأحكام الشرعية – كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وفي ذلك يقول الإمام البَنّا (رحمه الله) : «ويجب أن تعلم، مع ذلك، أن كل هذه العقائد يؤيدها العقل، ويثبتها النظر الصحيح، ولهذا شرَّف الله تعالى العقل بالخطاب، وجعله مناط التكليف، وندبه إلى البحث والنظر والتفكير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١)، وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان، تقديرا للأدلة، وإظهارا لشرف الحجة.

هنا تعلم أن الإسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول، وقد أرشدها إلى التزام حدها، وعرفها قلة علمها، وندبها إلى الاستزادة من معارفها، فقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥) »[2].

أقسام العقائد الإسلامية: يقسم الإمام البَنّا (رحمه الله) العقائد الإسلامية إلى أربعة أقسام رئيسة، تحت كل قسم منها فروع عدة:

---

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث– جمعة عبد العزيز ص٤٥-٤٦.

(٢) المصدر السابق ص٤٦-٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القسم الأول: الإلهيات: وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى من حيث أسماؤه وصفاته وأفعاله، ويلحق بها ما يستلزمه اعتقاده من العبد لمولاه.

القسم الثاني: النبوات: وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم والحاجة إلى رسالتهم.

ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوان الله عليهم، والمعجزة والكرامة، والكتب السماوية.

القسم الثالث: الروحانيات: وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي: كالملائكة عليهم السلام، والجن، والروح.

القسم الرابع: السمعيات: فيما يتعلق بالحياة البرزخية، والحياة الأخروية: كأحوال القبر، وعلامات القيامة، والبعث، والموقف، والحساب، والجزاء»[1].

وبعد هذا العرض الذي يوجز فيه الإمام البَنّا (رحمه الله) والذي بين فيه مكانة العقل وموافقته لمعتقداتنا فهو لا يتعارض مع أيٍ منها، وبعد أن قسم مجالات الاعتقاد إلى أربعة أقسام، نجده يورد قسماً واحدًا في رسالته العقائد، وهو القسم الأول الإلهيات، وكأن القدر لم يمهله أن يكتب بكل أقسام العقيدة كما حددها فضيلته.

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

منهجه في عرض قضايا العقيدة

اعتمد الإمام البَنّا (رحمه الله) في عرض مباحث العقيدة على منهج القرآن الكريم والرسول ﷺ في توصيلها إلى النفوس، واستيلائها على المشاعر والقلوب بدون التعمق في الألفاظ، أو التشعب في البحوث، أو إيراد للآراء والمذاهب، أو خوض في مصطلحات الفلاسفة والمناطقة والكلاميين والجدليين، واصفاً ذلك المسلك بأنه طريق السلف الصالح – رضوان الله عليهم– ويبين آثار هذه العقائد في النفوس ويؤكد على ذلك؛ ليعلم الفرد أين نفسه من درجة استيلاء العقيدة الإسلامية عليها.

فالعقائد عند أسلافنا عواطف مستقرة في القلوب ومشاعر مستولية على النفوس، لذلك قرر الإمام البَنّا (رحمه الله) أن الأسلوب النبوي من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ في معرفة الله تعالى، أحكم وأسلم وأنفع! فمن جمال هذا الأسلوب يقول: «إن القرآن الكريم لفت الأنظار إلى أن معرفة الله تعالى تكون من طريقين:

الطريق الأول: هو التفكير في مصنوعات الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١)، فالتفكير موصل لمعرفة الله تعالى.

الطريق الثاني: فهو الإكثار من ذكر الله تعالى والعمل بطاعته: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**» (١).

(١) أخرجه البخاري في صحيح– كتاب الرقاق– باب التواضع، رقم (٦٥٠٢) ج٨ ص ١٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدين فطري، والتفكير والتعبد يعينان الفطرة على فهم ذلك الدين، وإذا عرفت ربك رجعت إليه، وإذا رجعت إليه، هداك إلى التقوى، ومن مظاهر التقوى الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وما إليها من واجبات الدين»[1].

وذكر من جمال ذلك الأسلوب في عرض قضايا العقيدة، التعرف على صفات الله بعيداً عن الجدال المذموم، فيقول: «فإذا أردت أن تعرف صفة من صفات الله تعالى، اعرفها بآثارها؛ فمعرفة القدرة، والإرادة، والعلم بآثارها من خلق السموات والأرض، وما فيها على نظام بديع، وترتيب عجيب!

فالجدال في مثل هذه المواقف لا طائل تحته، بل هو مضر، وإن المؤمن حين يقرأ كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ يصل إلى الطريق السوي من غير فلسفة ومن غير تعقيد.

وإن كل صفة من هذه الصفات تقرؤها، تشعر نفسك بمعناها والعمل بها، معتقداً بأنه تعالى متصف بالصفات الكاملة، وأن أوامر الكون كلها بيده، يصرفها كيف يشاء، وأنه لا تتناهى كمالاته»[2].

ومن جمال الأسلوب النبوي أنه يؤكد على القيمة الأخلاقية المتحققة من الإيمان بصفات الله تعالى، وفي ذلك يقول الإمام البَنّا (رحمه الله) : «فالإيمان بكل صفة من صفات الله تبارك وتعالى تنتزع من النفوس كل نقيصة من النقائص الإنسانية»[3].

فهذا المنحى القرآني في عرض قضايا العقيدة يمتاز بالبساطة والتأثير، ويبتعد عن التكلف والتعقيد، وفي ذلك يقول الإمام البَنّا (رحمه الله) : «وقد نحا القرآن الكريم في هذا منحى تجد فيه المعنى البسيط المؤثر المبني على الفطرة الإنسانية.. وإن كتاب الله تبارك وتعالى يستثير القلب ليؤمن بما يجب أن يؤمن به، ثم لا يقف الإيمان عند هذه الناحية، لأنه إذا وقف عند هذا كان إيماناً علمياً نظرياً، لكنه يشعرك بأن الآخرة تنتظرك، ورقابة الله تلازمك ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس: ٦١).

---

(١) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٤٣٤.

(٢) المصدر السابق ص٤٣٤.

(٣) المصدر نفسه ص٤٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهي عقيدة فطرية، عملية، تعتمد على الفطرة، وتسوق الفطرة إلى العمل وإلى الخير، وهي عقيدة سليمة؛ تجمع البساطة والعمق معاً» [١].

ولهذا ينكر الإمام البَنّا (رحمه الله) على الذين استبدلوا ذلك الأسلوب النبوي العظيم بطريق الفلسفة والآراء، في إقرار قضايا الإيمان، بالرغم من أن تلك المبادئ لا زالت محفوظة، وبين الآثار السلبية لهذا الاستبدال، فقال: «إن المبادئ التي قام عليها الإسلام دخل عليها التغيير، وتراكمت عليها آراء الناس وعقول الناس، ومضى على هذا أجيال بعد أجيال، فتلون الإسلام بلون الآراء وفهم كل في الإسلام غير ما فهمه الآخر، وظهر بأشكال مختلفة حادت بالناس عن الطريق المستقيم»[٢].

ومما يجب التنبه إليه ضرورة التفريق بين العقيدة، وبين ما أثير حولها من شبهات، فإنَّ بعض الناس يخلطون بين الإيمان الذي جاء به الرسول ﷺ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبين الشبهات التي أثارها المتكلمون وتم الرد عليها من علماء الإسلام في وقتها، وانتهى كثير منها بموت أصحابها، وإن جاز لنا أن ندرسها مع بعض طلاب العلم المنشغلين بهذا الأمر من باب العلم بها، وكيف رد العلماء عليها، ولكن، لا يجوز أن تثار هذه الشبهات في الوقت الحاضر على أنها عقيدة، وأيضاً عدم إثارتها مع العوام كما يحدث مع بعض المنتسبين إلى العلم الآن[٣].

ونترك الإجابة للإمام ابن تيمية حيث يقول: «وأما قول القائل لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام: فأنا ما فاتحت عاميًا في شيء من ذلك قط»[٤].

كما قال: «أنا ما بغيت على أحدٍ، ولا قلت لأحدٍ: وافقني على اعتقادي وإلا فعلت بك، ولا أكرهت أحدًا بقول ولا عمل، بل ما كتبت في ذلك شيئاً قط إلا أن يكون جواب استفتاء بعد إلحاح السائل واحتراقه وكثرة مراجعته ولا عادتي مخاطبة الناس في ذلك ابتداء»[٥].

---

(١) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٨٠-٨١.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٤٨٨.

(٣) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص١٢٤.

(٤) مجموع الفتاوى ج٥ ص٢٦٦.

(٥) المرجع السابق ج٣ص ٢٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبذلك يتضح الفارق الكبير بين الطريقة القرآنية والأسلوب النبوي في عرض العقيدة التي نهجها الإمام البَنّا (رحمه الله)، وبين طريقة المتكلمين الذين خلطوا ما بين العقيدة والشبهات التي أثيرت حولها.

وبذلك يجمع الإمام البَنّا (رحمه الله) من خلال ذلك الأسلوب النبوي في آنٍ واحد العلم بكل المسائل الأساسية التي لا ينبغي أن تغيب عن المسلم، مع بقاء المسلم مشدوداً إلى الطريقة الفطرية الصافية في الاعتقاد والتي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ [1].

وهذا هو الأسلوب الذي نشأ عليه الإمام البَنّا (رحمه الله)، كما وصف جلسات العلم التي تربى عليها من خلال شيوخه، فيقول: « وخلال كل مجلس من مجالسه، يطرق باب العقيدة الصحيحة فينميها ويقويها ويثبتها بما يورد من آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث الرسول العظيم، وسير الصالحين، ومسالك المؤمنين والموقنين.

ولا يعمد كذلك إلى نظريات فلسفية، أو أقيسة منطقية، وإنما يلفت الأنظار إلى عظمة الباري في كونه، وإلى جلال صفاته بالنظر في مخلوقاته، ويذكر بالآخرة في أسلوب وعظي تذكيري لا يعدو جلال القرآن الكريم في هذه المعاني كلها، ثم لا يحاول هدم عقيدة فاسدة إلا بعد بناء عقيدة صالحة، وما أسهل الهدم بعد البَنّاء وأشقه قبل ذلك، وهي نظرة دقيقة، ما أكثر ما تغيب عن إدراك المصلحين الواعظين»[2].

وبين الإمام البَنّا (رحمه الله) منشأ ذلك الخلاف المذموم في عرض قضايا العقيدة، وكيف أثرت التغيرات الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الأمة في توفير أجواء الخلاف المذموم الذي كان ثمرة ترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية.

فيقول: «حين انتقل المسلمون من دور الانشغال بالجهاد وتزكية النفوس إلى دور الاستمتاع بمظاهر دنياهم الجديدة، والإقبال على تنظيم ملكهم الواسع، والاستفادة من ثمار هذه الحضارات والمدنيات التي اتصلوا بها.. فترجموا العلوم الأجنبية، وتوسعوا في البحث فيها، ومزجوا كثيرًا منها بتعاليم الدين السمحة السهلة، فسلكوا بدينهم مسلكاً فلسفياً قياسياً، وقد جاءهم

(١) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر- سعيد حوّى ص ٧٣.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فطريًا ربانيًا نبويًا فوق العلوم والفلسفات يخاطب الفطرة من غير وساطة، ويجذب القلوب بما فيه من جمال وروحانية وصدق توجيه في هذا الدور»[1].

وكان من أثر ذلك انقسام علماء الإسلام إلى معسكرين، فقال: «معسكر يدعو إلى تطبيق نظريات الدين مع نظريات الفلسفة والمزج بينهما، وبذلك يصطبغ الدين بآراء الفلاسفة فيذهب عنه جلال النبوة وروعة الوحي، وسماحة الفطرة، وتتقيد الفلسفة بقداسة الدين وجلال العقيدة، فتنزل بذلك عن أخص خصائصها، وإنما الفلسفة تفكير دائم متواصل، فيه الخطأ وفيه الصواب، وفيه الشك وفيه اليقين، والخطأ فيها سلم للإصابة والشك عندها باعث من بواعث الإيمان، وهذا المعسكر أطلق على نفسه أو أطلق الناس عليه ألقابا كثيرة، فهم أهل الرأي وهم أهل القياس، وهم النظار، وهم المتكلمون على تفاوت بينهم في هذه الألقاب وفي مدى تطبيق هذه الآراء.

ويضيف مبيناً المعسكر الآخر والذي يدعو إلى أن يظل الدين بعيدًا عن كل هذا، ويؤخذ من منابعه الأولى كتاب الله وسنة رسولهﷺ، ويرجع في بيانه وتفصيله إلى الطريقة التي فهمه عليها السلف الصالح – رضوان الله عليهم – وليتناول العقل بعد ذلك ما شاء من البحوث، ولتجر الفلسفة على أي غرار شاءت، و ليخطئ العلماء الكونيون أو يصيبوا ولكن في ثوب نظري بحت، قياسي بحت لا يتناول عقائد الناس ولا يمس عبادتهم، ولا يقرب الحقائق الدينية المقررة المكفولة بتسليم العقل بأحقيتها وصدقها.

وقد أطلق هذا المعسكر على نفسه أو أطلق الناس عليه أهل الحديث أو السلفيون أو أهل السنة، أو أهل الأثر على تفاوت كذلك في هذه الألقاب وفي مدى الأخذ بهذه الفكرة»[2].

الإمام البَنّا (رحمه الله) يرجح موقف أهل الحديث:

يحدد الإمام موقفه بشكل جلي بعد أن بين مبررات كل فريق في مسلكه، فيقول: «ولاشك أن الحق مع هؤلاء(أهل الحديث أو السلفيون أو أهل السنة، أو أهل الأثر).

وأن المسلمين لو سلكوا هذا السبيل ولم يشتغلوا بهذا الجدل.. لنجوا من انقسامات وفتن كانت من أهم الأسباب لزوال عظمتهم وتوزيع ملكهم ومجدهم، ولاشك أن كل عاقل يهمه أن يعود للإسلام مجده وعظمته الآن يدعو المصلين إلى الأخذ بهذا الرأي وهو ما نعمل عليه وندعو إليه ونسأل الله المعونة فيه وفتح مغاليق القلوب لفهمه وفقهه.

---

(١) مجلة المنار ١٣٥٨هـ أغسطس ١٩٣٩م المجلد الخامس والثلاثون.

(٢) المصدر السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان الأخذ والرد والجذب والشد قوياً عنيفًا بين الفريقين.. وتنابز الفريقان بالألقاب واشتد بينهما التخاصم حتى وصل إلى التكفير والزندقة، ورمى بعضهم بعضاً بأعظم ما يتصور من التهم، واستخدمت في ذلك الألفاظ المثيرة، وألقيت إلى جانب ذلك عبارات شديدة، وألفت كتب، وانتصر كل فريق لرأيه، وبدت الحدة في كل ما قيل وما ألف، لأن تلك طبيعة الموقف ومقتضيات الخلاف»[1].

لهذا نأى الإمام البَنّا (رحمه الله) بنفسه عن الدخول في تلك الحلقة المفرغة، والجدال الذي لا خير فيه، وهو ما أوقع الخلط بين العقيدة وبين الخلاف في بعض المسائل التي لا يمكن لإنسان أن يعرف كنهها وحقيقتها.

(١) مجلة المنار ١٣٥٨هـ أغسطس ١٩٣٩م المجلد الخامس والثلاثون.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

دعوى إهمال الإخوان الجانب العقدي

إن دعوى إهمال الإخوان للجانب العقدي بعد العرض السابق لمنهجية الإمام البَنّا (رحمه الله) في عرض قضايا العقيدة بل ومكانتها في بناء النفس المؤمنة، فهي دعوى لا أساس لها من الصحة فقد بين الإمام مكانة العقيدة وأهميتها في صياغة الشخصية المسلمة واعتمد في تناولها منهجاً سليماً بعيداً عن التعقيدات والخوض في الفلسفات الممجوجة والطرق الكلامية الملتوية لذلك قال: «الإيمان بالله، والشعور بوجود الخالق هو فطرة من الفطر المستقرة المطبوع عليها الإنسان، لأن طبيعة الروح هكذا.. والأسلوب الأمثل لذلك هو ما جاء به القرآن الكريم حيث الحقيقة الواقعة الناصعة؛ فقرر أن الإله واحد، ونفى كل أنواع التعدد وقرر أنه: لا يشبهه سبحانه شيء من خلقه، وقرر أنه متصف بالكمالات كلها، ومنزه عن النقائص كلها.

وقرر كذلك أنه غير مستطاع للعقل الإنساني أن يدرك كنه ذاته، وحقيقة صفاته سبحانه وتعالى. وإلى جانب هذه النواحي الإيجابية التي تناولها القرآن الكريم في الكلام عن الله وعن معنى الألوهية تناول أيضاً معنيين:

المعنى الأول: يتصل بالشبهات التي لصقت بمعنى الألوهية من أدران الأمم السابقة، فكرَّ عليها، ونقضها ودعم نفيها بالحجج الدامغة.

المعنى الثاني: يتعلق بصلة الإنسان بالله سبحانه، وكيف أن الإنسان مربوب لله تبارك وتعالى، وأن الله مع الناس أينما كانوا، وأنه هو الذي يرحمهم ويهديهم ويعينهم، وأنه هو الذي يحاسبهم بعد ذلك، فإليه مردهم جميعاً»[1].

وأضاف قائلاً: «إن العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، والخلق الفاضل، والحكم العادل هي الأركان الأربعة التي يتكون منها البَنّاء القرآني، وكتاب الله تبارك وتعالى يرمى إلى تحقيق هذه الأمور الأربعة الأساسية في نفوس المؤمنين»[2].

وبما أن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ، فالعقيدة مظهر من مظاهر هذه النفس، والخلق أيضاً والعبادات كذلك حالة من حالات النفس، والحكم مقصد للتأثير في النفس ولزجرها.

---

(١) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا: أحمد عيسى عاشور ص٤٧- ٤٩.

(٢) المصدر السابق ص٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن أسلافنا حين نظروا إلى القرآن هذه النظرة، وحين أدركوا من مراميه هذه الأمور الأربعة، عملوا بها؛ فكانت عقيدتهم سليمة [1].

غير أنه لمن المؤكد أن طبيعة الفترة التي يظهر فيها أئمة الدعوة تنعكس بشكل أساسي على المظهر العام لتلك الدعوة، فالفترة التي كان فيها الإمام أحمد بن حنبل ﷺ ظهرت فيها فتنة القول بخلق القرآن الكريم وغيرها من القضايا الفلسفية وعلم الكلام، فتصدى لها الإمام، وكانت محنته المشهورة مع القائلين بخلق القرآن.

وفي فترة الإمام ابن تيمية فقد كثر فيها الحديث عن الأسماء والصفات، والتصوف، والهجوم التتري على البلاد الإسلامية؛ فتصدى لها، وأكثر كلامه في الرد على هؤلاء.

وظهر الإمام محمد بن عبد الوهاب، في فترة كثرت فيها الأضرحة والبدع؛ فتصدى لها، وكان جل اهتمامه بها، وللعلم فهذه الدعوات قد ظهرت في ظل دولة وخلافة إسلامية تطبق الشريعة الإسلامية، قد تقترب أو تبتعد عنها، ولكن على كل حال فهي قائمة.

أما الإمام البَنّا (رحمه الله) فقد جاء وكل شيء قد ذهب (الخلافة الإسلامية ألغيت – احتلال أجنبي لأغلب البلاد الإسلامية – فرض القوانين الأجنبية على المسلمين وإقصاء أحكام الشريعة الإسلامية، انتشار البدع والأضرحة والجهل والتغريب، والمطالبة بمتابعة الغرب في كل شيء ونبذ الإسلام بكل صوره)؛ ولذلك جاءت دعوته بهذه الشمولية للعودة بالأمة إلى كل ما هو إسلامي في شتى مجالات الحياة، وعدم قصر الإسلام على جانب معين دون باقي الجوانب[2].

ومع ذلك فقد شخَّص الإمام البَنّا (رحمه الله) الأزمة التي تجتاح الأمة الإسلامية في عصره، بقوله: «الأزمة أزمة مبادئ وعقائد ونفوس وأرواح: أزمة إيمان، لو آمن الناس برقابة الله تبارك وتعالى واطلاعه عليهم ونظره إليهم، واستقرت في نفوسهم معرفة الله العلي الكبير لألهمهم هذا الإيمان يقظة في الضمير، وحياة في الشعور، وأضاف: «أما نحن الآن.. فعقائدنا فيها ثغرات كثيرة، والأركان القرآنية محطمة في أنفسنا، نسأل الله أن يعيننا وأن يوفقنا إلى تحقيق هذه الأمور، لنكون بحق أمة قرآنية تحل ما أحل الله، وتحرم ما حرم الله، وتحكم بما

(١) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا– أحمد عيسى عاشور ص٨٦.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامي– توفيق الواعي ص١٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنزل الله.. هذه المعاني أحببت أن أفضى بها إليكم، لتكون نظرة شاملة وعامة ومجملة لكتاب الله تبارك وتعالى – القرآن الكريم– ولتكون بياناً عاماً لدعوة الإخوان المسلمين»[١].

ولهذا نجد الإمام البَنّا (رحمه الله) يرسِّخ منهج التربية الإيمانية عند الإخوان، وليس مجرد الوقوف عند الثقافة الإيمانية فقط، ولم يهمل الجانب الثقافي في التربية العقائدية، فاعتمد الإخوان بعض الكتب الموجودة مثل كتب الإمام ابن تيمية، وكتب الإمام ابن عبد الوهاب إلى جانب ما ألفه بعض علماء الإخوان والتي تستقي العقيدة من الكتاب والسنة بعيداً عن شبهات المتكلمين مثل: كتاب حقيقة التوحيد، وكتاب العبادة في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي، وكتاب العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق، وكتاب الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين، كما أن كتاب العقيدة الطحاوية والذي نال قبول الأمة يعدُّ مرجعا أساسياً لدراسة العقيدة عند الإخوان المسلمين[٢].

وقد جعل الإمام البَنّا (رحمه الله) من واجبات إخوانه أن يدرسوا رسالة في أصول الدين، وقد ذكر ذلك بوضوح في رسالة التعاليم التي وضع فيها أثناء ذكره للقواعد العشرين في أصول الفهم لدعوة الإخوان المسلمين مجموعة قواعد تصفى كثيراً من الأمور الخلافية في باب الاعتقاد[٣].

فالإنسان في نظر الإمام البَنّا (رحمه الله) لا يمكن أن يعيش بلا عقيدة ولهذا جعل القرآنُ العقيدةَ محور اهتمامه، فقال: «إن كتاب الله تبارك وتعالى قد عالج العقيدة وجعلها محور اهتمامه؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير عقيدة، فهي فطرة في نفس الإنسان.. وقد جاء القرآن الكريم أيها الإخوان لينظم هذه الضرورة الإنسانية الروحية تنظيماً سهلاً هيناً»[٤].

وهنا يكون من الواجب التفرقة بين الثقافة الإيمانية التي هي: مجموعة من الدروس والمحاضرات والخطب والكتب والنشرات والكتيبات، والرسائل التي تتحدث عن العقيدة.. فهل هذه الأمور تحتاج إلى ثلاثة عشر عاماً قضاها الرسول ﷺ في مكة؟!

وبين التربية الإيمانية التي ربى الله تعالى عليها رسوله ﷺ في سورة المزمل (قيام الليل)، وربى عليها الرسول ﷺ الصحابة – رضوان الله عليهم– في دار الأرقم، بل واستمرت حتى بعد

(١) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا– أحمد عيسى عاشور ص٨٧.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية– توفيق الواعي ص١٢٣–١٢٤.

(٣) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر– سعيد حوّى ص٧٢.

(٤) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا– أحمد عيسى عاشور ص٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهجرة، وعلى سبيل المثال نزلت الأنفال بعد غزوة بدر، وكثير من آيات آل عمران، بعد غـزوة أحد والأحزاب بعد الخندق والتوبة بعد تبوك، وكلها تربية إيمانية للصحابة (رضوان الله علـيهم جميعًا).

ولهذا وجه الإمام البَنّا (رحمه الله) الإخوان لفهم الإسلام فهماً عملياً شاملاً، ليعالج به كل قضايا عصره، فقال في الأصل الأول من ركن الفهم: «الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكـرة، كمـا هـو عقيـدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء»[1].

فإنَّ طبيعة الربانية لدعوة الإمام البَنّا (رحمه الله)؛ توجب اهتمامهم بدراسة العقيدة، وفـي هذا يقول الإمام البَنّا (رحمه الله) : «فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعـاً، أن يتعـرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عـن جمـود المادة الصماء وجحودها، إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها. نحن الإخوان المسـلمين لنهتـف من كل قلوبنا: «الله غايتنا» فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التـي تربطهم بالله تبارك وتعالى والتي نسوها فأنساهم الله أنفسـهم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٢١).

وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشر جميعاً فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلاً، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح»[2].

وكان من القرارات التي نتجت عن المؤتمر الخامس لجماعة الإخوان المسلمين: «أن اقترح المؤتمرون على مكتب الإرشاد العام الإسراع في تشكيل اللجان الآتية: لجنة علمية لوضع كتاب مختصر مفيد في (العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات الإسلامية) مدعم بالأدلة من الكتاب والسنة، بعيداً عن مناحي الخلاف وتشعب الآراء؛ حتى تكون مرجعاً للإخوان ولمن شاء

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٥.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٧- ٤٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مطالبة الحكومة المصرية بالإسراع في سن التشريعات اللازمة لحماية الآداب والأخلاق والعقائد»[١].

وكان من جملة مظاهر اهتمام الإخوان بالعقيدة أن الإمام البَنّا (رحمه الله) أفرد رسالة خاصة بالعقائد الإسلامية وضح فيها منهاج الإخوان في دراسة العقيدة، هذا وقد طبق الإخوان العقيدة عملياً حين رأى الناس رجل العقيدة، وجندي العقيدة، ومثقف العقيدة في واقع الحياة يمشي علي الأرض عنواناً للإسلام الفاعل الذي يطلع فجره من جديد في إشراقة الدعوة المباركة، فإنَّ العقيدة هي أساس العمل، فيقول في الأصل السابع عشر من أصول دعوته: «العقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً، وإن اختلفت مرتبتا الطلب»[٢].

فالعقيدة أصل، والعمل فرع عنها، أو هي بذرة والعمل ثمرة لها، وبدون العقيدة التي يعبر عنها القرآن والسنة بـــ (الإيمان) لا يقبل عمل من صاحبه، ولذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ (ابراهيم: ١٨) وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (النور: ٣٩) [٣].

وبهذا خاطب الإمام البَنّا (رحمه الله) قائلاً: «أيها الإخوة والدعوة لا تظهر إلا بشيئين:

الأول: الإيمان العميق بالله تبارك وتعالى والارتكان إليه في كل شيء والاستمساك بالعقيدة الطاهرة بجميع مظاهرها في خلق كريم وصلابة في الحق، وصبر على المكاره وتحمل لكل صعب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ (الفرقان: ٦٣)، ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٢).

والثاني: حب وثيق في الله، يجعلكم على قلب واحد، فتسيرون إلى غايتكم منصورين، وصونوا ألسنتكم وطهروا قلوبكم واصبروا على الأذى، ولا يهولنكم طوفإنَّ الأكاذيب وفيضان الزور، وكونوا كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ١٨) »[٤].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٧٨.

(٢) المصدر السابق ص٢٧٧.

(٣) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص١٤.

(٤) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص١٧٢-١٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا ومما يجب الالتفات إليه هو الحذر من تحويل العقيدة إلى قضايا كلامية جدلية فلسفية؛ فتفقد بذلك تأثيرها البَنّاء في النفوس[1].

وبهذا يتضح أن دعوى إهمال الإخوان الجانب العقدي، وأنها لا تملك تصوراً عقائدياً واضحاً، فهذه دعوى متنافية مع الواقع جملة وتفصيلاً؛ فهي ليس أكثر من الشبهة يوجهها كثير من العوام للدعوة، على غير برهانٍ ولا دليل، غير اتباع الظن!!

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص١٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

عقيدة الإمام حسن البَنّا في توحيد الأسماء والصفات

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات عند الإمام البَنّا.

المطلب الثاني: المشابهة بين صفات الله تعالى وصفات الخلق.

المطلب الثالث: التفويض في الصفات.

المطلب الرابع: شبهة التفويض التي أثيرت حول عقيدة البَنّا.

المطلب الخامس: موقفه من الخلاف في آيات الصفات وأحاديثها.

www.manaraa.com

المطلب الأول

توحيد الأسماء والصفات عند الإمام البَنّا (رحمه الله)

فإنه مما يجدر التطرق إليه قبل الولوج لمسألة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا- أن يُعْلَم أن توحيد الأسماء والصفات يشتمل على ثلاثة أبواب: (باب الأسماء) و (باب الصفات) و (باب الإخبار).

فنحن إذا وقفنا وقفةَ تأمل عند نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن نجد الحقائق التالية: أن الله أطلق على نفسه أسماء كـ (السَّميع) و(البصير)، وأوصافاً كـ (السمع) و(البصر)، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها، فاستعملها في تصاريفها المتنوعة، مما يدل على أن مثل ذلك يجوز إطلاقه عليه في أي صورة وردت، وأطلق على نفسه أفعالاً كـ (الصُّنع) و(الصِّبغة) و(الفعل) ونحوها. قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)، وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧)، لكنه لم يَتَسَمَّ ولم يصف نفسه بها ولكن أخبر بها عن نفسه، ممَّا يدل على أنَّها تخالف الأوَّل في الحكم فوجب الوقوف فيها على ما ورد.

ووصف نفسه بأفعال في سياق المدح كـ (يريد) و(يشاء) فقال جلَّ شأنه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (الأنعام: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٩)، إلا أنه لم يشتق له منها أسماء.

فدل على أن هذا النوع مخالف للقسمين الأولين، فوجب رده إلى الكتاب والسنة وذلك بالوقوف حيث أوقفنا الله عز وجل ورسوله ﷺ. ووصف نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

ولم يشتق منها أسماء له تعالى فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكمٌ خاصٌ فوجب الوقوف على ما ورد[١].

(١) انظر: الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها- محمد بن خليفة بن علي التميمي ص٣٩-٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه الحقائق السابقة قررت عند العلماء النتائج التالية:

١ــ أن النصوص جاءت بثلاثة أبواب هي (باب الأسماء) و(باب الصفات) و(باب الإخبار).

٢ــ أن باب الأسماء هو أخص تلك الأبواب، فما صح اسماً صحَّ صفة وصحَّ خبراً وليس العكس.

٣ــ باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فما صحَّ صفة فليس شرطاً أن يصحَّ اسماً، فقد يصحُّ وقد لا يصح، مع أن الأسماء جميعها مشتقة من صفاته.

فالأسماء تدل على الذات، والصفات تدل على معان قائمة بالذات، وهذه المعاني القائمة بالذات هي الصفات[١].

٤ــ أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، فالله يُخْبَرُ عنه بالاسم وبالصفة وبما ليس باسم ولا صفة كألفاظ (الشيء) و(الموجود) و(القائم بنفسه) و(المعلوم)، فإنه يخبر بهذه الألفاظ عنه ولا تدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا [٢].

مَذْهَبُ السلف في (توحيد الأسماء والصفات) : «وهو إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وتنزيهه عما نزّه عنه نفسه، ونزّهه عنه رسوله ﷺ من العيوب والنقائص» [٣].

توحيد الأسماء والصفات عند الإمام البَنّا (رحمه الله):

أولاً: أسماء الله الحسنى: يذكر الإمام البَنّا (رحمه الله) فيما يتعلق بتوحيد أسماء الله الحسنى، قائلاً: «إن الخالق المتصرف – جل وعلا– تعرَّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله، يحسن بالمؤمن حفظها تبركاً، وتلذذاً بذكرها، وتعظيماً لقدرها.

وإليك الحديث الصحيح الذي جمعها، فنعم المعلم حديث رسول الله، ونعم المرشد والهادي لسان الوحي، ومشكاة النبوة. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لله تعالى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مائة إلاَّ وَاحداً، لا يحفظها أحد إلا دَخَلَ الجَنَّةَ، وهو وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرِ**» [٤]... بعد ذلك يورد بحوثاً تتعلق بأسماء الله الحسنى وهي:

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ج١ ص٥٥.

(٢) الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها– محمد بن خليفة بن علي التميمي ص٤١.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابي العز الحنفي– صالح الفوزان ص٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه– كتاب الشروط– باب ما يجوز من الاشتراط، رقم (٢٧٣٦) ج٣ ص ١٩٨. أخرجه مسلم–كتاب الذكر والدعاء والتوبة– باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم (٢٦٧٧) ج٢ص٩٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين: هذه التسعة والتسعون ليس كل ما ورد في أسماء الله تبارك وتعالى، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء، فقد ورد في الحديث من رواية أخرى (الحنان)، (المنان)، (البديع)، وورد كذلك من أسمائه تعالي (المغيث)، و(الكفيل) و(ذو الطول)، و(ذو المعارج) و(ذو الفضل)، و(الخلاّق) » [1].

الأحاديث التي وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء الله تعالى على المجاز: ثم اعلم أن بعض الأحاديث وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء الله تعالى، ولكن قرائن الحال وأصل الوضع يدل على غير ذلك، فاعلم أن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات، مثال ذلك الحديث الذي رواه أَبِو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا**» [2].

فكل هذه لا يراد منها ظواهرها وحقيقة الإطلاق، بل المقصود في الأول منها مثلا: إنَّ الله هو مسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن ينسب إلى الله شيء ولا أن يسب ويذم، وفي الثاني: إنَّ الأنين أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض، وهكذا في المعاني التي تدل عليها قرائن الأحوال[3].

التوقيف في أسماء الله تعالى وصفاته: واعلم أن جمهور المسلمين على انه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أو وصفاً لم يرد به الشرع، بقصد اتخاذه اسماً له تعالى وإن كان يُشعر بالكمال، فلا يصح أن نقول: مهندس الكون العظيم، ولا أن نقول المدير العام لشؤون الخلق، على أن تكون هذه أسماء أو صفات لله تعالى يصطلح عليها، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى، ولكنها إن جاءت في عرض الكلام لبيان تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس، والأولى العدول عن ذلك تأدبا مع الحق تعالى[4].

اسم الله الأعظم: ورد اسم الله الأعظم في أحاديث كثيرة، منها: عن بريدة ﷺ قال: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رجلاً يدعُو وهوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أسألُكَ بأَنِّي أشهدُ أَنَّكَ أنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ الأحَدُ الصَّمدُ

---

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٤٩-٥١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه- كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها- باب النهى سب الدهر، رقم (٢٢٤٦) ج٤ ص١٧٦٣. ومعنى فإن الله هو الدهر أي فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات كما في شرح محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر: سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٥١-٥٢.

(٤) انظر: المصدر السابق ص٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الَّذِي لمْ يَلدْ ولمْ يُولَدْ ولمْ يكُنْ لهُ كفواً أحدٌ. قَالَ فَقَالَ: «**والَّذِي نفسي بيدهِ لقَدْ سألَ اللهَ باسمهِ الأعظمِ الَّذِي إذا دُعيَ بهِ أجابَ وإذا سُئِلَ بهِ أعطى**[1]» [2].

فأنت ترى من هذا الحديث ومن غيره أنه لم يعين اسم الله الأعظم بالذات، وأن العلماء مختلفون في تعيينه لاختلافهم في ترجيح الأحاديث بعضها على بعض، حتى اختلفوا على نحو الأربعين قولاً، والذي نأخذه من هذه الأحاديث الشريفة، ومن أقوال الثقات من رجال الملة، أن الاسم الأعظم دعاء مركب من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا بها الإنسان، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعاً استجاب الله له، وقد صرحت به الأحاديث الشريفة في عدة مواضع.

وخلاصة البحث أن بعض الناس ولعوا بالمعميات، وادِّعاء الخصوصيات، والزيادة في المأثورات، فقالوا ما لم يرد في كتاب ولا في سنة، وقد نهينا عن ذلك نهياً شديدًا، فلنقف مع المأثور[3].

ثانياً: صفات الله تعالى: قبل أن نستعرض توحيد الصفات عند الإمام البَنّا (رحمه الله) نقف عند توحيد الصفات وإن كان قد سبق بيانه متَضمَناً في تعريف توحيد الأسماء والصفات، فإنَّ أهل السنة والجماعة يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ولم يكن ذلك كله إثباتاً ولا كله نفياً، واعلم أن كلاً من النفي والإثبات في الأسماء والصفات مجمل ومفصل.

أما الإجمال في النفي؛ فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٦٥)، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١). وأما التفصيل في النفي؛ فهو أن ينزه الله عن كل واحد من هذه العيوب والنقائص بخصوصها، فينزه عن الوالد، والولد، والشريك، والصاحبة، والند، والضد، والجهل، والعجز، والضلال، والنسيان، والسِّنة، والنوم، والعبث، والباطل.. إلخ[4].

---

(١) رواه الترمذي سننه الترمذي رقم (٣٤٧٥) وقال حَسن غَريب، وصححه الألباني ج٥ ص٥١٥.

(٢) انظر: سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٥٣-٥٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٥٤- ٥٥.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية- هراس ص٥٤-٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفات الله تبارك وتعالى في نظر الإمام البنا: يستعرض الإمام البَنّا (رحمه الله) صفات الله تعالى منطلقاً من منهجيته في عرض قضايا العقيدة من خلال النظر في آيات الأنفس والآفاق، وإن كان لا يلغي الأقيسة العقلية على اعتبار أن عقائدنا لا يتعارض شيء منها مع العقل الصريح، فيقول: «أنت إذا نظرت إلى الكون وما فيه من بدائع الحكم، وغرائب المخلوق، ودقيق الصنع، وكبير الإحكام، مع العظمة والاتساع، والتناسق والإبداع، والتجدد والاختراع.. لخرجت من كل ذلك بغير أن يأتيك دليل أو برهان، أو وحي أو قرآن.

وبهذه العقيدة النظرية السهلة وهي: أن لهذا الكون خالقاً صانعاً موجدًا، وأن هذا الصانع لا بد أن يكون عظيمًا فوق ما يتصور العقل البشري الضعيف من العظمة، وقادرًا فوق ما يفهم الإنسان من معاني القدرة، وحيًا بأكمل معاني الحياة، وأنه مستغنٍ عن كل هذه المخلوقات، لأنه كان قبل أن تكون، وعليماً بأوسع حدود العلم، وأنه فوق نواميس هذا الكون لأنه واضعها، وأنه قبل هذه المخلوقات لأنه خالقها، وبعدها لأنه هو الذي يحكم عليها بالعدم، وإجمالاً سترى نفسك مملوءاً بالعقيدة بأن صانع هذا الكون ومدبره متصف بكل صفات الكمال فوق ما يتصورها العقل البشري الصغير، ومنزه عن صفات النقص، وسترى هذه العقيدة وحي وجدانك لوجدانك، وشعور نفسك لنفسك: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠) [١].

الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات صفات الله تعالى: يعمد علماء العقائد إلى إثبات صفات الله تبارك وتعالى بأدلة عقلية، وأقيسة منطقية، وأن ذلك حسن، لأن العقل أساس المعرفة، ومناط التكليف، وحتى لا يكون في نفس أحد أثر من آثار الشبهات والأباطيل، ولكن الأمر أوضح من ذلك، ووجود الخالق تبارك وتعالى وإثبات صفات الكمال المطلق له صار في حكم البديهيات التي لا يحتاج إلى إثباتها دليل أو برهان، ولا يطالب بالدليل عليها إلا كل مكابر مريض القلب لا يجديه دليل، ولا تنفع معه حجة [٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): « مذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث

(١) انظر: سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٥٦-٥٧.

(٢) المصدر السابق ص٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعرف مقصود المتكلم بكلامه؛ لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة: فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإنَّ الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه» [1].

فإن الله جلَّ وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق ثابت لا شك فيه. إلاّ أن صفة رب السموات والأرض أعلا وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين.

فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه، فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله! سبحانك هذا بهتان عظيم، ومن ظن أن صفة ربه تشبه شيئاً من صفة الخلق، فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ إِذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨).

(١) مجموع الفتاوى – ابن تيمية ج٥ ص ٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

المشابهة بين صفات الله تعالى وصفات الخلق

لعلَّ هذه القضية العقدية مثار جدل فيما بيَّنه الإمام البَنّا (رحمه الله) فيها وما يجب أن يتفطن إليه المؤمن، حيث أوضح أن اختلاف المعنى الذي يُقصد باللفظ في صفات الله تبارك وتعالى، يختلف اختلافاً كلياً عن المعنى الذي يُقصد بهذا اللفظ عينه في صفات المخلوقين.

ويضرب مثلاً لتوضيح مقصوده من ذلك، فيقول: «الله عالم، والعلم صفة لله تعالى، وتقول: فلان عالم والعلم صفة لفلان من الناس، وكذلك الحياة، وكذلك السمع، وكذلك البصر، وكذلك الكلام، وكذلك القدرة والإرادة، فهذه كلها مدلولات الألفاظ فيها تختلف عن مدلولاتها في حق الخلق من حيث الكمال، والكيفية اختلافاً كلياً؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه»[1].

وبهذا فإنَّ الإمام البَنّا (رحمه الله) يؤكد بما لا يدع مجالاً لمريب أو مرتاب في بيان أن الاختلاف في المعنى بين الصفات في حق الله والصفات في حق المخلوقين من حيث الكمال والكيفية، فتفطن لهذا المعنى فإنه دقيق!

أما عن تنزيه الله تعالى عن النقائص:

فإنَّ تنزيه الله – جل شأنه – عن كل ما لا يليق بكماله، فهو سبحانه متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص، والقرآن يعبر عن اتصافه تعالى بكل كمال بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، ومن أصول التنزيه في عقيدة الإسلام: ألا يوصف الله بالنقائص التي يوصف بها البشر، سواء كانت من أوصافهم الجبلية مثل: الموت والنوم والنسيان والجهل والندم ونحوها، أو من أوصافهم المكتسبة مثل: الظلم والكذب وإخلاف الوعد وعدم الوفاء بالعهد ونحوها[2].

أما عن التشابه: ومن جهة أخرى يُلاحظ من خلال ما سبق إيراده للإمام البَنّا، أنه قال: «وما يلحق بذلك من التشابه» ولم يقل من المتشابه كما قرأها البعض، ثم أنه وضح ماذا يقصد بالتشابه، أي بين صفات الخالق وصفات المخلوقات[3].

---

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث– جمعة عبد العزيز ص٦٧.

(٢) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص١٩.

(٣) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية– توفيق الواعي ص١٠٧– ١٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا وممن صرح بمثل هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ، فقال: «ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه، ونؤمن بمتشابهه؛ لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا – كما أخبر أن في الجنة لحماً ولبناً وعسلاً وخمراً ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظاً ومعنى، ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته، فأسماء الله تعالى وصفاته أولى، وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ولا حقيقته كحقيقته»[1].

فلا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق المسميات، ولا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق الأسماء ومقتضياتها، فليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، ولا الرأفة كالرأفة، ولا الرحمة كالرحمة، ولا العزة كالعزة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق.

(١) مجموع الفتاوى ج٣ ص٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

التفويض في الصفات

نجيب على سؤالين مهمين في هذا المطلب وهما ما المقصود بالتفويض في اللغة وفي الاصطلاح؟، وما أنواع التفويض؟

المقصود بالتفويض:

هو جعل التصرف إلى المفوض، فالتفويض رد الأمر إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة وأصله لغة رد الأمر إلى الغير لينظر فيها، والتفويض أن يقال لنبي أو ولي احكم بما تشاء، قال صاحب القاموس: التفويض في رد الأمر إلى المفوض وجعله الحاكم فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤)، وقال النووي: قال أهل اللغة، فوض إليه الأمر أي وكله ورده إليه، وفي الاصطلاح الشرعي للتفويض: لا يخالف المعنى اللغوي[١].

أنواع التفويض: التفويض أنواع ثلاثة:

النوع الأول: التفويض الصريح: وهو ما لم يكتف فيه بمجرد السكوت عن تفسير هذه النصوص، فمجرد السكوت لا يقطع بأن الساكت قد فوض، إلا أن تصاحبه قرينة تجعل دلالته على التفويض قاطعة أو راجحة، ومن ذلك ما إذا اقترن بالسكوت الأمر بالسكوت، فهذه دلالة قاطعة على إرادة التفويض، وقد ورد عن كثير من العلماء نهيهم عن الخوض في هذه النصوص وتفسيرها والسؤال عنها، واعتبار من فعل ذلك مبتدعاً، فهذا الإمام مالك يقول: «والسؤال عنه بدعة» أي عن الاستواء ويقول: «وإياكم والبدع» قيل يا أبا عبد الله: ما البدع ؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون»[٢]. وهذا أبو العباس ابن سريج[٣] (ت٣٠٣هـ) وقد اعتبره بعضهم: مجدد المائة الثالثة – يقول «إن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة»[٤].

---

(١) التعاريف للجرجاني ج١ ص١٩٥.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص١١٩، فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٧٣.

(٣) ابن سريج: الامام، شيخ الاسلام، فقيه العراقين (يعني: البصرة والكوفة)، أبو العباس، أحمد بن عمر ابن سريج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات، ولد سنة بضع وأربعين ومئتين، وسمع في الحداثة، ولحق أصحاب سفيان بن عيينة، ووكيع. [انظر: سير أعلام النبلاء ج١٤ ص ٢٠١].

(٤) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك إذا اقترن بالسكوت الحاجة إلى الكلام، كأن يسأل عنها فلا يجيب، كما قال أبو عبيد: «إنا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها، وما أدركنا أحداً يفسرها»[1].

النوع الثاني: التفويض القريب من الإثبات: فإنَّ من بعض المفوضين من يحمل كلامه التفويضي قرائن ودلائل تقربه بعض الشيء من المثبتين إلى حد أن قد يختلط مقصوده بمقصودهم، وهذا من شأنه أن يلقي الضباب ويعتم الرؤية، فقد لا يستطيع الباحث أن يميز بسهولة المفوضين هؤلاء من المثبتين.

فمثلاً بعض المفوضين تجري على ألسنتهم المصطلحات التي يعنى بتأكيدها المثبتون كلفظ (الصفة) ولفظ (بلا كيف) ولفظ (تجري على ظاهرها) فهذه الألفاظ دلائل الإثبات، لولا ما يصرفها من القرائن، ولذلك نرى المثبتين يستدلون بهذه الألفاظ على أن قصد المتكلم بها الإثبات لا التفويض.

ونحو هذا قول الشيخ إسماعيل الصابوني حيث سرد كثيراً من الصفات الخبرية، ثم قال بعد: «بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقال رسوله ﷺ من غير زيادة عليه، ولا إضافة ولا تكييف ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه، بتأويل منكر، ويجرونه على ظاهره، فإذا بقي اللفظ على ظاهره وعلى ما تعرفه العرب، وتضعه عليه: كان هذا إثباتاً لا تفويضاً، لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (آل عمران: ٧) »[2].

النوع الثالث: التفويض القريب من التأويل: التصريح بنفي الظاهر وأنه لا يمكن أن يكون مراداً لله ثم يحجمون عن تعيين المراد وهذا الذي أطلق عليه اسم التأويل الإجمالي وقد صرح بنفي ظاهر هذه النصوص كثير من العلماء مع اختيارهم لمبدأ التفويض وهذا هو الذي نسبه الإمام النووي إلى جمهور السلف وبعض المتكلمين، حيث يقول: «مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين: أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ص٣٥٥، انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- القرضاوي ص٧٣.

(٢) عقيدة السلف وأهل الحديث للصابوني ص١٠٧، فصول في العقيدة بين السلف والخلف- القرضاوي ص٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مراد، ولا يتكلم في تأويلها، مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق[1].

كما نسب هذا إلى السلف وكثير من العلماء: ابن كثير، حيث قال في تفسير آية الاستواء على العرش: "وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث ابن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله"[2].

وفي ذلك يعقب الشيخ القرضاوي بقوله: إن دعوى أن الظاهر وحده هو ما تدل عليه النصوص: غير مسلمة ولا مقبولة، بل قد يكون الأقرب إلى لسان العرب هو المعنى الكنائي أو المجازي. وقال: النزاع مع شيخ الإسلام فيما دلت عليه هذه النصوص، أئذا قلنا في معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (الطور: ٤٨)، أي بحفظنا ورعايتنا وكلئنا نكون قد خرجنا عما دلت عليه: ؟ كلا بل الراجح هو هذا، وهو المقصود من: دون إثبات الأعين لله تعالى، وكذلك إذا قلنا في قوله تعالى:﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٨)، إن معناها أن كل شيء تحت سلطان قدرته وتصرفه، نكون قد خرجنا عن دلالة: ؟ كلا!![3].

ومن مظاهر الدنو من مسلك التأويل عند بعض أهل التفويض هو: ذكر أقوال المؤولين عند تفسير: أو شرح الحديث، دون إنكار عليها، بل قد يدخلها ضمن أقوال أهل الحق، أو السلف أو نحو هذا، ولكنه لا يقطع هو بالمراد منها، ومن تتبع شرح الإمام النووي لصحيح مسلم يرى ذلك جلياً، ولنضرب على ذلك مثالاً واحداً: عند شرح النووي لحديث النزول قال: «وهذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين: أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٦، انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- القرضاوي ص٧٨.

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص٢١١.

(٣) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي، أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه: تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا، إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف والله أعلم[1] إن هذا المنحى يفسر لنا أن النووي يرضى مبدأ التأويل، ولكنه لا يجزم به، وقد يكون ذلك لورعه واحتياطه.

ونحو هذا فعل ابن الجوزي (رحمه الله) فهو يقول: «وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها، وما يؤمن هؤلاء – أي المثبتين للظواهر – أن يكون المراد بالوجه الذات، لا أنه صفة زائدة وعلى هذا فسر: المحققون فقالوا: ويبقى ربك. وقالوا في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ (الأنعام: ٥٢)، يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقول رَسُولِ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» [2] أن الأصبع لما كانت هي المقلبة للشيء، وأن ما بين الأصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف يشاء، والذي أراه: السكوت عن هذا التفسير أيضاً، إلا أنه يجوز أن يكون مراداً» فاختياره للسكوت هنا لا لبطلان التأويل وإنما لعدم القطع به[3].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٧، فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه– كتاب القدر– باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم(٢٦٥٤) ج٤ ص٢٠٤٥.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي: ٨٧– ٨٨، فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

شبهة التفويض التي أثيرت حول عقيدة الإمام البَنّا (رحمه الله)

من الشبه التي أثيرت حول عقيدة الإمام البَنّا (رحمه الله) شبهة التفويض، حيث استغل بعض المنتسبين إلى العلم قوله جهلاً وسفهاً، في تلك المسألة: «ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله – تبارك وتعالى– أسلم وأولى بالاتباع، حسماً لمادة التأويل والتعطيل»[1]، فقالوا عن الإمام البَنّا (رحمه الله) : إنه يفوض في المعنى، وليس في الكيف، وليس هذا هو مذهب السلف؛ لأن الله تعالى لا يخاطبنا بما لا يُعقل معناه، وهم أي السلف يفوضون الكيف لا المعنى.

وقبل الخوض في تفاصيل وحيثيات تلك الشبهة، ونقرر حقيقة قول الإمام البَنّا (رحمه الله) من التفويض الذي عناه من أنه لم يكن بالمعنى المذموم، وإنما هو تفويض الكيفية وحقيقة المعنى بحق الخالق، وليس المعنى على الإطلاق! ومما يثبت أن مراد الإمام البَنّا (رحمه الله) هو تفويض الكيفية أنه علق على بعض آيات الأسماء والصفات وذكر معانيها مثل قدم الله تعالى وبقائه، ومثل علمه سبحانه وتعالى، وقيام الله تعالى بنفسه، وكذلك بعض صفات الذات كالوجه والعين واليد والاستواء على العرش والعلو والقدم والفرح و غيرهما، فلو كان يقصد تفويض المعنى لما تكلم عن تفصيل آيات الصفات والأسماء كما في رسالة (العقائد)[2].

معرفة المعنى غير معرفة الحقيقة: فإنَّ معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في القلب: غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام، فإنَّ الشيء له ورود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البيان، فالكلام لفظ له معنى في القلب، ويكتب ذلك اللفظ بالخط، فإذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر عنه باللسان، فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج، وليس كل من عرف الأول عرف عين الثاني [3].

ولكن وفي مناقشة تلك العبارة التي أجمل فيها الإمام البَنّا (رحمه الله) موقفه من تلك القضية الشائكة والتي كانت مثار نزاعٍ طويلٍ في عصره– في إجازٍ وإحكامٍ، نسأل بداية سؤالاً:

---

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث– جمعة عبد العزيز ص٨٧.

(٢) انظر: دعوة الإخوان (حقائق، شبهات، تمنيات) – الشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين ص٩٣–٩٤.

(٣) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما حقيقة مذهب السلف، تفويض أم إثبات؟ وهذا سؤال مهم، بل هو في غاية الأهمية، وهي حقيقة مذهب السلف، أهي الإمساك عن الخوض في معاني هذه الصفات، وتجنب تفسيرها، وتفويض معانيها المردة منها إلى الله عز وجل، وهذا يسمى: مذهب التفويض.

أم الحقيقة هي إبقاؤها على ظاهر ما جاءت به، مع نفي التكييف والتمثيل؟ وهذا ما يسمى: مذهب الإثبات.

الواقع أن من يقرأ ما ورد عن السلف من عبارات مأثورة حول هذه الآيات، يتبين من أكثرها أنها تترك الخوض في معانيها، ولا تتكلف تفسيرها بعبارة من العبارات.

وهذا كان واضحاً وشبه متفق عليه قبل ظهور شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته، وحملهم على التفويض ومن يقول به، وتمسكهم بالإثبات وتبنى دعوى أن السلف لم يقولوا إلا بـ(الإثبات)[١].

وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث، على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها[٢].

فقد روى الإمام اللالكائي[٣] الحافظ عن محمد بن الحسن قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب، على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه» [٤].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي (رحمه الله) تعالى في (عقيدته) الشهيرة «وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه»[٥].

---

(١) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٤٠- ٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٤٤.

(٣) اللالكائي(٠٠٠ - ٤١٨ هـ = ٠٠٠ - ١٠٢٧ م) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي: حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية. من أهل طبرستان. استوطن بغدا وخرج في آخر أيامه إلى الدينور: فمات بها كهلا. قال الزبيدي (في التاج) : نسبته إلى بيع "اللوالك" التي تلبس في الارجل، على خلاف القياس. له " شرح السنة " مجلدان، وكتاب في " السنن " لعله الذي سماه بروكلمن " حجج أصول أهل السنة والجماعة - خ " و " أسماء رجال الصحيحين " و " كرامات أولياء الله - خ " وغير ذلك.انظر: الأعلام للزركلي - (٨ / ٧١).

(٤) نقله عنه الذهبي في العلو- ١٥٩- مختصر، والإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٤ ص٤-٥. انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٤٥.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية- ابن أبي العز الحنفي ص١٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن العجيب أن نجد في أقوال ابن تيمية : ما يوافق هذه الوجهة من السكوت وعدم الخوض والتفسير، وذلك في قوله عن السلف : «ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها، ولا تأولوه، ولا شبهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية.. بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا: أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه ..

ثم يستشهد بقول محمد بن الحسن: «اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بما جاء في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك، فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة.. الخ» [١].

وهذا خلاف ما هو معروف عن ابن تيمية من شدة إنكاره على التفويض وذمه وتبديعه، ولعل هذا القول كان في مرحلة من حياته[٢].

وقال الإمام الترمذي في الكلام على حديث الرؤية: المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال: كيف، ولا نفسر، ولا نتوهم[٣].

وقال السيوطي في الإتقان (فصل) من المتشابه آيات الصفات. ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد نحو–الرحمن على العرش استوى –كل شيء هالك إلا وجهه – ويبقى وجه ربك – ولتصنع على عيني – يد الله فوق أيديهم – والسماوات مطويات بيمينه. وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى[٤]، وهذا (تفويض في المعنى).

وينقل الشيخ إسماعيل الصابوني في كتابه «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» عن الإمام مالك أنه قال: «إياكم والبدع قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة ولتابعون» [٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ج٥ ص٥٠.

(٢) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٧٢.

(٣) الإتقان في علوم القرآن– للسيوطي ج٢ ص٩٥٨، انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– القرضاوي ص٤٥.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٧.

(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص١١٩، انظر: فصول في العقيدة– يوسف القرضاوي ص٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك ما جاء عن ابن قدامة في لمعة الاعتقاد حين عرض لمسألة الصفات، وتلقيها بالتسليم والقبول أشار إلى ترك التعرض إلى معناها، ورد علمها إلى قائلها. وهذا (تفويض في المعنى) [١].

وقال الشيخ مرعي: اعلمَ أيدني الله وإياك بروح منه أن من المتشابه صفات الله تعالى فإنه يتعذر الوقوف على تحقيق معانيها، والإحاطة بها، بل على تحقيق الروح والعقل القائمين بالإنسان[٢].

ومن هنا نجد من السلف من فوض في أمر (الصفات الخبرية) ووكل علمها إلى الله سبحانه وعبروا عن ذلك بـ(عدم الخوض) فيها أو (عدم التفسير) لها أو (السكوت عنها)، هذا واضح غاية الوضوح لمن تأمل الأقوال والروايات الكثيرة المأثورة عن السلف في هذا المجال، ولم يمل بها إلى تأييد مذهب اعتقده.

فهذه النقول الثابتة والوفيرة من المصادر الموثقة والمعتمدة فإنها تثبت حقيقة مذهب السلف الذي توجه موقف الكثير من علمائه المعتبرين – كما ذكرنا سالفاً– إلى الإمساك عن الخوض في معاني هذه الصفات، وتجنب تفسيرها، وتفويض معانيها المرادة منها إلى اللهَ عز وجل، وهذا يسمى: مذهب التفويض.

وإما إلى الحقيقة وهي إبقاؤها على ظاهر ما جاءت به، مع نفي التكييف والتمثيل، وهذا ما يسمى: مذهب الإثبات.

وقد أطلنا في هذه القضية النقل نظراً لأن إخواننا من السلفيين يرفضونها رفضاً قاطعاً، ويعدُّون السكوت أو التفويض من البدع المنكرة، برغم كثرة الروايات وثبوتها ووضوحها كالشمس في ضحى النهار[٣].

ولنا الآن أن نسأل هؤلاء المعترضين، هل هناك خلاف بين ما قاله الإمام البَنّا (رحمه الله)، وما قاله هؤلاء الأعلام من أئمة السلف– رضوان الله عليهم أجمعين– خصوصاً أنه ألزم نفسه برأيهم؟!

---

(١) اللمعة بشرح ابن عثيمين ص٢٠

(٢) أقاويل الثقات: ٦٤– ٧٠.

(٣) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٦٦–٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا قالوا: إنما أرادوا الكيف وليس المعنى، قلنا لهم: ولماذا لم تحملوا كلام الإمام البَنّا (رحمه الله) الذي قال بقولهم على نفس المحمل؟!

ولنا أن نسأل هؤلاء: إذا كان في المسألة أكثر من رأي لأهل العلم المعتبرين، فهل يجوز الإنكار فيها كما هو معروف في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمور المختلف فيها بين العلماء؟! (١).

والإجماع على أنه لا يجوز الإنكار في الأمور المختلف فيها بين الأئمة، وإنما يكون هناك الإرشاد بالدليل بين العلماء بعضهم مع بعض فقط، هذا من جانب، ومن جانب آخر: إن المنهج العلمي يقتضي فهم العبارة ملتئمة مع سائر النصوص، والأقوال دون أخذها مجتزأة.

فقد جاءت العبارة منكرة، وليست معرفة فهي لا تعني المذهب المذكور، ولكنها استعملت بمعناها اللغوي بمعنى عدم الخوض في كيفية الاستواء أو غيره من الصفات، وترك ذلك إلى الله تعالى، فإذا أضيف إلى ذلك أن الإمام البَنّا (رحمه الله) أكد ترجيحه لمذهب السلف، وارتضاءه له، واستشهاده بأقوالهم، وأن هذه العبارة وردت في كلام غيره من الأعلام فإنه بمعين فهم مراده على هذا الوجه.

واليك بعضاً من نصوصه في هذه المسألة؛ لنصل إلى فهم النص المذكور، قوله: «قد علمت أن مذهب السلف في الآيات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى أن يمروها على ما جاءت عليه، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها، وأن مذهب الخلف أن يؤولوها بما يتفق مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه» (٢).

كما إنه صرح بمراد الكيفية تصريحًا بيناً في قوله: «وصفات الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم كثيرة، وكمالاته تبارك وتعالى لا تتناهى، ولا تدرك كنهها عقول البشر، سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه»(٣).

وبين قائلاً: «وإنما علم الله تبارك وتعالى علم لا يتناهى كماله ولا يعد علم المخلوقين شيئا إلى جانبه، وكذلك الحياة، وكذلك السمع، وكذلك البصر، وكذلك الكلام، وكذلك القدرة والإرادة، فهذه

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص١١٧.

(٢) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٨٦.

(٣) المصدر السابق ص٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلها مدلولات الألفاظ فيها تختلف عن مدلولاتها في حق الخلق من حيث الكمال والكيفية اختلافاً كلياً؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه.

فتفطن لهذا المعنى فإنه دقيق، وإنما حسبك أن تعلم آثارها في الكون، ولوازمها في حقك، والله نسأل العصمة من الزلل وحسن التوفيق»[١].

ويصرح الإمام البَنّا (رحمه الله) جلياً بمقصوده من التفويض، فيقول: «فهذه كلها مدلولات الألفاظ فيها تختلف عن مدلولاتها في حق الخلق من حيث الكمال والكيفية اختلافاً كليا؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه» [٢].

والقاعدة العلمية فيما يشكل من لفظ فإنه يرد إلى ما أحكم منه، وأكد ارتضاءه منهج السلف وتعويله عليه بقوله: «فإن كنتَ ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان، وأثلج صدره ببرد اليقين، فلا تعدل به بديلاً وجعله أسلم وأولى بالاتباع، حسماً لمادة التأويل والتعطيل» [٣].

وعند احتجاجه بأقوال السلف ذكر منهم اللالكائي في أصول السنة، ونقل عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ونقل عن الخلال في كتاب السنة نصوصا عن أحمد بن حنبل، ثم نقل عن مالك بن أنس، وذكر أبو بكر الأثرم وأبو عمرو الطلمنكي وأبو عبد الله بن بطة.. وغيرهم من الأئمة الأثبات الذين ساروا على نهج السلف الصالح.

وأشار إلى ذلك ابن تيمية فقال: « وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر ههنا إلا قليلاً منه؛ مثل كتاب السنن للالكائي والإبانة لابن بطة والسنة لأبي ذر الهروي والأصول لأبي عمرو الطلمنكي وكلام أبي عمر بن عبد البر والأسماء والصفات للبيهقي وقبل ذلك السنة للطبراني ولأبي الشيخ الأصبهاني ولأبي عبد الله بن منده ولأبي أحمد العسال الأصبهانيين..»[٤].

فأين هذا من التفويض، إذاً؟ من مجموع هذه النصوص يتضح أن مراد الإمام البَنّا (رحمه الله) هو تفويض الكيفية لا المعنى.

---

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٦٧.

(٢) انظر: المصدرالسابق ص٨٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه ص٨٧.

(٤) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج٥ص٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على أن العبارة التي اشتد فيها النكير وفسرنا مراده فيها قد جاءت في كلام الأئمة ممن هم على منهج السلف الصالح[١].

فيتلخص موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من آيات الصفات وأحاديثها بإثبات صفات الله تعالى على الحقيقة، أي: بالإقرار والإمرار بلا تأويل ولا تشبيه مع التفويض للكيفية وحقيقة المعنى المراد منها.

وهذا ما قال به عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب معتقدهم في باب الأسماء والصفات – بجواب أوسع من الجواب السابق – فيقول جواباً عن اعتقادهم في آيات الصفات: «الذي نعتقده والذي ندين الله به، هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأربعة، وأصحابهم رضي الله عنهم أجمعين، وهو الإيمان بذلك والإقرار به وإمراره كما جاء من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل..

وممن سبيلهم في الاعتقاد: الإيمان بصفات الله تعالى، وأسمائه التي وصف بها نفسه، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها، ولا نقصان منها ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين بل أمروها (في نسخة الكتاب : أقروها) كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها صادق لا شك في صدقه، فصدقوه، ولم يعلموا حقيقة معناها(أي لم يعلموا كيفية الصفات الإلهية) فسكتوا عما لم يعلموه، وأخذ ذلك الأخر عن الأول، ووصى بعضهم بعضاً بحسن الاتباع، والوقوف حيث وقف أولهم، وحذروا من التجاوز لها والعدول عن طريقهم، وبيّنوا لنا سبيلهم ومذاهبهم، وحذرونا من اتباع طريق أهل البدع والاختلاف..» [٢].

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية– توفيق الواعي ص١١٥.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية– عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ج١ص٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

موقفه من الخلاف في آيات الصفات وأحاديثها

حرص الإمام البَنّا (رحمه الله) أن يقرر حقيقتين مهمتين لتقف سداً منيعاً أمام موجات الخلاف التي تستجر من بطون الكتب ومن رفات التاريخ؛ لتنخر في الصف الإسلامي وتشغله عن قضاياه المعاشة:

الحقيقة الأولى: ليس بيننا في حقيقة الأمر خلاف كالذي كان بين الفلاسفة والسلفيين في القديم؛ فلا معنى لإحياء هذا الخلاف من جديد، وأولى لنا جميعاً أن نترك ذلك الدور بما كُتب فيه، وما كان من أهله في ذمة التاريخ، ونرجع جميعاً في ديننا إلى المعين الأصلي الذي مازال وسيظل صافياً نقياً لا تكدره الحوادث، ولا ينال منه الزمن ولا يزعزعه الخلاف، ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة.

الحقيقة الثانية: أن ننصرف في صف مؤمنٍ قوي موحدٍ إلى معالجة مشاكل عصرنا، ودعوة الناس إلى محاسن هذا الدين وجلاله، وتقوية معسكرنا معشر المنادين بالإسلام فوق كل المعسكرات؛ حتى يكون له النفوذ الفكري والعملي؛ فيعود للإسلام ما كان له من هيمنة على الأرواح والأعمال»[1].

حيث فرق (رحمه الله) بين العقيدة وبين الشبهات التي أثيرت حول بعض أمورٍ منها، حتى لا تدرس هذه الشبهات على أنها عقيدة، ومن هذه الشبهات ما أثير حول موضوع الإيمان بصفات الله تعالى وأفعاله.

ولقد انقسمت الآراء حول هذه المسألة إلى أربع فرق حررها الإمام البَنّا (رحمه الله) بقوله: «انقسم الناس في هذه المسالة على أربع فرق:

١. فرقة أخذت بظواهرها كما هي، فنسبت لله وجوها كوجوه الخلق، ويداً أو أيدي كأيديهم، وضحكا كضحكهم، وهكذا حتى فرض بعضهم الإله شيخاً، وأخرين فرضوه شابًا، وهؤلاء هم المجسمة والمشبهة، وليسوا من الإسلام في شيء، وليس لقولهم نصيب من الصحة، ويكفي في الرد عليهم، قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)،

---

(١) مجلة المنار ١٣٥٨هـ أغسطس ١٩٣٩م المجلد الخامس والثلاثون. إجابة سؤال سائل حول آيات الصفات- انظر: نظرات في رسالة التعاليم- محمد الخطيب، ومحمد حامد ص٢١-٣٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقولـــه تعـــالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص).

٢. فرقة عطلت معاني هذه الألفاظ على أي وجه، يقصدون بذلك نفي مدلولاتها مطلقا عـــن الله تبارك وتعالى، فالله تبارك وتعالى عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، لأن ذلـــك لا يكـــون إلا بجارحة، والجوارح يجب أن تُنفى عنه سبحانه، فبذلك يعطلـــون صـــفات الله تبـــارك وتعـــالى ويتظاهرون بتقديسه، وهؤلاء هم المعطلة، ويطلق عليهم بعض علماء تاريخ العقائد الإســـلامية: (الجهمية)، ولا أظن أن أحداً عنده مسحة من عقل يستسيغ هذا القول المتهافت، ولقد ثبت الكـــلام والسمع والبصر لبعض الخلائق بغير جارحة، فكيف يتوقف كلام الحق تبـــارك وتعـــالى علـــى الجوارح ؟! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فيعقب الإمام البَنّا (رحمه الله) على هذين المذهبين، بقوله: هذان رأيان باطلان لا حـــظّ لهما من النظر، وبقي أمامنا رأيان هما محل أنظار العلماء في العقائد، وهما رأي الســـلف ورأي الخلف» [١].

ثم بعد ذلك يورد الإمام البَنّا (رحمه الله) المذهبَين اللذين لهما حظ مـــن النظـــر، وهمـــا مذهبا السلف والخلف، فيقول (رحمه الله) : «مذهب السلف- رضوان الله علـــيهم - فـــي آيـــات الصفات وأحاديثها، فقالوا: نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت، ونترك بيان المقصود منهـــا لله تبارك وتعالى، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب.. الخ، وكل ذلك بمعانٍ لا ندركها، ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها، ولاسيما وقد نهينا عـــن ذلـــك، مـــع قطعهم رضوان الله عليهم انتفاء المشابهة بين الله وبين الخلق»[٢].

وبعد ذلك يستعرض الإمام البَنّا (رحمه الله) أقوال السلف في تلك المسألة مؤصـــلاً مـــا نسبه لمذهب السلف، ثم يعقب بقوله: «اعلم رحمك الله أن العصمة في الدين تنتهي حيث انتهـــى بك، ولا تجاوز ما قد حدد لك.

فإنَّ من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة، وســـكنت إليه الأفئدة، وذُكر أصله في الكتاب والسنة، وتوارث علمه الأمة فلا تخافنّ في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيناً، ولا تكلفن بما وصف من ذلك قدرًا، وما أنكرته نفسك، ولم تجـــد

---

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٧٦-٧٧.

(٢) المصدر السابق ص٧٨-٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكره في كتاب ربك، ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت كما صمت الرب عنه من نفسه، فإنَّ تكلفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل إنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظِم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف نفسه!

والراسخون في العلم، والواقفون حيث انتهى بهم علمهم، والواصفون لربهم بما وصف به نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدًا، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً، لأن الحق ترك ما ترك وسمّى ما سمّى، ومن ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء:١١٥) ، وهب الله لنا حكماً وألحقنا بالصالحين»[١].

وبهذا القول الفصل يتضح موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) الذي يعقب به على أقوال السلف بعد تقريره فيما ذهبوا إليه في مسألة آيات لصفات وأحاديثها، لا يدع مجالاً لمرتاب بإقراره (رحمه الله) له بصوابيته: فهو الأسلم والأحكم والأنفع.

ثم بعد ذلك يورد ما ذهب إليه الخلف في آيات الصفات وأحاديثها، فقال:

«**فأما الخلف فقد قالوا:** إننا نقطع بأن معاني ألفاظ هذه الآيات والأحاديث لا يُراد بها ظواهرها، وعلى ذلك فهي مجازات لا مانع من تأويلها، فاخذوا يؤولون (الوجه) بالذات و(اليد) بالقدرة.. وما إلى ذلك هرباً من شبهة التشبيه»[٢].

ثم يورد نماذج من أقوالهم في تلك المسألة كمنهجية علمية سليمة حتى لا يقول قائل بأنه ينسب قولاً لغير قائله.

نذكر منها: قال أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي في كتابه (دفع شبهة التشبيه) قوله تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧)، قال المفسرون: ويبقى ربك، وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (الكهف: ٢٨)، أي يريدونه.. وقال فخر الدين الرازي في كتابه أساس التقديس: «واعلم أن نصوص القرآن لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه: الأول أن ظاهر قوله تعالى ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ (طه: ٣٩)، يقتضي أن يكون موسى مستقرًا على تلك العين ملتصقاً

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث– جمعة عبد العزيز ص٨٠.

(٢) المصدر السابق ص٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بها مستعلياً عليها وذلك لا يقوله عاقل، والثاني أن قوله تعالى ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ (هود: ٣٧)، يقتضي أن تكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين، والثالث أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لابد من المصير إلى التأويل وذلك أن تحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة»[١].

وبعد العرض لما ذهبت إليه الفرق الإسلامية في تلك المسألة، وقد استثنى من الوضع تحت دائرة النظر والمناقشة المذهبين الأولين اللذين أوردها من باب الاستقصاء لكل ما قيل في المسألة.

ثم حدد دائرة الخلاف فيما هو قائم في عصره بين ما ذهب إليه السلف والخلف رضوان الله عليهم جميعا، فقال معقباً: «لو بحثتَ الأمرَ لعلِمتَ أنَّ مسافةَ الخُلْف بين الطريقتين لا تحتمل شيئاً من هذا لو ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرفَ والغلوَّ، وأنَّ البحثَ في مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ، هي التفويض (حقيقة المعاني) لله تبارك وتعالى»[٢].

ثم يعرض الإمام البَنّا (رحمه الله) خلاصة بحثه، فيقول: «إن السلف والخلف قد اتفقوا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق، وهو تأويل في الجملة، واتفقوا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز، فانحصر الخلاف في تأويل الألفاظ بما يجوز في الشرع، وهو هين كما ترى، وأمر لجأ إليه بعض السلف أنفسهم، وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، والله حسبنا ونعم الوكيل»[٣].

الخلاف فيها لا يوجب كفر ولا فسوق:

وفي أواخر رسالة العقائد بعد أن رجح مذهب السلف في موضوع الصفات، يقول الإمام البَنّا (رحمه الله) : «ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٨٢-٨٣.
(٢) المصدر السابق ص٨٥.
(٣) المصدر نفسه ص٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فسوق، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله.. وقد لجأ أشد الناس تمسكاً برأي السلف، رضوان الله عليهم، إلى التأويل في عدة مواطن» [١].

أما وقد وقع الكثيرون في المراء الذي لا يأت بخير، وتنابزوا بالألقاب، وتقاذفوا التهم بينهم، وكلاهما ينشدان الحق، فإنَّ هذا لمنكر عظيم، فقال: «أما هل يجوز للفريقين أن يتقاذفا بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة، وأن تذاع هذه البحوث على العامة؟ فذلك ما لا أقرهما عليه ولا أوافقهما فيه، وفي لين القول وحسن الخطاب مندوحة، وهذه بحوث دقيقة أولى بها أن تكون بين أهل العلم في حلقهم الخاصة ومجالسهم المحصورة.. فإنَّ كان ولابد من الكلام في هذه المباحث فليكن ذلك في قول لين، وفي حث هادئ، حتى لا تسري عدوى الخلاف والتهاتر من الخاصة إلى العوام، وفي ذلك فساد كبير كما هو مشاهد في البلاد التي تشتد فيها العصبية لبعض الآراء»[٢].

ثم يعقب فيقول ما قد يثار من مزايدات حول هذا الرأي في تلك المسألة وما سيقال حول هذا الكلام من أن العقيدة أساس كل إصلاح!

فيجيب على كل تلك التساؤلات أو المبررات التي يسوقها من أدمن الغوص في مستنقعات الخلاف المذموم: «وأحب أن أقول لمن يدور بفكره أو على لسانه وقلبه مثل هذا القول: احترس أيها الأخ من خداع الألفاظ ومزالق الأسماء.

فالعقيدة شيء والخلاف في بعض المسائل التي لا يمكن لإنسان أن يعرف حقيقتها شيء آخر، وأحكام الدين التي هي عامة للناس جميعاً شيء، والأسلوب الذي تؤدي به وتقدمه للناس شيء غيرها، والخصومة والغضب للدين شيء، وخلق هذه الخصومة وإثارة الفتنة بها شيء آخر، أفلا يكون هذا من الجدل المنهي عنه.. فهل بعد ذلك مذهب لذاهب أيها الإخوان؟» [٣].

ثم يرد الإمام البَنّا (رحمه الله) على من أنكر عليه التوفيق بين الفريقين، فيقول: «وأما العمل على التوفيق بين الفريقين فنعما هو، وما أحبه إلى النفس، وما أعظم فائدته، وإنا لمحاولون ذلك إن شاء الله، وأعتقد أن كثيرًا من المختلفين لو التقى بعضهم ببعض وتركوا طريقة التحاور الكتابي إلى طريقة التفاهم الشفهي؛ لأنتج هذا التعارف خيرًا كثيرًا، ولأدى إلى

---

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٨٧.

(٢) مجلة المنار ١٣٥٨هـ أغسطس ١٩٣٩م المجلد الخامس والثلاثون. إجابة سؤال سائل حول آيات الصفات- انظر: نظرات في رسالة التعاليم، محمد الخطيب، ومحمد حامد ص٢١-٣٣٠. المصدر السابق ص٨٨.

(٣) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث- جمعة عبد العزيز ص٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حل كثيرٍ من الخلافات في هدوء، وفي توفير الوقت والمجهود، وحينئذ يستطيع كل رئيس جماعة أن يتقدم إلى جماعته برأي موحد أو بفكرة عامة؛ فيؤدي ذلك إلى الوَحْدة المنشودة إن شاء الله، وسنترقب الفرصة المناسبة لمثل هذا الإجماع فنعمل على تحقيقه إن شاء الله والله حسبنا ونعم الوكيل»[1].

فهل خالف في ذلك الإمام البَنّا (رحمه الله) رأي السلف؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التكفير، فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه – ومن تبين له الهدى واتبع غير سبل المؤمنين فهو كافر– ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهوعاصٍ مذنب، ثم قد يكون فاسقًا، وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته، فـ (التكفير) يختلف بحسب اختلاف حال الشخص فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرًا؛ بل ولا فاسقاً بل ولا عاصياً» [2].

وقال الإمام البَنّا أيضا: «هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين (شخص بعينه) إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقاً، وعاصياً أخرى. وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العلمية.

وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد، لا بكفر ولا بفسق، ولا بمعصية.. إلى أن قال: وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «**إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ المَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي فِي اليَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، أَوْ رَاحٍ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتَكَ، فَغَفَرَ لَهُ**[3]»[4].

---

(١) مجلة المنار ١٣٥٨هـ أغسطس ١٩٣٩م المجلد الخامس والثلاثون. إجابة سؤال سائل حول آيات الصفات– انظر: نظرات في رسالة التعاليم– محمد الخطيب، ومحمد حامد ص٢١–٣٣٠، سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث– جمعة عبد العزيز ص٨٨.

(٢) مجموع الفتاوى– ابن تيمية ج١٢ ص١٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأبناء باب حديث الغار، رقم (٣٤٧٩) ج٤ص١٧٦.

(٤) مجلة المنار ١٣٥٨هـ أغسطس ١٩٣٩م المجلد الخامس والثلاثون. إجابة عن سؤال سائل حول آيات الصفات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك.

قال: (والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا» [1].

لا أكفر المؤولين ولا أذمهم: هذا ما ذهب إليه الدكتور العلامة يوسف القرضاوي فقال: «رغم ترجيحي لمذهب السلف في مسألة الصفات، لا أكفر الخلف المؤولين، ولا أضللهم ولا أؤثمهم، فإنَّ الخلاف في ذلك أمر تقبله لغة العرب، وتحتمله النصوص القرآنية والنبوية.

ومما لا نزاع فيه: أن هؤلاء المؤولين من علماء الإسلام الأعلام، الذين لا يرتاب أحد في إخلاصهم ونصحهم لله ولرسوله ولكتابه، وهم يؤمنون بالله تعالى ووحدانيته، وباتصافه بكل كمال، وتنزهه عن كل نقص، كما يؤمنون بالنبوة وبالآخرة، وبأن القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. فلا يضرهم أن يخالفوا في بعض العقائد الفرعية، بناء على اجتهادهم في فهمها، وكل من اجتهد في معرفة دين الله من أهل العلم الطالبين للحق، فهو دائر بين الأجر والأجرين، الأجر إن أخطأ والأجرين إن أصاب، لا فرق في ذلك بين المسائل العلمية والعملية، الأصولية والفروعية، كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما»[2].

فإنَّ ما وقع به بعض المعاصرين استنكارهم منهج الإمام البَنّا (رحمه الله) من التوفيق بين السلف والخلف في مسألة الصفات، مثل قول العالم الفاضل عمر سليمان الأشقر (رحمه الله) في كتابه (العقيدة في الله) معلقاً في إحدى الحواشي على الذين حاولوا التقريب بين الفريقين من السلف والخلف، منكراً عليهم إنكاراً شديداً!

وهذا نص تعليقه: «حاول بعض المعاصرين كالشيخ حسن البَنّا والشيخ حسن أيوب وغيرهما أن يهونوا من خطيئة هؤلاء الذين عرفوا باسم الخلف، وأن يقربوا بين وجهة السلف والخلف، ولكن الحقيقة التي يجب أن تظهر وتدرك: أن مذهب الخلف الزاعمين أن ظاهر الصفات غير مراد المؤولين لها: مذهب بعيد عن الصواب، ولا لقاء بينه وبين مذهب السلف ولا يشفع لهم حسن نيتهم، فحسن النية لا يجعل الباطل حقاً» [1].

---

(١) مجموع الفتاوى: نقلاً القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى- محمد صالح ابن عثيمين:٩١- ٩٨.

(٢) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص١٤٤.

(١) العقيدة في الله- عمر الأشقر ص ٢٤٥، فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص١٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعقب فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي بقوله: "أعتقد أن أخانا الدكتور عمر قد غلا في نقده لهؤلاء العلماء والدعاة الذين حاولوا أن يقربوا المسافة بين الطرفين، ثم يأخذ على عبارته عدة أمور:

أولها: أنه أعدَّ تأويل الخلف (خطيئة) ولم يعدُّه مجرد خطأ علمي، ولم يعده مما يدخل في اجتهاد العلماء الذين يؤجرون عليه إن أخطأوا، سواء كان في المسائل العلمية والأصولية أم في المسائل العلمية والفروعية، كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والمحقق ابن القيم.

وثانيها: إنه أشار إلى هؤلاء الخلف بما يوحى إلى القارئ بتحقيرهم والتهوين من أمرهم، كمَّاً وكيفاً وكأنهم لا في العير ولا في النفير، والحقيقة غير ذلك لكل دارس لتراث الأمة، ويعرف أقدار حملة ميراث النبوة.

ثالثها: أعدَّ مذهب الخلف بعيداً عن الصواب، وأنه لا لقاء بينه وبين مذهب السلف، وأن أصحابه لا يشفع لهم حسن نيتهم، فحسن النية لا يجعل الباطل حقاً.

وكنت أود أن يكتفي بترجيح مذهب السلف على مذهب الخلف ولا يرميه بأنه (باطل) من أساسه كأن لم يقل به هؤلاء الأئمة الكبار وكأنهم اخترعوا قولاً ليس له أصل في الدين ولا في اللغة ولا في العقل.

وقد وجدنا من السلف من أول، كما ذكرنا ذلك في موضعه، كما وجدنا التأويل يجرى على سنن العرب في مخاطبتهم التي تشمل المجاز والاستعارة والكناية وقد جاء خطاب القرآن جارياً على نهجهم.

كما أن ما ذهب إليه الدكتور من أن حسن نية المخطئ لا يشفع له: مذهب عجيب، يحمل العالم الباحث عن الحق إثم ما أخطأ فيه، وهو لم يرد ببحثه إلا الوصول إلى الصواب وخدمة الدين، وتجليه الحقيقة، ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته.

وهذه النية مع الاجتهاد والتحري هي التي تجعل له الأجرين إذا أصاب والأجر الواحد إذ أخطأ. وقد وجدنا ذلك عند كثير من المصلحين قبل الإمام البَنّا (رحمه الله)، كما نقلت عن الشيخ رشيد رضا، والشيخ جمال الدين القاسمي، وغيرهما ولكل مجتهد نصيب وإنما لكل امرئ ما نوى[1].

(١) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص١٥٣-١٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موجبات ترجيح مذهب السلف[1]:

١. **قصور العقل الإنساني:** إن العقل الإنساني قاصر عن إدراك كنه صفات الله تعالى، كما هو قاصر عن إدراك ذاته، فمن المحال أن يدرك المخلوق كنه الخالق ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠).

٢. **لا أمان من الخطأ في التأويل:** أننا لا نأمن – إذ خضنا لجة التأويل، وصرفنا النصوص بإطلاق عن ظواهرها إلى معان نراها نحن بعقولنا أليق بكمال الله سبحانه– أن ننسب إلى الله تعالى من الأوصاف ما لم يرده، وننفى عنه من الصفات ما لم يرد نفيه، وبذلك نكون من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، والقول على الله بغير علم من أعظم المنكرات التي ذمها القرآن وحرمها، وعدها مما يأمر به الشيطان، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨) وقال تعالى ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٦٨).

٣. **الخشية من اتخاذ التأويل ذريعة للتحريف:** إن السلف يخشون من فتح باب التأويل خشية إتخاذه ذريعة لدخول الزنادقة والملاحدة وأعداء الإسلام الذين يريدون أن يهدموه من الداخل، كالباطنية ومن دار في فلكهم من الفلاسفة، ومنحرفي المتصوفة، وغلاة الفرق، ويعطيهم سنداً، في صرف آيات الكتاب عن مدلولاتها وظواهرها، كالذين أولوا آيات البعث والحشر والجنة والنار، وما فيها من نعيم حسي أو عذاب حسي، بأن المراد بها بعث روحاني لا تعاد فيه الأجسام، ولا تجمع العظام، ولا تنعم أو تعذب فيه الأبدان، وكالباطنية الذين صرفوا معاني الأركان الإسلامية من الصلاة والزكاة والصيام والحج، وغيرها من معانيها الأصلية الواضحة لكل ذي لب من خاص وعام، إلى معان اخترعوها، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من الدين والعلم برهان، وبذلك بدلوا كلام الله وحرفوا الكلم عن مواضعه، وبذلك فقدت اللغة مهمتها في البيان والإفهام.

٤. **الاتفاق على أن مذهب السلف أسلم:** أن مذهب السلف أسلم بالإجماع، لأن فيه إثبات ما أثبته الله تعالى، ونفى ما نفاه في كتابه وعلى لسان رسوله، مع الجزم بنفي التكييف والتشبيه عن

(١) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص١٣٣– ١٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:١١).

وأن مذهب المؤولين من الخلف لا يخلو عن الخطر، والمؤمن في باب العقائد لا يعدل بالسلامة شيئاً وخصوصاً فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته فلا ينبغي أن يلج باب التأويل إلا في أضيق الحدود، لضرورة نفي المحال عن الله تعالى، وبشرط أن يكون التأويل قريباً غير بعيد.

٥. **الاعتصام بالمتفق عليه أولى من المختلف فيه:** وهذا الوجه مبنى على ما سبقه، ومن أن مذهب السلف في التسليم حسب ما ذكرناه مسلم به ومتفق عليه من الجميع، بمعنى أن أنصار الاتجاه السلفي من الأثريين يؤمنون به، بل لا يدينون الله تعالى إلا به، وإن الخلف من أنصار التأويل كذلك يقبلونه ولا يرفضونه، بل يصرحون بأن أسلم في أمر الدين.. فمن كان عنده خياران: أحدهما مجمع عليه بين الأطراف، والآخر اختلفوا فيه، فخيار الإجماع أحق وأولى بالإتباع.

٦. **رجوع كبار المؤولين إلى مذهب السلف:** ولعل ما يؤيد ما قلناه في ترجيح مذهب السلف: أنا وجدنا عدداً من كبار الذين خاضوا لجج التأويل، ونصروا مذهب الخلف، عادوا في أواخر أعمارهم إلى محجة السلف، وأيدوا وجهتهم، معلنين أنهم وجدوا في هذه الطريقة ما يشفى علتهم، وينقع غلتهم، على حين لم نجد أحداً من دعاة المنهج السلفي رجع إلى المنهج الخلفي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

دعاوى المناوئين لموقف الإمام البَنَّا (رحمه الله) من البدعة والابتداع

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة البدعة.

المطلب الثاني: بدعة التكفير.

المطلب الثالث: بدعة التصوف.

المطلب الرابع: دعوى في مسائل اتهم البَنَّا بابتداعها.

المطلب الخامس: موقفه من ادعاء معرفة الغيب.

المطلب السادس: موقفه من التمائم والودع والرقى.

www.manaraa.com

المطلب الأول

حقيقة البدعة[1]

يبين الإمام البَنّا (رحمه الله) أن البدع والمبتدعين ليس لهم في الإسلام نصيب، وأن البحث في مسالة البدعة من أعضل البحوث في أحكام الإسلام، حيث يقول: «إن للمبتدعين في الإسلام بل في كل دين أسوأ الآثار، وفي الأخذ بالسنة والسير على نهجها الواضح هو أفضل منار يهتدي به المسلمون.

ولكني أحب أن يلاحظ أن هذا البحث، بحث البدعة والسنة، من أعضل البحوث في أحكام الإسلام لا يقطع فيه ببادئ الرأي، فهو مضلة الأقوام، ومزلة العقول والأفهام، والناس فيه بين مُفرِط ومُفرِّط، اللهم إنا نسألك العصمة من الزلل، والتسديد في القول والعمل، بل لابد من نظر دقيق وإحكام تام في القواعد والتطبيق، وكم زلت فيه أقدام الفحول من السابقين واللاحقين»[2].

فما معنى البدعة التي اعتبرها النبي ﷺ ضلالة في الدين؟

فالابتداع هو اختراع على غير ما كان عليه الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين المهديين الذين أمرنا أن نتبع سنتهم[3].

البدعة مجالها الدين: وقد تحدد من خلال هذا التعريف، أن البدعة مجالها الدين، وليس مجالها الدنيا، فهي طريقة في الدين مخترعة، والدليل على أنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**[4]» أي مردود على صاحبه، كما ترد العملة الزائفة على صاحبها. وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات.

---

(١) أصل كلمة (بدعة) مأخوذة من (بدع) و(ابتدع) يعني اخترع شيئاً على غير مثال سابق فهي: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبُّد لله سبحانه.نظر: الاعتصام- للشاطبي ج ١ ص٣٦، ٣٧.

(٢) نشر في مجلة الإخوان المسلمين- السنة الأولى- العدد ١٠، ص١٥-١٦- ٢٥ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ / ١٧أغسطس ١٩٣٣م- سلسلة من تراث الإمام البَنّا، الفقه والفتوى- جمعة عبد العزيز ص١٦٥.

(٣) السنة والبدعة- يوسف القرضاوي ص١٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الصلح- باب إذا اصطلحوا على صلح جور، رقم (٢٦٩٧) ج٣ ص١٨٤. وأخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الأقضية- باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨) ج٣ ص١٣٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالابتداع: إذا لا يكون إلا في الدين، ومن هنا يخطئ من يظن الابتداع في أمور العادات. أيضاً يحصل الخطأ هنا بالنسبة لأفعال النبي ﷺ، فبعض الناس يظن أن كل ما فعله النبي ﷺ سنة، مع أن العلماء قالوا: السنة منه ما فعله على وجه التقرب إلى الله تعالى.

فالدين توقيف من الله يجب أن يبقى مصوناً منزهًا عن عبث العابثين وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ولذلك يجب أن نقف في هذه الأمور عند حدود ما ورد، ونعرف الذي قصدت سنِّيته، وقصد فيه القربة إلى الله تعالى، وما جاء على طريق العادة، أو على طريق الجبلة (أي الطبيعة).

ولو أن إنساناً اتبع ما كان يفعله النبي ﷺ ولو لم يكن على وجه القربة، لكمال حبه للنبي ﷺ وحرصه على إتباع كل شيء أثرِ عنه، فهذا أيضاً يُحمد له، وإن لم يُطلب منه.

الاختراع ينبغي أن يكون في شؤون الدنيا: فالإسلام إذاً يريد من أتباعه ومن أهله أن يقفوا في أمر الدين عندما ورد وأن يوفروا طاقتهم الإبداعية للابتكار في شؤون الدنيا، وهذا ما فعله السلف – رضوان الله عليهم– ووقفوا عند حدود الوارد في أمر الدين، عند حدود المأثور عند المسلمين، وبذلوا طاقتهم وجهودهم في الابتكار لتحسين أمور الحياة.

أما مجال الابتداع الحقيقي، فهو الدنيا وشؤونها، وما أوسعها وما أكثر ما تحتاج إليه من طاقات الافتنان والابتكار، ولهذا حين انتكس المسلمون وساءت حالهم، وفسد أمرهم، وانحَلّ مجتمعهم، أصبح الأمر الطبيعي عندهم معكوسًا والوضع مقلوبًا، فوقفوا في شؤون الدنيا جامدين كالحجارة أو أشد جمودًا، لا يبتكرون ولا يخترعون ولا يكتشفون، شعارهم: ما ترك الأول للآخر شيئاً!! وأما في الدين فاخترعوا وابتدعوا من صور التعبد ما لم يأذن به الله ولم يُنَزل به سلطانًا.

إن بعض المسلمين في بعض الأزمنة قد ابتدعوا في دينهم ما لم يأت به كتاب ولا سنة، ولكنهم وجدوا في كل عصر من يجهر فيهم بالحق، ويَرُدُّهم إلى سواء الصراط، ويُحْيي فيهم السُنَّة ويطارد البدعة، تصديقًا لوعد الله الذي وعد به هذه الأمة الخاتمة على لسان رَسُولِ اللَّهِﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[1].

(١) رواه أبو داود في سننه– كتاب الملاحم– ما يذكر في القرن المائة، رقم (٤٢٩١) ج٤ ص ١٠٩. والحاكم في مستدركه رقم (٨٥٩٢) ج٤ص٥٦٧. وصححه الألباني في الجامع الصحيح وزياداته رقم (١٨٧٤) ج١ص٣٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما كان له أصل في الشرع لا يُعد بدعة: إنما لو كان له أصل في الشرع فلا يكون بدعة. هناك أشياء اخترعها المسلمون لها أصل في الشرع، مثل: كتابة القرآن وجمعه في مصحف واحد، كما فعل ذلك أبو بكر ﷺ بإشارة عمر ﷺ.

وقد كان هناك مانع إذن منع النبي ﷺ من أن يجمع القرآن، فلما استقر القرآن بموته ﷺ، أمن الصحابة من زيادة القرآن ونقصه، فعملوا على كتابة القرآن وجمعه في مصحف واحد. إذا هذا العمل له أصل في الشرع يدل عليه، فلا يعدُّ بدعة[١].

ومن ذلك ما فعله عمر ﷺ في جمع الناس في رمضان على إمام واحد يصلي بهم التراويح، فَقَالَ عُمَرُ: «**إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ أَمْثَلَ» ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: «نِعْمَ البِدْعَةُ[٢] هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ[٣]**».

وكلمة (البدعة) هنا في قول عمر ﷺ (نعمت البدعة هذه) بالمعنى اللغوي وليس بالمعنى الشرعي، لأن البدعة من الناحية اللغوية هي كل ما اخترع على غير مثال سبق في صورته. فعمر ﷺ هنا يقصد أن الناس لم يجتمعوا بهذه الصورة قبل ذلك.

وإن كان أصل الاجتماع قد حدث في عهد النبي ﷺ؛ لأنه كان يرغّب في القيام، وصلى الناس وراءه أكثر من ليلة، ثم لما رأى الناس قد كثروا لم يخرج إليهم، فلما أصبح قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ[٤]**».

فهذه الخشية.. خشية أن ينزل الله إيجاب هذا الأمر وفرضيته، زالت بموت النبي ﷺ فزال المانع إذا[٥].

---

(١) انظر: السنة والبدعة: يوسف القرضاوي ص١٢- ٢٠.

(٢) قال الشاطبي: إنما سماها نعمة باعتبار ظاهر الحال، من حيث تركها رسول الله ﷺ، واتفق أنها لم تقع في زمان أبي بكر ﷺ، لا أنها بدعة في المعنى، فمن سماها بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي. الاعتصام ج١ ص١٩٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه- كتاب صلاة التراويح- باب فضل من قام رمضان، رقم (٢٠١٠) ج٣ص٤٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الهجد- باب تحريض النبي ﷺ عى صلاة الليل، رقم (١١٢٩) ج١ ص٥٢٤. ومسلم في كتاب صلاة المسافرين- باب الترغيب في قيام رمضان، رقم (٧٦١) ج١ ص٥٢٤.

(٥) قال الشاطبي رحمه الله: فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله ﷺ رجع الأمر إلى أصله، كونها سنة الاعتصام ج١ ص١٩٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المهم أن معنى (مخترعة) ألّا يكون لها أصل في الشرع يدل عليها. ومن هنا دوَّن السلف العلوم الشرعية، وابتكروا علوماً لخدمتها، مثل: علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وعلوم اللغة ونحوها[١].

مضاهاة الطريقة الشرعية: ثم قال الإمام الشاطبي في التعريف: «تضاهى الشرعية»، أي أنها تشابه الطريقة الشرعية، من غير أن تكون في الحقيقة كذلك.

هناك أشياء يخترعها الناس ليس لها في الشرع أصل، إنما لها في الشرع وجه شبه، لأن فيها نوعاً من التعبد، فيها مضاهاة للطريقة الشرعية وتشبهها بوجه من الوجوه، وهذا هو الذي يحسنها عند المبتدعين وعند أتباعهم، لأنه لو لم يكن لها شبه بطرق الشرع لرفضها الناس، إنما هم يحسنونها بأن فيها شبهاً بالطرائق الشرعية[٢].

البدعة يُقصد بها المبالغة في التعبد: ثم قال في التعريف: «يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى، يعني الذين يبتدعون البدع يقصدون عادة المبالغة في التقرب إلى الله، لأنهم لا يكفيهم ما جاء به الشرع، ويريدون الزيادة عليه، كأنهم يستدركون على الشرع، كأنهم يكملون نقصه فيبتدعون شيئاً من عندهم، فهذه هي البدعة في الدين، والبدعة بهذا المعنى ضلالة، كما جاء في حديث العرباض بن سارية: «**فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٣]، ما قاله الحديث الشريف: «فإنَّ كل بدعة ضلالة» ونقصد بالبدعة المعنى الذي حقّقه الإمام الشاطبي في هذا التعريف: «البدعة طريقة في الدين مخترعة، ولا أصل لها في الشرع، ولا أساس لها، لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ولا من مقياس ولا من مصلحة مرسلة ولا من دليل من هذه الأدلة التي قال بها فقهاء المسلمين»[٤].

---

(١) انظر: السنة والبدعة: يوسف القرضاوي ص٢٣.

(٢) المرجع السابق ص٢٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه – كتاب الجمعة – باب تخفيف الصلاة، رقم (٨٦٧) ج٢ ص٥٩٢.

(٤) السنة والبدعة– يوسف القرضاوي ص٢٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

بدعة التكفير

إنَّ عقيدة السلف لمن شَهِدَ شهادة الحق بيقينٍ وظُهُور، لا يُخرِجُهُ منها إلا يقينٌ مماثل لذلك مع إقامة الحجة ودرء الشبهة، فالسلف يفرقون بين الحكم المطلق على المخالفين بالمعصية أو الفسق أو الكفر، وبين الحكم على شخص معين، ممن ثبت إسلامه بيقين، ثم صدرت منه هذه البدع فلا يحكمون عليه بأنه فاسق أو عاص أو كافر حتى تقوم عليه الحجة، وتزول عنه الشبهة، كما يفرقون بين نصوص الوعيد المطلقة وبين استحقاق شخص بعينه لهذا الوعيد في أحكام الآخرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «التكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة.

وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها. وفي الحديث الذي في الصحيحين: في الرجل الذي قال عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ - أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ - فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ**»[1].

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِي، بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكنه كان جاهلاً، لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا»[2].

ولكن ما قد يتكئ عليه الكثير من المكفرة هو حديث الافتراق المشهور الذي رواه عوف ابن مالك ﷺ وغيره من الصحابة حيث قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى**

---

(١) البخارى في صحيحه- كتاب احاديث الأنبياء- باب حديث الغار، رقم (٣٢٩٤) ج٣ ص١٢٨٣.

(٢) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج٣ ص٢٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً[1]».

والمتأمل في هذا الحديث يلحظ الفارق بين فقه الصحابة وفقه من بعدهم، فالصحابة –رضوان الله عليهم– كانت عنايتهم بمعرفة الفرقة الناجية وصفاتها للتشبه بها، ولهذا سألوا النبيﷺ عن صفة تلك الفرقة، وكان السائل عمر بن الخطاب كما جاء مصرحاً به في رواية جابر، أما من بعدهم فقد شغلوا بالفرق الهالكة، والعلم بالفرق المنحرفة أمر مطلوب شرعاً، ولذلك كان حذيفة ﷺ يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه.

إلا أن الواجب على المسلم أن يعرف من طرق أهل الضلال الأصول التي ينطلقون منها والمناهج التي يسلكونها ومعرفة أسباب زيغها وانحرافها والرد عليها وبيان فسادها أما التعمق في أقاويلها وتفصيلاتها والفروق الدقيقة بينها فلم يُكلفنا الله به.

وهنا نأتي إلى مسألة هامة تتعلق بهذا الحديث، قد اتخذها بعض الضالين متكئاً للتكفير، وإخراج جميع المخالفين عن الملة، وهي: هل هذه الفرق المذكورة في الحديث كافرة أو لا؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد من بيان عدة أمور:

أولاً: المراد بقوله ﷺ: « **وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ** » هنا أمة الإجابة[2] لا أمة الدعوة[3]، ففرق اليهود والنصارى لا تدخل في عدَّ هذه الفرق.

ثانياً: قوله عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، هذه الجملة دليل على أن هذه الفرق ضالة مجانبة للحق، ومستحقة للوعيد بالنار، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم.

ثالثاً: الحديث لا دلالة فيه على التكفير، أو أن هذه الفرق مخلدة في النار؛ لأن الوعيد بالنار لا يقتضي الخلود فيها، فالكلام في البدع كالكلام في الكبائر وقد توعد النبي ﷺ بالنار على كثير من الذنوب التي لا يختلف أهل الحق على عدم التكفير بمجردها كالقتل، وإباق العبد من مواليه المسلمين، والرغبة عن الآباء.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه– كتاب الفتن– باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩٣) وقال الألباني في الحاشية (صحيح) ج٢ ص١٣٢٢. وأحمد في مسنده من طريق أنس بن مالك، رقم (١٢٤١٩) ج١٩ص٤٦٢.

(٢) أمة الإجابة: كل من انتسب إلى الإسلام وإن كان مرتكباً للبدعة (وإن كانت مكفرة).

(٣) أمة الدعوة: كل من كُلف باتباع النبي ﷺ من الثقلين سواء آمن به أولم يؤمن به، فكل من كان موجوداً من بعثة النبي ﷺ فهو مكلف باتباعه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يؤيد ذلك: أنه عليه الصلاة والسلام جعل هذه الفرق من الأمة حيث قال: «**وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**» فجعل الاثنتين وسبعين فرقة من أمة محمد ﷺ، وهذا يعني أنهم مسلمون في الجملة، والأصل أن المسلم باقٍ على إسلامه فلا يخرج منه إلا بيقين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك سائر الاثنتين وسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن، ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله ﷺ في الباطن لم يكن كافراً في الباطن، وإن أخطأ في التأويل كائناً ما كان خطؤه، وقد يكون في بعضهم شعبة من شُعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار.

ومن قال: إن الاثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يُكفر كفراً ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم، بل إجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس منهم من كفر كل واحد من الإثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضا ببعض المقالات»[1].

موقف الإمام حسن البَنّا من التكفير: رفض تكفير مَن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، مواجهاً بذلك الغلاة، الذين لا يرون في المجتمعات الإسلامية، وفي عقائد المسلمين المعاصرين إلا شوائب الكفر والجاهلية؛ فيحكمون بها على الأمة، أو على النظم والحكومات والمجتمعات، فيقدم في مواجهة هؤلاء الغلاة المشروع الحضاري التجديدي للموقف الإسلامي الأصيل والمتوازن.

فقال في رسالة التعاليم: «ولا نكفر مسلماً أقرَّ بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض، برأي أو بمعصية، إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر»[2].

وبهذا الموقف الواضح والقول الفصل يتوافق تماماً مع ما سبق بيانه لموقف أهل السنة من قضية التكفير، إذ يطلقون القول في التكفير، فيقولون: من قال كذا، أو فعل كذا؛ فهو كافر، وعندما يتعلق الأمر بالشخص المعين الذي قاله أو فعله، لا يحكمون على كفره إطلاقاً؛ حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، فعندئذ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذه قاعدة

---

(١) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج٧ ص٢١٨.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عظيمة يتميزون بها عن غيرهم؛ لأن التكفير ليس حقاً لأحد، يحكم به على من يشاء على وفق هواه؛ بل التكفير حكم شرعي، فيجب الرجوع في ذلك إلى ضوابط الشرع؛ فمن كفره الله تعالى ورسوله ﷺ وقامت عليه الحجة؛ فهو الكافر.

وللشيخ عبد العزيز بن باز مقال، قال فيه: «اطلعت على الجواب المفيد القيم الذي تفضل به صاحب الفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني المنشور في جريدة الشرق الأوسط وصحيفة (المسلمون) الذي أجاب به فضيلته من سأله عن تكفير من حكم بغير ما أنزل الله من غير تفصيل، فألفيتها كلمة قيمة قد أصاب فيها الحق، وسلك فيها سبيل المؤمنين، وأوضح أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يكفر من حكم بغير ما أنزل الله بمجرد الفعل من دون أن يعلم أنه استحل ذلك بقلبه، واحتج بما جاء في ذلك عن ابن عباس-رضي الله عنهما- وغيره من سلف الأمة، ولا شك أن ما ذكره في جوابه في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، هو الصواب، وقد أوضح أن الكفر كفران أكبر وأصغر، كما أن الظلم ظلمان، وهكذا الفسق فسقان أكبر وأصغر، فمن استحل الحكم بغير ما أنزل الله أو الزنا أو الربا أو غيرهما من المحرمات المجمع على تحريمها فقد كفر كفراً أكبر، ومن فعلها بدون استحلال كان كفره كفراً أصغر وظلمه ظلماً أصغر، وهكذا فسقه»[1].

فإنَّ خطورة سلاح التكفير يكمن في سحب الاعتراف بالإيمان بالله، وهو عملية إقصاء من جماعة المسلمين، فهل ترى في الأدبيات السياسية القائمة في وسطنا السياسي تنزها عن تهمة التكفير؟! وإن المسلمين منهيون نهياً دينياً شديداً عن حمل هذا السلاح، وحامله أكثر الناس تعرضاً للإصابة به، ولذلك يشفق الأتقياء من ذلك، لأن من كفر من لا يستحق الكفر استحقاقاً كاملاً مؤكداً يقينياً، فقد باء هو بالكفر؛ ولذلك كانت اللغة التي تسود بين العلماء:(أصبت) أو أخطأت، وليس كفرت أو آمنت؛ لأن الأحكام التي تترتب عليه كثيرة، في الدنيا والآخرة، أحكام في الزواج، أحكام في الإرث والدفن، وهي أحكام خطيرة، وقد تنالها أحكام الردة.

فمن الذي يملك الحق أو صلاحية الإقرار بمن يستحق التكفير استحقاقاً كاملاً مؤكداً يقينياً؟ العالم بالدين، ثم إن مهمة المسلم أن يكون داعياً، أي متقناً وممارساً لفن استمالة الناس

(١) مقال نشرته جريدة الشرق الأوسط، للشيخ عبد العزيز بن باز في عددها (٦١٥٦) بتاريخ ١٤١٦/٥/١٢هـ).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإسلام، وليس إقصاءهم عنه، فتلك مهمة القضاة والعلماء، وليست مهمة الدعاة والمناضلين الإسلاميين[1].

فالتكفير من أخطر الأحكام، هو عمل قضائي وليس عملاً سياسياً، ولا هو من مجالات الجدل الفكري، لذلك وجب الامتناع عن ممارسة هذا الاختصاص من طرف غير المختصين، حتى لا يتلاعب بالدين، وتنقلب مهمة الدعاة إلى قضاة، أما سلاح الدعاة الذي ينبغي أن يشهروه في وجه خصومهم، هو سلاح الحجة والبرهان، وتقديم الخدمات، والإحسان للناس، والصبر عليهم، والمسارعة إلى تفريج كروباتهم[2].

ويمكن تلخيص الموقف من افتراق الأمة في مسألة التكفير إلى ثلاث طوائف. طائفتان ضلَّتَا، وطائفة هي الوسط وهي التي على سبيل الجماعة، وهذه الطوائف الثلاث هي:

الطائفة الأولى: من كَفَّرَ بكل ذنب، وجعل الكبيرة مُكَفِّرَةً وموجبةً للخلود في النار، وهؤلاء الخوارج والمعتزلة وطوائف من المتقدِّمين ومن أهل العصر ممن يَشْرَكُهُمْ في هذا الأصل والعياذ بالله.

الطائفة الثانية: من قالت: إنَّ المؤمن لا يمكن أن يخرج من الإيمان إلا بانتزاع التصديق القلبي منه وحصول التكذيب، وهؤلاء هم المرجئة وهم درجات وطوائف أيضاً، وهذا مبني على أصلهم في أنَّ الإيمان هو تصديق القلب فلا ينتفي الإيمان عندهم إلا بزوال ذلك التَّصديق.

الطائفة الثالثة: وهم الوسط الذين نهجوا ما دَلَّتْ عليه الأدلة، وأخذوا طريقة الأئمة التي اقتفوا فيها هدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، فقالوا: إنَّ المِلِّيَّ والوَاحِدَ من أهل القبلة قد يخرج من الدين بتبديله في الدين ومفارقته للجماعة بقولٍ أو عملٍ أو اعتقادٍ أو شك، وهذا هو الذي أورده الأئمة في باب حكم المرتد، ويدخل في قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة: ٥٤)، وقالوا: إنَّ هذا يدخل في تبديل الدّين الذي قال فيه رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[3] ونحو ذلك، فدل ذلك على أنَّ المؤمن المسلم قد يحصل منه ردَّةٌ. وهذه الردة لها شروطها ولها موانعها بتفصيلٌ لهم في كتب الفقه في باب حكم المرتد، فعند أهل السنة والجماعة: لا يُتَسَاهَلْ في أمر التكفير بل يُحذَّرْ منه ويُخوَّفْ منه.

---

(١) انظر: حوارات قصي صالح الدويش- راشد الغنوشي ص٢٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٢٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الجهاد والسير- باب لا يعذب بعذاب الله، رقم (٣٠١٧) ج٤ ص٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأيضاً لا يَمْنَعُونَ تكفير المُعَيَّنِ مُطْلقاً؛ بل من أَتَى بقول كفري يخرجه من الملة أو فِعْلٍ كفريٍ يُخْرِجُهُ من الملة أو اعتقاد كفري يُخْرِجُهُ من الملة أو شك وارتياب يُخْرِجُهُ من الملة، فإنه بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع يَحْكُمُ عليه العالم أو القاضي بما يجب من الردة ومن القتل بعد الاستتابة في أغلب الأحوال[1].

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ج٢٦ ص١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

بدعة التصوف[1]

التصوف طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح، وعلم التصوف مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم[2].

وإن النزعة إليه أصيلة في النفس البشرية، وأن اتساع المدارس الصوفية استقطبت ملايين الأمة الإسلامية شرقًا وغرباً وليس الطريق الصحيح أن نعالج الخطأ برفض القضايا العادية والفطرية والنزعات الروحية الأصيلة، ولكن الطريق هو تحرير الخير من دخنه بلغة الحق الخالص والحق أمضى سلاحاً وهو وحده الذي يحسم الخطأ، ونحن نرغب في هذه الرسالة وغيرها أن نضع الأمور في مواضعها على أمل أن نفتح طريق المستقبل للمسلمين بحيث تنطلق أمورهم كلها من الكتاب والسنة على ضوء الفهم الحق والعمل الحق[3].

أما وقد اتهم المتحاملون على الإمام البَنّا (رحمه الله)، الانغماس في التصوف البدعي! فإننا سنعرض ما قاله الإمام البَنّا (رحمه الله) ومما تذرعوا به، ونذكر من آرائه ما يرد هذا الاتهام، ثم ندع للقارئ الحكم على هؤلاء بعد ذلك.

الآن تعالوا بنا نستعرض ما قاله الإمام البَنّا (رحمه الله) عن الطريقة الحصافية، وعن مشاركته فيها وهو في الثانية عشرة من عمره، وقد أعجب باستقامة جماعة الحصافية.

فيقول: «كانت أيام دمنهور ومدرسة المعلمين أيام الاستغراق في عاطفة التصوف والعبادة، وكان سنِّي إذ ذاك من الرابعة عشرة إلا أشهرًا إلى السابعة عشرة إلا أشهرًا» [4].

وأضاف قائلاً: «وأخذت أواظب على الوظيفة الرزوقية صباحاً ومساءً، وزادني بها إعجاباً أن الوالد قد وضع عليها تعليقاً لطيفاً، جاء فيه بأدلة صيغها جميعاً تقريباً من الأحاديث الصحيحة، وسمى الرسالة «تنوير الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الرزوقية»، ولم تكن هذه الوظيفة

---

(١) صُوفيّ [مفرد]: جمع صُوفيَّة- اسم منسوب إلى صُوف-«أقمشة صوفيَّة». فلسفياً فهو يطلق على من يتبع طريقةَ التَّصَوُّف، سمّى بذلك لأنّه كان يفضّل لبس الصُّوف تقشُّفًا» عالمٌ صوفيّ- سلوك الصُّوفيّة يعتمد على التَّحلِّي بالفضائل. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ ص١٣٣٧.

(٢) المعجم الوسيط ج١ ص٥٢٩.

(٣) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما- سعيد حوَّى ص١٣٢-١٣٣.

(٤) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أكثر من آيات من الكتاب الكريم، وأحاديث من أدعية الصباح والمساء التي وردت في كتب السنة تقريباً، ليس فيها من الألفاظ الأعجمية أو التراكيب الفلسفية أو العبارات التي هي إلى الشطحات أقرب منها إلى الدعوات»[١].

ثم يتحدث عن مؤسس هذه الطريقة وعلمه ومنهجه من خلال كتاب: «المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي» فيقول: «كان السيد حسنين (رحمه الله) عالماً أزهرياً تفقه على مذهب الإمام الشافعي، ودرس علوم الدين دراسة واسعة، وامتلأ منها، وتضلع فيها، ثم تلقى بعد ذلك الطريق على كثير من شيوخ عصره، وجد واجتهد في العبادة والذكر والمداومة على الطاعات، حتى أنه حج أكثر من مرة، وكان يعتمر مع كل حجة أكثر من عمرة، وكان رفقاؤه وأصحابه يقولون ما رأينا أقوى على طاعة الله وأداء الفرائض والمحافظة على السنن والنوافل منه (رحمه الله) حتى في آخر أيام حياته، وقد كبرت سنه ونيف عن الستين، ثم أخذ يدعو إلى الله بأسلوب أهل الطريق، ولكن في استنارة وإشراق وعلى قواعد سليمة قويمة»[٢].

ثم يصف دعوة مؤسسها بقوله: «فإن دعوته كانت مؤسسةً على العلم والتعليم، والفقه والعبادة والطاعة والذكر، ومحاربة البدع والخرافات الفاشية بين أبناء هذه الطرق، والانتصار للكتاب والسنة –على أية حال – والتحرز من التأويلات الفاسدة والشطحات الضارة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة –على كل حال –حتى إنه غير كثيرًا من الأوضاع التي اعتقد أنها تخالف الكتاب والسنة، مما كان عليه مشايخه أنفسهم»[٣].

ثم يبين سبب إعجابه بمؤسس هذه الدعوة فيقول: «وكان أعظم ما أخذ بمجامع قلبي، وملك علي لبي، من سيرته شدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه كان لا يخشى في ذلك لومة لائم، ولا يدع الأمر والنهي مهما كان في حضرة كبير أو عظيم»[٤].

هي تلك المعاني العملية التي ملكت على الإمام البَنّا (رحمه الله) نفسه التي امتلأت بالإعجاب والتقدير لشيخ الطريقة الحصافية.

فقال: «هذه الناحية هي التي أثارت في نفسي أعظم معاني الإعجاب والتقدير، وكان الإخوان يكثرون من الحديث عن كرامات الشيخ الحسية، فلم أكن أجد لها من الوقع في نفسي بعض ما

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية– الإمام حسن البَنّا ص٢٣.

(٢) المصدر السابق ص٢٣.

(٣) المصدر نفسه ص٢٣–٢٤.

(٤) المصدر نفسه ص٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أجده لهذه الناحية العملية، وكنت أعتقد أن أعظم كرامة أكرمه الله بها هي هذا التوفيق لنشر دعوة الإسلام على هذه القواعد السليمة، وهذه الغيرة العظيمة على محارم الله- تبارك وتعالى- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكل ذلك ولم يتجاوز سني الثانية عشرة»[1].

فأين هؤلاء المفترون الذين يعيبون على الإمام البَنّا (رحمه الله) من معرفة تلك الحقائق بدلاً من قذف التهم جزافاً؟! بل إنهم يتعامون عن ذلك، ثم يقولون: لقد قال في دعوته أنها حقيقة صوفية!

نعم إنه قال حقيقة، ولم يقل طريقة، والفرق بينهما واضح بَيِّن، لمن ألقي السمع وهو شهيد، ولكننا بدورنا نسأل هؤلاء: لماذا تجاهلتم أنه ذكر أولاً: أنها دعوة سلفية، ثم طريقة سنية ثانياً، ثم قال حقيقة صوفية ثالثاً؟ ثم، هل قرأ هؤلاء ما كتبه الإمام البَنّا (رحمه الله) عن تصحيح أخطاء المتصوفة حيث يورد مفهوم التصوف عند أصحابه.

فالتصوف عند الإمام البَنّا (رحمه الله) يراد به: الزهد في الدنيا والالتفات إلى الآخرة، والاجتهاد في طاعة الله تعالى. أو يراد به تطهير النفس من أدران البشرية حتى تصف، وتشرق وتكون مرآة للحقائق الربانية، والأسرار الإلهية، أو يراد فناء العارف عما سوى الله تعالى فلا يرى موجودًا بذاته غيره. أو يراد به اتباع الرسولﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله. أو يراد به هذه المعاني كلها لتلازمها واتصالها وترتب بعضها على البعض الآخر.

وهذا المعنى هو الذي يقصده شيوخ الصوفية المحققون لا يعدلون به إلى غير ذلك، وأقوالهم في تعريف التصوف وحده تؤيد هذا القصد»[2].

ويضيف ناقداً: «وإن كان ذلك لم يخل من المبالغة في كثير من الأحيان تأثراً بروح العصور التي عاشت فيها هذه الدعوات: كالمبالغة في الصمت والجوع والسهر والعزلة، ولو وقف التطبيق العملي عند هذه الحدود التي رسمها الشارع لكان في ذلك كل الخير»[3].

ثم يبين الإمام البَنّا (رحمه الله) أثر الفلسفة، ومواريث الأمم السابقة، وما أوجده ذلك من خلط، ودخله من زيغ كل ذلك باسم التصوف، فيقول: «ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد علم السلوك والتربية، ولو وقف عند هذا الحد لكان خيرًا لها وللناس، ولكنها جاوزت ذلك بعد

(١) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٢٥.

(٢) جريدة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية في العدد ٢ السنة الأولى، الصادرة في ٢٨ من صفر سنة ١٣٥٢هـ.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العصور الأولى، حيث مُزجت بعلوم الفلسفة والمنطق ومواريث الأمم الماضية وأفكارها، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه، وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق أو ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة؛ ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد والتقشف، والرغبة في الحصول على هذه النتائج الروحية الباهرة»[1].

ثم يورد كيف تشكلت الطرق وأثر السياسة في تشكيلها، فيقول: «وجاء بعد ذلك دور التشكل العملي للفكرة؛ فنشأت فرق الصوفية وطوائفهم، كل على حسب أسلوبه في التربية. وتدخلت السياسة بعد ذلك؛ لتتخذ من هذه التشكيلات تكأة عند اللزوم، ونظمت الطوائف أحياناً على هيئة النظم العسكرية وأخرى على هيئة الجمعيات الخاصة، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه اليوم من هذه الصورة الأثرية التي جمعت بقية ألوان هذا التاريخ الطويل، والتي يمثلها الآن في مصر مشيخة الطرق الصوفية، ورجالها وأتباعها.

ولا شك في أن التصوف والطرق كانا من أكبر العوامل في نشر الإسلام في كثير من البلدان، وإيصاله إلى جهات نائية ما كان ليصل إليها إلا على يد هؤلاء الدعاة، كما حدث ويحدث في بلدان أفريقية وصحاريها ووسطها، وفي كثير من جهات آسيا كذلك»[2].

وبعد ذلك البيان المشتمل على: تحديد تطور مفهوم التصوف، والعوامل التي دعت إلى نشأته، والمؤثرات التي عكرت صفوه، والحيثيات التي تشكلت على أساسها طرقه، يذكر أثر الأخذ بقواعده على النفوس، فقال: «ولا شك أن الأخذ بقواعد التصوف في ناحية التربية والسلوك له الأثر القوي في النفوس والقلوب، ولكن هذا الخلط أفسد كثيرًا من هذه الفوائد وقضى عليها، لذا فمن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير في إصلاح هذه الطوائف من الناس، وإصلاحهم سهل ميسور، وعندهم الاستعداد الكامل له، ولعلهم أقرب الناس إليه لو وجهوا نحوه توجيها صحيحاً، وذلك لا يستلزم أكثر من أن يتفرغ نفر من العلماء الصالحين العاملين، والوعاظ الصادقين المخلصين لدراسة هذه المجتمعات، والإفادة من هذه الثروة العلمية، وتخليصها مما علق بها، وقيادة هذه الجماهير بعد ذلك قيادة صالحة»[3].

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٣٠.

(٢) المصدر السابق ص٣١.

(٣) المصدر نفسه ص٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنَّ علوم التصوف إذا: (علوم التربية والسلوك) وأنها من لب الإسلام وصميمه، ولكنه يرى أن من صالح المجتمع أن تخرج إليه تلك الفئة التي تربت هذه التربية الروحية القوية، ليكونوا مثلاً عملياً يقتدي بها الناس، وصورًا ناطقاً متحركاً للفضائل والأخلاق الكريمة يكون لها أعظم الأثر في إصلاح المجتمع، فليس أبلغ في إقناع الناس من القدوة العملية.

وطالما تمنى الإمام البَنّا (رحمه الله) أن تتخلص الطرق الصوفية من المبالغات والشوائب التي لحقتها، وأن تتعاون بجهودها مع الأزهر والجماعات الإسلامية.

فقال الإمام البَنّا (رحمه الله) : «ولو أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية، بقوة الطرق الروحية، بقوة الجماعات الإسلامية العملية، كانت أمة لا نظير لها، توجه ولا تتوجه، وتقود ولا تنقاد، وتؤثر في غيرها ولا يؤثر شئ فيها، وترشد هذا المجتمع الضال على سواء السبيل»[١].

ولهذا لو أردنا أن نختصر بكلمة جامعة مهمة دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله) في شأن العلوم الإسلامية التي ورثناها فإننا نقول: أن مهمتنا في هذه العلوم هي أن نحررها من الدخن الذي علق بها، وأن نضعها في محلها ضمن نظرية كلية في فهم الإسلام، واحتياجات المسلمين، وضرورة حركتهم الواحدة، على ضوء فهم الأئمة الأعلام الثقات [٢].

والإمام البَنّا (رحمه الله) عندما رأى ضرورة التربية الصوفية في الجانب الروحي؛ ليصل المسلم إلى الحقيقة الصوفية مع التقيد الكامل بالنصوص، هذه البديهيات أصبحت عند بعض الناس مرفوضة رفضاً مطلقاً وكأنها الباطل بعينه؛ لما اختلط به التصوف من دخن كثير، ولكن الإمام البَنّا (رحمه الله) أوجد البداية الصحيحة؛ لتصوف سلفي سني[٣].

فالتصوف علم مهم جدير الاهتمام فيه فهو علم الخشوع، فإذا كانت كتب الفقه تتحدث عن أحكام الصلاة، فإنَّ علم التصوف هو الذي يبحث عن حالة الخشوع فيها وطريقة ذلك، وإذا كانت كتب العقائد تحدثنا عن أسماء الله عز وجل وصفاته، فكتب التصوف هي التي تحدثنا عن طريقة الشعور بهذه الصفات، ومن ثم كان علم التصوف مكملاً لعلم العقائد، وعلم الفقه[٤].

رأي الإمام ابن تيمية في التصوف: تطرق الإمام ابن تيمية إلى طرق الصوفية والتصوف واختلاف الناس فيهم، فأبان ذلك بمنطق العالم الباحث الذي يعطي كل شئ حقه، فيقول: «إنهم

---

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص١٠.

(٢) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما- سعيد حوّى ص١٦- ١٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٧-٧٤.

(٤) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما- سعيد حوّى ص٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل الطاعات، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المجتهد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومنهم المنتسب إليهم وهو ظالم لنفسه عاص لربه. قد انتسب إلى الصوفية طائفة من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم»[١].

أما عن التصوف، فيقول: « إن منشأه كان من البصرة وأنه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف»[٢].

هذا هو موقف الإمام ابن تيمية، فهل خرج عن كلام الإمام البَنّا (رحمه الله)، أو هل خرج كلام البَنّا عنه؟ ويتساءل الكثيرون ولماذا التصوف ؟ ولماذا أهله ؟ وما دام الانحراف هو الغالب على الصوفية فلماذا لا نلغي شيئاً اسمه التصوف ونحاربه ونربي فقط على الكتاب والسنة؟ [٣].

لا يصح للمسلم المعاصر أن يستقبل اسم التصوف بتشنج ولا يصح للمسلم المعاصر أن يستقبل اسم السلفية بتشنج، وإنما عليه أن يكون ذا بصيرة نافذة يدرك بها جوانب الضرورة في كل دعوة، وأن يكون ذا إدراك شامل يضع به كل شيء ضمن حدوده، إن الصوفية رجال غير معصومين والسلفية رجال غير معصومين والمعصوم هو الكتاب والسنة[٤].

فإن التصوف في الأصل هو علم السلوك إلى الله عز وجل على ضوء الكتاب والسنة وعلم التحقق بالأخلاق العظيمة والتخلي عن الأخلاق الدنيئة على ضوء الكتاب والسنة هو علم التحقق بالمشاعر والعواطف الإسلامية الصادقة سواء في العقائد أو غيرها على ضوء الكتاب والسنة وهو علم من أدق العلوم وأكثرها ضرورة للإنسان وهو العلم الذي يحتاج الإمام فيه ما لا يحتاجه غيره لأنه إمام عمل، فالصلاة من حيث كون إنكارها كفراً يبحث هذا كتب العقائد

(١) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج١١ ص ١٨.
(٢) المرجع السابق ج١١ص١٦.
(٣) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما- سعيد حوّى ص٩٢.
(٤) انظر: المرجع السابق ص١٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والصلاة من حيث كونها أعمالاً وأقوالاً يبحث هذا في كتب الفقه وأما كيفية تحصيل الخشوع فيبحث هذا في كتب التصوف[1].

ومن ثم فلا مبرر لمحاربة علم التصوف ولا لإنكار وجوده حتى ولا لإنكار اسمه فهذه فتاوى ابن تيمية (رحمه الله) وهو من هو في موقفه من غلاة الصوفية، وفي موقفه من الصوفية وغيرهم صدر مجلدين من فتاواه تحت عنوان (في التصوف والسلوك) وان لابن القيم كتاباً في السلوك في ثلاثة مجلدات اسمه (مدارج السالكين) [2].

إن المتصوفة المستقيمين هم الذين ملكوا العلم الذي تتهذب به النفس البشرية أن في علاقتها مع الله عز وجل أو فيما سوى ذلك من القدرة على التعامل مع بعضهم ومع الناس.

كما إن التصوف والبيئات الصوفية هي القادرة بإذن الله تعالى على إيجاد الإنسان في كمالاته كلها، على أن يتحرر التصوف من سلبياته.

فتلك نقطة بداية في وجود الإنسان الذي يقوم بفرائض العبودية لله، وفي وجود الإنسان الذي يقدم أعظم العطاء في باب التعامل مع الآخرين؛ فيقوم بذلك مجتمع كله أدب، كله تراحم وكله عطف، وكله مودة وكله إيثار وكله لطف[3].

ثم دلنا كيف نستفيد من التصوف علمياً وعملياً، متجنبين ما علق به مما ليس منه، فقال مخاطباً الإخوان في حديث الثلاثاء: «والمهم الآن أن تعرفوا الصلاح والفساد في الصوفية علمياً وعملياً، أما العلمي منها فإنَّ كتب الصوفية أقدر الكتب على تربية النفوس وتهذيب الأخلاق إذا خلت من الفلسفات والمصطلحات. وأما العملي، فإنَّ ما توفر فيها من الحب والطاعة كافيان في وَحْدة الكلمة واتحاد الصفوف، وتأليف القلوب.

فإنَّ الطريق العملي في إصلاح هذه الطرق أن تتمشى مع تابعيها باللين والأخذ بالرفق، وعدم إثارة الخلاف بينك وبينهم، بل تأتيهم من ناحية شيوخهم، فتقول لهم: قال الشيخ الفلاني كذا، حتى يطمئن إليك، ويركن إلى دعوتك، ويحاول فهمها، والتبصر فيها.. فإذا ما ألف منه ذلك، استطعت حينئذ أن تقول له: قال الله:(كذا)، وقال: رسول الله ﷺ:(كذا).هذا فيمن كان منهم

(١) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما- سعيد حوّى ص١٠٧-١٢٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٣٢.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على فقه وعلم. أما الجهلة منهم وهم أرباب الشعوذة، ومن لا هم لهم إلا ملء بطونهم فلا علاج لهؤلاء إلا الضرب على أيديهم، وأخذهم بالشدة حتى يرتدعوا، ويرعووا[1].

بذلك يتضح أن الإمام البَنّا (رحمه الله) فقد حرص على تنقية التصوف من الدخن الذي علق حيث كثيراً ممن انتسب إليهم جاءوا بأقوال ما أنزل الله بها من سلطان مثل: الاحتكام إلى الذوق وإلى الوجدان الشخصي، لا إلى الشرع، فزعموا أنه ليس من الضروري أن يرجع الإنسان إلى حكم ربه، بل إلى حكم قلبه!

بل جاءوا بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان حيث قالوا بالحقيقة والشريعة، وأن أهل الشريعة ينظرون إلى الظواهر، أما أهل الحقيقة فهم يعرفون الأسرار والبواطن.

ولذلك قالوا: من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم؛ لأنهم وإن كانوا لا ينفذون أمر الله، فهم ينفذون إرادة الله؛ لأن الله هو الذي أراد هذا!!

(١) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص٣٥٤- ٣٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

دعوى في مسائل اتهم البَنّا في ابتداعها

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الذكر الجماعي

يقولون: الجماعة تساهلت في البدع الإضافية مثل: التزام المأثورات، والذكر الجماعي، والصيام الجماعي، ونحو ذلك، والبدع الإضافية هي ما له أصل في الشرع ولكن التزمت في هيئة معينة أو وقت معين لم يرد الشرع بخصوصه(١).

وفي معرض رد الإمام البَنّا (رحمه الله) على من أثار هذا الموضوع في عصره بعد أن أفتى بجواز الذكر الجماعي بشروط وضوابط، حتى لا يكون بمستوى الحالة التي شاعت في عصره، بفعل بعض جهلة الصوفية، وما وصلوا به من الابتذال والاسترزاق بالذكر.

فيقول: «الذكر قربة إلى الله – تبارك وتعالى– بنص الآيات والأحاديث الكثيرة المعلومة للخاص والعام. أما كيفيته فقد أشارت إليهاالآية الكريمة ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، ومطلوب على كل حال، وكما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (النساء: ١٠٣)، كما قال تعالى﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٤٢)، وكل صيغة فيها ثناء على الله – تبارك وتعالى– وترديد لاسمه الكريم، وتذكير لآلائه ونعمه، وشكر له عليها فهي ذكر؛ فالاستغفار ذكر، والتسبيح والتهليل والتحميد والصلاة على الرسول ﷺ كلها أنواع الذكر»(٢).

وحذر أبناء الطرق من حرمة؛ ما يصحبون به الذكر من الدف والشبابة، أو وجود النساء، أو كانت في موضع لا يليق فيه الذكر، أو كانت الأسماء التي يذكرون فيها غير صحيحة، أو محرفة عن كيفية النطق الصحيح، وغير ذلك مما يقع فيه أبناء الطرق في عصره(٣).

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية– توفيق الواعي ص٢٩٧.

(٢) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، الفقه والفتوى– جمعة عبد العزيز ص١٥٨.

(٣) انظر: المصدر السابق ص١٥٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجيب على من أنكر عليه فتواه بجواز الذكر بالضوابط الشرعية بقوله: «إننا قد أمرنا بالذكر في قول الله تعالي﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب: ٤١) وليس الحق تبارك وتعالى- قد أطلق لنا الكيفية في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء: ١٠٣)، والمعلوم من ذلك أي على كل حاله من حالاتكم؟ أليس قد ندبنا الرسول ﷺ إلى الاجتماع على الذكر والتحلق له فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**»(١)، وفي مثل قوله ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ**» (٢)، وفي مثل قوله ﷺ: «**لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ، مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى، أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً**» (٣).

وقد تقول: إن الذكر هنا معناه العلم، فأقول لك إن الذكر معنى عام يشمل العلم وغيره، وقد ورد في بعض الأحاديث بمعنى العلم، وفي غيرها بمعني التسبيح والتحميد، وفي غيرها بمعناه المطلق فقصره على العلم تحكُّم، إذا تبين هذا كان التسبيح الذي أعنيه ذكرًا مأمورًا به على كيفيةٍ لا يُنكرها الشرع ولا ينطبق عليه وصف البدعية المحرمة، وأرجو أن أكون بذلك قد وفقت»(٤).

هل الذكر الجماعي بدعة؟

يجيب الإمام البنا(رحمه الله) على هذا التساؤل بإسلوب علمي دقيق، فيقول: «عرضت للبدعة من حيث تحريمها وتحليلها، وليس ذلك محل خلاف بيننا، ولكن الخلاف بيننا حول البدعة في حقيقتها، وفي تطبيق ما يشبه أنها محدث على هذه الحقيقة... فالعبادات تنقسم إلى نوعين:-

ا - نوع حدده الشارع وقتاً وزماناً ومكاناً وكيفية وحكماً، ومثاله الحج، وصلاة الجمعة مثلاً.

---

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، رقم (١٢٥٢٣) ج١٩ ص٤٩٨، قال المحقق الأرنؤوط: إسناده ضعيف. وأخرجه الترمذي في سننه أبواب الدعوات، رقم (٣٥٠٩) ج٥ ص٥٣٢، قال الألباني: ضعيف.

(٢) رواه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، رقم (١٢٤٥٣) ج١٩ ص٤٣٧، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٣) رواه أبو داود في سننه- كتاب العلم- باب في القصص، رقم (٣٦٦٧) ج٣ ص٣٢٤، قال الألباني: حسن.

(٤) نشر في مجلة الإخوان المسلمين- السنة الأولى- العدد ١٠ ص ١٥-١٦- ٢٥ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ / ١٧ أغسطس ١٩٣٣م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ –ونوع أطلقه كالصدقة النافلة، فأنت فيها مخير في المقدار وفي الوقت بحسب وسعك، وظرفك، وكالدعاء مثلاً فيه مخير ما لم يخالف هذا التخيير حكماً شرعياً ورد به النص.

نعم إن المأثور أفضل من غيره، ولكن هل يقول أحد إن الدعاء بغير المأثور وفي كل وقت غير جائز؟

والذكر من هذا القسم أمر به الشارع وأطلقه فأنت فيه مخير ما لم يخالف هذا التخيير حكماً شرعياً، ولإيضاح هذه النقطة أضرب لك هذين المثالين:

أ – رجل تعود أن يتصدق كل يوم بقرش في وقت محدد يقصد بذلك – وجه الله تبارك وتعالى– وامتثال أمره في الصدقة، أتراه مبتدعاً؟

وهل يشترط لجواز مثل هذا العمل أن يكون قد عمل مثل السلف الصالح؟.

ب – رجل تعود صباح كل يوم ومساءه أن يدعو الله – تبارك وتعالى– بصيغة كهذه مثلا: «اللهم فرج كربتي، واغفر ذنبي، واجعلني عندك من المقبولين، وارزقني اتباع سنة نبيك ﷺ»، أتري هذا الرجل مبتدعاً؟ وهل يُشترط لجواز مثل هذا العمل أن يكون واردًا مأثوراً؟

أظنك معي في أن عموم الأمر بالدعاء والصدقة يجعل عمل هذين عبادة لا غبار عليها.

وإذا تقرر هذا فاعلم أن تقييد العبادة المطلقة هو البدعة، فما ورد مقيدًا في الدين لزم أن يؤتي به على وجهه، وما ورد مطلقا بقي على إطلاقه، فكل كيفية تدخل تحت هذا العموم ولا تتعارض مع الأحكام الشرعية جائزة.

وأخيرًا أحب أن أقول لك إن الجائز لذاته قد يكون محرماً لغيره سدًا للذريعة، إذا اتخذ وسيلة لمحرم، وخير الحالات ما وافق السنة المطهرة واتباع المأثور أولى وأسلم» (١).

بهذا البيان الرائع والعرض الممتع يستعرض الإمام البَنّا (رحمه الله) حقيقة البدعة ويستجلي ما أغلق على الكثير من العلماء فقهه، فما بالك بطلاب العلم فضلاً عن العوام؟!

ثم يؤكد الأولى والأسلم هو موافقة السنة المطهرة، واتباع المأثور دون أن يغلق باب الجائز، والمباح.

وهذا الإغلاق كثيرًا ما يقع فيه أحداث طلاب العلم تحت تبرير سد الذريعة، مع أن سد الذرائع قد يدخل فيه الجائز لذاته إذا اتخذ وسيلة إلى محرمٍ.

---

(١) نشر في مجلة الإخوان المسلمين– السنة الأولى– العدد ١٧ص ١٥–١٦– ٢٠ رجب ١٣٥٢هـ / ١٧٩نوفمبر ١٩٣٣م– سلسلة من تراث الإمام البَنّا، الفقه والفتوى– جمعة عبد العزيز ص١٧٤ وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبذلك يتضح أن الذكر الجماعي قد ثبت تشريعه بالنص، ومن ذلك قوله ﷺفي حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**.. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

وكذلك قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»(٢).

وفي هذا الحديث أنهم إذا ارتفعوا إلى ربهم سألهم وهو أعلم، فيخبرون أن هؤلاء الملأ كانوا يذكرونه ويسبحونه ويحمدونه ويهللونه، ويسألونه الجنة ويستعيذونه من النار، وكل هذا ذكر جماعي(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ- بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، رقم (٢٦٩٩) ج٤ ص ٢٠٧٤.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه- كتاب الرقائق- باب الدعية، رقم (٩١٤) ج٣ص١٩٥، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. ورواه الدارمي في سننه- كتاب الرقاق- باب باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ورواه الترمذي في سننه- كتاب الدعوات- بابما جاء أت لله ملائكة سياحين، رقم (٣٦٠٠) ج٥ ص٥٧٩. قال الألباني: صحيح.

(٣) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٢٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثاني: التوسل بالمخلوقين

أثار قول الإمام البَنّا (رحمه الله) : «والدعاء إذا قرن بالتوسل[١] إلى الله تعالى بأحد من خلقه، خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة» [٢]، المفترون على العلم وكأن الإمام البَنّا (رحمه الله) أتي بشيء غير مسبوق من أئمة معتبرين، وظنوا أنهم بذلك قد وقعوا على صيد ثمين تناله أيديهم؛ ليسلقوه بألسنةٍ حدادٍ، على اعتبار أن يكون الإمام البَنّا (رحمه الله) بذلك قد خالف علماء الأمة في أمرين:

أحدهما: أن العلماء لم يختلفوا حول التوسل إلى الله بأحد من الخلق وهو يقول بعكس ذلك.

الثاني: أن التوسل بأحد الخلق مخالفة عقدية تؤدي إلى الكفر والشرك، وهو يقول: إنها من مسائل الفقه التي تتعلق بالحلال والحرام، وليس بالكفر والشرك.

وعلى هذا فالمنكرون على الإمام البَنّا (رحمه الله) ينكرون خلاف العلماء حول التوسل بأحد من خلقه، ثم يقولون، بعد ذلك أن هذا التوسل من أمور العقيدة التي تؤدي إلى الشرك، ويكفر القائل بذلك[٣].

ونحن بدورنا لابد لنا -كي يظهر الحق من الباطل، ويستبين الهدى من الضلال ويتضح سبيل المؤمنين أن نحقق تلك المسائل بأقوال العلماء المعتبرين من سلف الأمة الصالح من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله تعالى) وغيرهما:

لعل القوم قد اختلط عليهم عدم تفريقهم بين الاستغاثة المحرمة، والتي هي من أمور العقيدة، وبين التوسل الذي هو من أمور الفقه الذي اختلف حوله العلماء، وهو يدخل في أبواب الحل والحرمة، فنجد ببيان الفرق بين الاستغاثة والتوسل[٤].

---

(١) **الوسيلة لغة:** و س ل : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسيل و الوسائل و التوسيل و التوسل واحد يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة بالتشديد و توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل. انظر: مختار الصحاح ص٧٤٠.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٧.

(٣) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٢٦٢-٢٦٣. انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٧٣.

(٤) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرق بين الاستغاثة والتوسل:

يحسن بنا أولاً أن نعرف الاستغاثة ونذكر من صورها ما يوضح الجائز منها والممنوع:

فالاستغاثة: هي طلب العون وتفريج الكروب[1]. ويعتريها أربعة أحكام:

أ – **الإباحة:** وذلك في طلب الحوائج من الأحياء فيما يقدرون عليه كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (القصص: ١٥) [2].

ب – **الاستغاثة المندوبة** (المطلوبة) الاستغاثة بالله: قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩).

ج. **الاستغاثة الواجبة:** وذلك إذا ترتب على ترك الاستغاثة هلاك الإنسان.

د. **الاستغاثة الممنوعة:** وذلك إذا استغاث الإنسان في الأمور المعنوية بمن لا يملك القوة أو التأثير سواء كان المستغاث به، جناً، أو إنساناً، أو ملكاً، أو نبياً كأن يستغاث بهم ولا يستغاث بالله تعالى في تفريج الكروب عنهم، أو طلب الرزق، فهذا غير جائز بإجماع العلماء، وهو من الشرك، ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (يونس: ١٠٦)، وهذا يخالف تماماً التوسل وإليك بيان حقيقة التوسل.

التوسل: هو اتخاذ الوسيلة للوصول على شيء مقصود، والتقرّب إليه بسبب، والتوسل إلى الله هو التوسل إلى مرضاته وحسن مثوبته، التي يحرص عليها، ويسعى إليها كل من آمن بالله سبحانه باتخاذ الطرق والأسباب التي توصل إلى ذلك، كما قال تعالى﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (الإسراء: ٥٧)، فالوسيلة في الآية الكريمة هي الطريقة التي تقرب إليه سبحانه، مما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والنيات[3].

كما يطلق التوسل أيضا على التقرب إلى الله بطلب الدعاء من الغير، وعلى الدعاء المتقرب به إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، أو بأحد من خلقه كنبي أو صالح[4].

---

(١) لسان العرب– محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ج٢ ص ١٧٤.

(٢) كشاف القناع ج٤ ص١١٣، الاستغاثة لابن تيمية ص ١٣٩.

(٣) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٢٥٧.

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ابن تيمية ص١٣، تفسير الألوسي ج٦ ص١٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد هذا البيان الذي يوضح الفرق الجوهري بين الاستغاثة والتوسل (بين ما هو من العقيدة، وما هو من الفقه)، وما ينبني على عدم تحديد الفروق من اللبس الذي وقع به أحداث أسنان في العلم والفقه.

ومن أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان الفرق بينهما، قوله : «ولم يقل أحد: إن التوسل بنبي؛ هو استغاثة به بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور كقول أحدهم: أتوسل إليك بحق الشيخ فلان أو بحرمته أو أتوسل إليك باللوح والقلم أو بالكعبة أو غير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور؛ فإن المستغيث بالنبي ﷺ طالب منه وسائل له والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ولا يسأل وإنما يطلب به وكل أحد يفرق بين المدعو والمدعو به . والاستغاثة طلب الغوث وهو إزالة الشدة»[1].

ويضيف موضحاً بشيءٍ من التفصيل المقصود بالاستغاثة، قائلاً: «الاستغاثة: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون. والمخلوق يُطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها. كما قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٢)، وكما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢)، وكما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (القصص: ١٥)، وأما ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يطلب إلا من الله؛ ولهذا كان المسلمون لا يستغيثون بالنبي ﷺ بل يستسقون به، ويتوسلون به» [2].

وعلى هذا فالاستغاثة، تخالف التوسل تماماً، وليس بينهما صلة في الحكم.

أنواع التوسل

أولاً: التوسل الذي لا نزاع فيه:

وهناك أنواع من التوسل إلى الله متفق على مشروعيتها، مما جاء به الكتاب الكريم، والسنة الصحيحة، وهذه لا نزاع فيها، ولا خلاف عليها.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١ ص١٠٣.

(٢) المرجع السابق ج١ ص١٠٣، ١٠٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. **التوسل إلى الله بذاته:**

من المتفق عليه: التوسل إلى الله عز وجل بذاته الكريمة، مثل قولنا: لا حول ولا قوة إلا بالله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (الكهف: ٣٩)، وما علمنا القرآن أن نردده في كل صلاة في الفاتحة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: ٥)، فنحن حين نستعين الله نتوسل إليه بذاته سبحانه، ونحو ذلك ما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[(١)]، فالاستعاذة به منه: أي بذاته من ذاته.

٢. **التوسل بأسماء الله وصفاته:**

ومن المتفق على مشروعيته: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، ومما ورد قَولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلاَ حُزْنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ فِي قَبْضَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ عَلَى أَحَدٍ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاَءَ حُزْنِي وَنُورَ بَصَرِي وَذَهَابَ**»[(٢)].

٣. **التوسل بالعمل الصالح:**

ومن التوسل المشروع الذي لا خلاف عليه: التوسل بالعمل الصالح، وخصوصاً ما كان منه خالصاً لوجه الله تعالى، لم تشبه أي شائبة من أعراض الدنيا، من ابتغاء منفعة أو شهرة، أو محمدة عند الناس، وقد ذكر القرآن كثيراً من أدعية المؤمنين والصالحين، التي توسلوا بها إلى ربهم بإيمانهم أو بأيمانهم مع صالح أعمالهم، كما في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٦)، ومن أبرز الأدلة على ذلك: قصة أصحاب الغار، التي رواها الشيخان وغيرهما عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**خَرَجَ**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كِتَابُ الصَّلَاةِ- بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، رقم (٤٨٦) ج١ ص٣٥٢.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه- كتاب الرقائق- باب الأدعية، رقم (٩٧٢) ج٣ ص ٢٥٣، وقال قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال الألباني في الصحيحة صحيح (١٩٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ،...اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ» (١).

٤. التوسل بالرجل الصالح ليدعو والناس يؤمنون:

ومن التوسل المشروع كذلك: أن يلجأ الناس إلى الرجل الصالح، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، لعل دعاءه يكون أقرب إلى الإجابة لما له عند الله من منزلة.

فهم لا يتوسلون إلى الله بذات الرجل، بل يتوسلون إليه بدعائه وضراعته إلى الله سبحانه، وما يعتقدون من قربه إلى الله، وسلامته مما هم واقعون فيه من الذنوب.

وهذا ما فعله سيدنا عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**(٢)»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ (٣).

ثانياً: التوسل المختلف فيه:

وأما التوسل المختلف فيه بين العلماء، والذي دارت حوله المعارك الجدلية بين المجوزين والمانعين، فهو أن يتوسل إلى الله جل وعلا بذات النبي ﷺ أو بأحد الأنبياء أو الملائكة أو الصالحين، بأن يسأل الله سبحانه بجاه النبي أو بحقه أو بمنزلته من ربه أن يحقق سؤله، ويجيب طلبه، فهناك من السلف والخلف من أجاز ذلك، في حق النبي ﷺ دون غيره، كما روى ذلك عن الإمام أحمد وغيره، ومنهم من طرد ذلك في جميع الأنبياء والصالحين(٤).

البيان الشافي من الإمام البَنّا (رحمه الله) في المسألة:

هذا وقد سئل الإمام البَنّا (رحمه الله) عن التوسل بالنبي ﷺ، والصالحين، وعن الاستغاثة بهم.

فأجاب (رحمه الله) إجابة العالم الحاذق المتواضع، فقال: «حين نفتي في هذه الشؤون نبين ما هدانا الله إليه في هذه المسائل واعتقادنا فيها بحسب ما وضح لنا من الأدلة، ولا نلزم

---

(١) رواه البخاري في الصحيح- كتاب البيوع- باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي، رقم (٢٢١٥) ج٣ ص٧٩، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء- باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، رقم (٢٧٤٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه- كتاب أبواب الإستسقاء- بَابُ سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الِاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا، رقم (١٠١٠) ج٢ ص٢٧.

(٣) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٢٦١.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحدًا اعتقاد عقيدتنا، ولا نزكي أنفسنا، نقرر رأينا، ونحترم رأي غيرنا، ولا نجرح من خالفنا، وتجمعنا دائرة الأخوة الإسلامية العامة»[١].

وحدد معنى التوسل بالنبي ﷺ والصالحين، فقال: «هو أن يتقرب العبد في دعائه الله تبارك وتعالى إلى الله بذكر عبد من عباده الصالحين، كأن يقول: (اللهم إني أتوسل بحب فلان، أو بجاه فلان، أو بحق فلان، أو بمنزلة فلان، أو بفلان أن تفعل كذا وكذا)، هذا التوسل بهذه المعاني موضع خلاف أيضا، أجازه قومٌ ومنعه آخرون، ولكلٍ حجته ودليله، ومن الغريب أنك ترى بين المانعين منه بغير الرسول ﷺ شيخ الإسلام العز بن عبد السلام مع أنه ممن أخذ عن الصوفية – رضوان الله عليهم – واتصل بالشاذلي، وكان معاصرًا له على حين أنك ترى بين المجوزين له الإمام الشوكاني مع أنه سلفي متشدد.

فالمانعون يرون أن ذلك لم يحدث في زمن الصحابة –رضوان الله عليهم – والأتباع الأولى، والمجوزون يستدلون على ذلك بحديث الأعمى، وقد رواه كثير من المحدثين منهم النسائي، والترمذي، وغيرهما»[٢].

ثم بعد ذلك يبين موقفه من تلك المسئلة الفقهية الخلافية، فقال: «ونحن مع هذا القسم– التوسل بالصالحين– بشرط أن تتوقر العقيدة بأنه لا تصرف إلا لله، ولا فعل إلا له سبحانه وتعالى.. وقد استدل الشوكاني في كتابه الدر النضيد على جواز التوسل بأن التوسل في الحقيقة إنما هو بميزة العبد الصالح لا بذاته، فهو من التوسل بالأفعال وهو جائز، ونقول: إن التوسل لازم حب العبد للصالحين، وحب العبد للصالحين عمل صالح، فرجع الأمر إلى التوسل بالعمل الصالح، وهو مجمع على جوازه»[٣].

فانظر كيف يورد الإمام البَنّا (رحمه الله) الآراء في تلك المسئلة الشائكة والتي كانت مثار خلاف وأخذ ود، مع أنه عندما بسطها بين يدي البحث العلمي بيَّن أن الخلاف شكلي على اعتبار أن التوسل بالصالحين في الحقيقة ليس لذواتهم وإنما بميزتهم، فيكون بذلك لازم حبهم، ومحبة الصالحين عمل صالح، والعمل الصالح مجمع على جوازه! ثم يورد الإمام البَنّا (رحمه الله) حكم الاستغاثة وطلب العون من النبي ﷺ أو من غيره من الصالحين، فقال: «إن طلب

(١) نشر في جريدة الإخوان الأسبوعية عام ١٩٣٤م.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعونة من النبي ﷺ أو من غيره من الصالحين، أما في حالة الحياة وفيما هو في حدود قدرة المخلوقين؛ فجائز لا شئ فيه.

وإما بعد الوفاة أو فيما هو من عمل الخالق سبحانه وتعالى؛ فممنوع لما فيه من الشبهة الشركية، والذريعة إلى الانحراف»[1].

ثم يضيف مبيناً موقفه من أولئك الجهلة الذين يستغيثون بما ليس في مقدور البشر، أو فيما هو من عمل الخالق، فيقول: «ولا نقول بالشرك لهؤلاء الجهلة وإخراجهم من الملة، فإنَّ الشرك عظيم، ولكن نقول: يجب أن نعلم قائل هذا ونرشده إلى تركه، ونزجره، وفي هذا الزجر الكفاية، إلي أن ينتهي إن شاء الله، فهو رجل مسلم وإذا عرف الصواب رجع إليه، وهذا خير من إخراجه من الملة ووقوع فتنة بين المسلمين»[2].

ترجيح عدم التوسل بذات النبي وبالصالحين:

والراجح عدم التوسل بذات النبي وبالصالحين، ويتبنى رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك لعدة أمور:

الأول: أن أدلة المنع- أعني منع التوسل بذات النبي وذوات الصالحين- أرجح في الميزان العلمي، وخصوصاً أن باب الله تعالى مفتوح لكل خلقه، وليس عليه حاجب ولا بواب، مثل أبواب الملوك والأمراء، حتى العصاة فتح الله تعالى لهم أبواب رحمته ونسبهم إلى ذاته فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

والثاني: أن إجازة التوسل قد تكون ذريعة إلى دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة به، وكثير من الناس يخلط بين الأمرين، فسد الذريعة بالنظر إلى العوام أولى، ولا سيما في باب التوحيد والشرك.

والثالث: أننا إذا استطعنا أن نتعبد لله تعالى بالأمر المتفق عليه، فلا داعي لأن ندخل في الأمر المختلف فيه، من غير ضرورة إلى ذلك.

---

(١) نشر في جريدة الإخوان الأسبوعية، عام ١٩٣٤م

(٢) المصدر السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن لا تأثيم لمن أداه اجتهاده إلى جواز التوسل، ولا نكران عليه إلا من باب الإرشاد إلى الأرجح والأفضل، إذ لا إنكار في المسائل الخلافية، كما هو معلوم [١].

وشيخ الإسلام ابن تيمية – وإن أنكر التوسل بالذات – لم يشتد في نكيره إلى حد التكفير أو التأثيم، كما يفعل بعض من يدعون الانتساب إلى مدرسته، وقد قال في (الفتاوى) بعد أن ذكر الخلاف في المسألة: «ولم يقل أحد إن من قال بالقول الأول فقد كفر، ولا وجه لتكفيره، فإنَّ هذه مسألة خفية، ليست أدلتها جلية ظاهرة، والكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين بالضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليهما ونحو ذلك.. بل المكفر بمثل هذه الأمور يستحق من تغليظ العقوبة والتعزيز لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما» [٢].

الخلاصة:

التوسل يتعلق بالعمل، ولا يتعلق بالعقيدة، فهو من بحوث علم الفقه لا من بحوث علم التوحيد؛ لأنه خلاف في كيفية الدعاء، ما دام المدعو والمتوسل إليه هو الله تبارك وتعالى.

كما إن البحث في مشروعيته هل يقال: أتوسل إليك بنبيك محمد، أو بملائكتك المقربين، أو بعبادك الصالحين. أم لا يجوز ذلك، فهذا بحث فقهي، وليس ببحث عقدي.

فإنَّ ما ذهب إليه الإمام البَنّا (رحمه الله) من جواز التوسل بالصالحين لم يكن هو أول من قال بذلك، بل قال به الإمام الشوكاني كما أورد وكذلك قال به الإمام محمد بن عبد الوهاب، كما نقل في مجموع فتاويه، حيث قال في المسألة العاشرة: «قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصالحين، وقول أحمد يتوسل بالنبي خاصة، مع قولهم: إنه لا يستغاث بمخلوق فالفرق ظاهر جداً، وليس الكلام مما نحن فيه، فكون البعض يرخص في التوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه، فلا ننكر على من فعله»[٣].

فقد تضمن كلام الشيخ أن التوسل بالصالحين، أو بالنبي ﷺ هو موضع خلاف بين العلماء، وإن هو صوب قول الجمهور: إنه مكروه، وأن هذه المسألة من مسائل الفقه، وهذا عين

(١) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف– يوسف القرضاوي ص٢٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى– ابن تيمية ج١ ص١٠٦.

(٣) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما قرره البَنّا، فلا وجه للإنكار عليه[١]، وقال به أيضاً المحدث السلفي الشهير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في مقدمته لشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، فقد تحدث عن سبع مسائل هامة، قال: كلها في العقيدة إلا الأخيرة منها[٢]، يعني بالأخيرة: ما قاله شارح الطحاوية من كراهية التوسل بحق الأنبياء وجاههم، تبعاً لإمامه أبي حنيفة.

ولأن موضوع التوسل فقهي لا عقدي، تكلمت عنه جميع كتب المذاهب الفقهية، على اختلاف أحكامها فيه، ودخل الموسوعات الفقهية، باعتباره من المسائل الفروعية العملية، التي تدخل في إطار البحث الفقهي[٣].

وهناك كثيرون من المستقلين عن المذاهب قالوا بإجازة التوسل، منهم الإمام الشوكاني- وهو سلفي معروف في كتابه (تحفة الذاكرين) شرح (الحصن الحصين). وهناك غيره من القدامى والمحدثين: ومنهم من أجاز التوسل بالنبي وحده، ولم يجز التوسل بغيره من الأنبياء والصالحين، كما هو رأي الإمام عز الدين بن عبد السلام[٤].

ومسألة التكفير عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب: لا يُكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة[٥]، ولا يكفر من يحلف بغير الله، ولا يكفر من توسل بالصالحين[٦].

---

(١) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٢٦٥.

(٢) انظر: مقدمة شرح العقيدة الطحاوية.

(٣) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٢٦٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٢٦٦.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣ ص ٢٥.

(٦) المرجع السابق رقم ١١ ص٦٤ ورقم ١ص١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثالث: القبورية

يذكر الإمام البَنّا (رحمه الله) في مذكراته أنه زار مع شيخه وبعض مريديه، مسجد السيد الحسين ﷺ ووقف شيخه على القبر يدعو الدعاء المأثور: «السلام على أهل الديار المؤمنين»، فقال له بعض المريدين: يا سيدنا الشيخ سل سيدنا الحسين يرضى عني، فالتفت إليه مغضباً، وقال: يرضى عنا وعنك وعنه: الله!

وبعد أن أتم زيارته شرح لإخوانه أحكام الزيارة، وأوضح لهم الفرق بين البدعية والشرعية منها، لم يتجاوز سنه الثانية عشرة من عمره[1]، ربما أن مثل تلك المواقف قد جعلت لمناوئيه ما يثيرونه بغية الفتنة وبغية التشكيك في دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله).

ولنا وقفة مع اتهام الإمام البَنّا (رحمه الله) بشبهة القبورية، وعدم تغيير منكر القبور أو المشاهد والقباب[2].

والجواب عن هذه الشبهة:

أن الإمام البَنّا (رحمه الله) يكشف انحرافات القبوريين، فيقول في الأصل الرابع عشر: «وزيارة القبور أيّاً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيّاً كانوا، ونداؤهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدّاً للذريعة»[3].

وهذا الأصل يتضمن عدة أحكام مهمة:

أولاً: بيان حكم زيارة القبور، وأنها سنة مشروعة، من المستحبات للمسلم.

ثانياً: بيان أن سنية زيارة القبور واستحبابها: مقيدة بان تكون بالكيفية المأثورة، كما وضحتها السنة النبوية، أما الكيفية المبتدعة، فكل بدعة ضلالة.

ثالثاً: أن الاستعانة بالموتى (المقبورين) ونداءهم، وطلب قضاء الحاجات منهم والنذر لهم، من الكبائر التي تجب محاربتها، ولم يهادن في ذلك.

---

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية- حسن البَنّا ص٢٥.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٦١.

(٣) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: أن تشييد القبور للموتى وسترها وإضاءتها، والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات، يدخل أيضاً في باب الكبائر التي تجب محاربتها ولا نتأول لهذه الأعمال ولا تلتمس لها المخارج، سدا للذريعة[١].

ونود هنا أن نلقي الضوء على هذه الأمور، ونعرضها على سنة رسول الله ﷺ، وأقوال العلماء، والسلف الصالح:

زيارة القبور سنة مشروعة بكيفية معينة:

إن زيارة القبور سنة مشروعة، لما فيها من التذكير بالموت، هادم اللذات، والتذكير بالآخرة دار القرار، فإنَّ القبر أول منزل من منازل الآخرة.

والنبي ﷺ في أول الأمر قد نهى عن زيارة القبور، ربما لما كان يحدث عندها في الجاهلية من مظاهر الشرك، ثم أمر عليه الصلاة والسلام بزيارتها وأعدَّ العلماء النهي السابق منسوخاً واستقر الأمر على ذلك، وقد ثبت هذا المعنى في عدة أحاديث، نذكر منها هنا: ما رواه بُريدة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً**»[٢].

ولا شك أن زيارة القبور بالطريقة المأثورة، إنما هي لمصلحة الحي تذكره بالموت وانقطاع هذه الحياة، وانقضاء إلف اللذات والشهوات، وتفكره فيما يصير إليه من ضيق اللحود وصولة الدود، وهو لا يدري ما يؤول إليه من شدة الحساب، وصعوبة الجواب، ولا شك أن في هذا إحساناً إلى الميت بالسلام عليه، والدعاء له بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية[٣].

وبعد، فإنه يتأكد لنا أن الإمام البَنّا (رحمه الله) قرر سنة رسول الله ﷺ، ونبه على الطريقة المشروعة التي وردت خوفاً من الابتداع أو الغلو.

وإذا كانت زيارة القبور سنة مشروعة، كما صحت بذلك الأحاديث لما فيها من تذكير بالموت، وتذكير بالآخرة، وتزهيد في الدنيا، فهذا خاص بالزيارة المنضبطة بمنهج السنة، وأحكام الشرع، ومما حذر منه الإسلام أشد التحذير تعظيم القبور، وبخاصة قبور الأنبياء والصالحين،

---

(١) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٢٢٩. انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٦٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه- كتاب الجنائز- باب زيارة القبور، رقم (٣٢٣٥) ج ٣ ص٢١٨. وقال الألباني: صحيح.

(٣) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٦٦، انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٢٣٠- ٢٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولذلك نهى عن جملة أشياء تفضي إلى تعظيم القبور منها: اتخاذها مساجد، ودليل ذلك أَنَّ عَائِشَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١) يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا

إضاءتها وإيقاد السرج عليها: في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :« **لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ** »(٢).

البَنّاء عليها وتجصيصها: روى مسلم عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ**» (٣).

اتخاذها عيداً فروى أبو داوود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**» (٤).

ومعنى اتخاذ القبر عيداً قصده للاجتماع فيه والقعود عنده ونحو ذلك، وقبر رسول الله ﷺ هو أفضل قبر على وجه الأرض، فإذا نهى عن اتخاذه عيداً فقبر غيره أولى بالنهي، كائناً من كان، ويكفي أن يصلي ويسلم على الرسول ﷺ فتصله صلاته وسلامه حيثما كان.

ومن السنة المأثورة: أن يسلم على أهل القبور إذا زارهم عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ : «**السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمَ الْعَافِيَةَ**» (٥).

وأما تسوية القبور: لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرف الهمم إلى الوقاية من هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته، ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محط رحال

---

(١) رواه البخاري في صحيحه- كِتَابُ المَغَازِي- بابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ. ٤٤٤٣ ج٦ ص١١، وأخرجه مسلم في صحيحه- كتاب المساجد- باب ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم ٥٣١.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى- كتاب الجنائز- باب مَا وَرَدَ فِى نَهْيِهِنَّ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ رقم (٧٤٥٥) ج٤ ص ٧٨، قال الشيخ الألباني في رقم : ٥١٠٩ صحيح الجامع: (صحيح).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كِتَابُ الْجَنَائِزِ- بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ، رقم(٩٧٠) ج٢ ص٦٦٧.

(٤) رواه أبو داود في سننه- كتاب المناسك- باب زِيَارَةِ الْقُبُورِ رقم (٢٠٤٢) ج٢ص ٢١٨، قال الألباني: صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنف- كتاب الجنائز- باب ما ذكر في التسليم على القبور إذا مر بها من رخص في ذلك.، رقم (١١٩٠٩) ترقيم عوامة ج٣ ص ٣٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جل العبادة: من الدعاء والاستغاثة، والتضرع لهـا، والـذبح لها، والنذور، وغير ذلك فكله شرك محظور[1].

فقد نبه الإمام البَنّا (رحمه الله) خطر الزيارات البدعية للقبـور شـأن علمـاء السـلف، وخوف التدرج إلى زيارات بدعية جاهلية لا يرضاها الله ورسوله، وتؤدي إلى الزيغ في الاعتقاد والانحراف في الدين. فقال: «ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا، ونداؤهم لذلك، وطلب قضـاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشيد القبور وسترها وأضـاءتها والتمسـح بهـا، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمـال سدًّا للذريعة»[2].

وهذا كما ترى، هو إجماع العلماء الذي عليه سنة رسـول الله ﷺ والسـلف الصـالح- رضوان الله عليهم.

كبائر أم شرك أكبر؟

بقي ما يمكن أن يقال هنا: أن الإمام البَنّا (رحمه الله) كان متساهلاً في موقفه مـن هـذه الأمور المبتدعة، واعتبرها مجرد (كبائر يجب محاربتها) مع أن منه ما يعد من الشرك الأصغر، والشرك الأكبر، مثل دعاء الموتى وطلب قضاء الحاجات منهم.

ولعل الإمام البَنّا (رحمه الله) في ذلك قد ذكر أعمالاً لا تدخل في الشرك الأكبـر، مثـل تشييد القبور وسترها وإضاءتها والحلف بغير الله، فهذه تقصر عن أن تكون من الشرك الأكبـر، المخرج من الملة، والذي يحكم على صاحبه بأنه مرتد، يفرق بينه وبين زوجه، ويحكـم عليـه بالإعدام الأدبي في المجتمع المسلم، وقد يحكم عليه بالإعدام المادي أيضاً!!

بل بعض ما ذكر من هذه الأشياء قد يقصر أن يكون من الكبائر المتفق عليها، وقد يكون ذلك من الإمام البَنّا (رحمه الله) من باب الاحتياط في تكفير المسـلمين، والتمـاس المخـارج أو التأويلات لهم، فهو قد سد باب التأول في وصفهم بارتكاب الكبائر، ولكنه لـم يفعـل ذلـك فـي وصفهم بالشرك المخرج من ملة الإسلام، فهو أمر عظيم ومما يؤيد احتياطه هـذا أن هـؤلاء لا يزالون يلهجون بشهادة (أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) وهي الكلمـة العاصـمة للـدم والمال في الدنيا، والمنجية من الخلود في النار في الآخرة، وإن من هؤلاء من يحـافظون علـى

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٥٨٥.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرائض من الصلاة والصيام والزكاة وحج البيت ويجتنبون المحرمات، بل منهم من يحرص على النوافل، ويبتعد عن الشبهات والمكروهات وتكفير هؤلاء أمر شديد على النفس، فإنَّ الأولى من تكفير هؤلاء وإخراجهم من الملة: أن نبذل معهم جهداً صادقاً لتصحيح مفاهيمهم، وتغيير معتقداتهم، فالحق أنهم جهال يجب أن يعلموا، لا مشركون يجب أن يقاتلوا، ولا مرتدون يجب أن يقتلوا[1].

فمن الشرك الأكبر نوع خفي، يخفى على كثير من الناس، ومنه دعاء الموتى والمقبورين، والاستعانة بهم في قضاء الحوائج بما لا يقدر عليه إلا الله، واعتقاد أنهم يضرون وينفعون، وهذا أصل شرك العالم، وهو من مظاهر الشرك التي دخلت على المسلمين ممن جاورهم من الوثنيين ومن شابههم، اعتقاد كثير من عوام المسلمين حيث إن الأولياء ولا سيما الكبار والمشاهير منهم قد أطلقت يدهم في الكون يتصرفون فيه كيف يشاءون، فهم يملكون أن يضروا وينفعوا، وأن يخفضوا ويرفعوا، وأن يعطوا ويمنعوا، دون تقيد بالسنن الكونية، وشبكة الأسباب والمسببات.

فالحق أن الله وحده هو المتصرف في الكون، وهو صاحب السلطان المنفرد بالخلق والأمر والتدبير، يميت ويحيي، ويفقر ويغني، ويضحك ويبكي ويمنع ويعطي ويعز ويذل ويهدي ويضل: «﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ٢٦)، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنعام: ١٧). وقد قال تعالى يخاطب خير خلقه، وخاتم رسله محمداً ﷺ ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨)[2].

(١) انظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف- يوسف القرضاوي ص٢٥٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٢٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

موقفه من إدعاء معرفة الغيب (الكهانة، العرافة، الرمل)

من المعروف أن الشرك وكر للخرافات والأباطيل؛ لأن الذي يعتقد وجود مؤثر غير الله في الكون، من الكواكب أو الجن أو الأشباح أو الأرواح أو غير ذلك، يصبح عقله مستعداً لقبول كل خرافة وتصديق كل دجال، وبهذا تروَّج في المجتمع المشرك بضاعة الكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين وأشباه هؤلاء ممن يدعون معرفة الغيب، والاتصال بالقوى الخفية في الوجود، كما يُشبَّع في مثل هذا المجتمع إهمال الأسباب، والسنن الكونية، والاتكال على التمائم، والرقى الشركية، والكهانة والمعرفة، والرمل، والودع، والسحر[١]، والتولة[٢] ونحوها[٣].

وكما أن الشرك مصدر للمخاوف والأوهام، فإنَّ التوحيد مصدر للأمن والطمأنينة، فمن يتقبل عقله الخرافات ويصدق الأباطيل والترهات، يصبح خائفاً من جهات شتى؛ لهذا ينتشر في جو الشرك التطير والتشاؤم والرعب من غير سبب ظاهر كما قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥١) [٤].

لهذا كان الإمام البَنّا (رحمه الله) حاسماً في رد كل ما يصطدم مع أحكام الدين ونصوصه: من الإلهام، والكشف، والرؤى، وما يمكن أن يقذفه الله في قلب المؤمن نتاج العبادة الصحيحة والمجاهدة الصادقة، دون التطرق إلى إنكارها أو التشكيك بوقوعها.

فقال (رحمه الله) : «وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفهماً الله في قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعدُّإلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه»[٥].

---

(١) علم السِّحر، وهو فنّ يدَّعي الاتصال بالأرواح، وسِحْرُ الساحر: إخراجه الباطل في صورة الحق.[انظر: تكملة المعاجم العربية ج٥ ص٢٤٣، ومعجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ ص ٩٥٦، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ج٥ ص ٣٠٠٦].

(٢) التِّوَلة: يقال: إن التِّوَلَة سحر تُحَبّب به المرأة إلى زوجها [انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ج٢ ص ٧٨٢].

(٣) انظر: حقيقة التوحيد- يوسف القرضاوي ص٨٩- ٩٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٩٠- ٩١.

(٥) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا أصل من أصول الفهم العشرين يتضمن حقائق ثلاث هي:

الحقيقة الأولى: الاعتراف بأثر الإيمان والعبادة والمجاهدة في تصفية النفس وإشراقها، وصدق فراستها، وهدايتها سبل الخير، وأنها قد تلهم الرشد والصواب في يقظتها، وتصدق رؤياها في منامها.

الحقيقة الثانية: أن هذا الاعتراف لا يعني أن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى من أدلة الأحكام الشرعية، حتى يحتج بها على صحة الاعتقاد، أو سداد النظر، أو استقامة العمل، ولهذا نفى ذلك في صراحة ووضوح.

الحقيقة الثالثة: أن الإلهام ولواحقه لا يعدُّ في غير الأحكام الشرعية طبعاً إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه(١).

والتعريفات التي ذكرت أن الإلهام نوع من الوحي يقصد بها: أنها نوع من الوحي بمعناه اللغوي، وهو الإعلام بخفاء وسرعة، أو أنه نوع من الوحي بالنسبة للأنبياء، فهو أحد طرق الوحي المتضمنة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١)، فقوله (إِلَّا وَحْيًا) يشمل ما كان عن طريق الإلهام والنفث في الروع في اليقظة، وما كان عن طريق الرؤيا المنامية، فرؤيا الأنبياء وحي.

وهذا الإلهام أو الكشف هو ضرب من المعرفة الروحية المباشرة، وهي المعرفة عن طريق (الحدس) أو (البصيرة) (٢).

وهنا نورد موقف الربانيين من دعاة (الوسطية الإسلامية) الذين جمعوا بين النورين: نور العقل ونور القلب، نور العلم ونور الإيمان، نور الفطرة ونور النبوة، واهتدوا بصحيح المنقول وصريح المعقول، ووفقوا بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، وردوا الفروع إلى الأصول، والمتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، فأثبتوا الإلهام والكشف والتحديث والفراسة والرؤى الصادقة بشروطها وفي حدودها، وأقاموا الوزن بالقسط ولم يخسروا الميزان، ولم يطغوا فيه، وبهذا أووا من العلم إلى ركن رشيد واعتصموا من الدين بحبل متين ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١).

---

(١) موقف الإسلام من الإلهام والكشف- يوسف القرضاوي ص١١-١٢.

(٢) المرجع السابق ص١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالشيخ ابن تيمية لا ينكر الإلهام الناشئ عن الإيمان والتقوى: ومن الناس من يظن أن شيخ الإسلام ابن تيمية يجحد كل أثر للإيمان والتقوى والمجاهدة الروحية في نفس الإنسان المسلم، فلا يفيده نوراً يبصر به في الظلمات، ولا فرقاناً يميز به بين المتشابهات، ولا هداية تنحل بها العقد والمشكلات، وإن شأن المؤمن العابد التقى المحاسب لنفسه، المراقب لربه المخلص في عمله ونيته، كشأن العاصي المسرف على نفسه، أو الغافل عن ذكر ربه، العامل لأمر آخرته، إذا استويا في الذكاء والتحصيل![1].

في هذه الأمور يتحدد النزاع:

إذا كانت المدرسة السلفية وعلى رأسها شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، لا ترفض الكشف الصحيح، والفراسة الصادقة، والرؤيا الصالحة، وكان هذا موقف الربانيين الراسخين من علماء الأمة كالشاطبي وغيره، فأين يكون موضع النزاع بين المتصوفة وغيرهم؟ ونستطيع أن نحدد مواضع النزاع في ستة أمور:

١- زعمهم أن إلهامهم أو كشفهم دليل شرعي، يؤخذ منه الحكم بالحل أو الحرمة أو الكراهة أو الوجوب، أو الاستحباب، بل قد يجعلون إلهامهم حجة على الشرع نفسه، فإذا حرم الشرع، وحلل إلهامهم أو العكس، فإنَّ إلهامهم هو الحجة المعتمدة، والدليل المرجع.

٢- ومعنى هذا أنهم يضفون على إلهاماتهم وكشوفهم العصمة والقداسة، فهي الصواب الذي لا يحتمل الخطأ بحال، على خلاف أقوال الأئمة المجتهدين التي تحتمل الخطأ والصواب.

٣- تحقيرهم للعلم الشرعي، علم الكتاب والحديث، والفقه، وغيرها الذي أعدَّ طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة، وادعاؤهم أنهم لا حاجة لهم إلى أخذ العلم من أسبابه ووسائطه النقلية، فهم يأخذونه مباشرة عن الله تعالى: «حدثني قلبي عن ربي».

٤- تفرقتهم بين «الشريعة» و «الحقيقة» أو بين «العلم» الذي يأتي به «النص» و «المعرفة» التي يأتي بها «الكشف» واعتبار الأولى من نصيب العوام والأخرى من حظ الخواص.

٥- اعتبارهم الكشف هو غاية الغايات التي يسعون إليها، ويحرصون عليها كأنما أصبحت عبادتهم ومجاهدتهم، ابتغاء الكشف لا ابتغاء وجه الله.

٦- اتخاذهم لهذا الكشف طرقاً مبتدعة لم يأت بها كتاب ولا سنة ولا عمل بها سلف الأمة[1].

---

(١) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج٢ ص٤٢.

(١)موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى- يوسف القرضاوي ص٣٨-٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكهانة: بالفتح ويجوز الكسر: ادعاء علم الغيب، فالتكهن تكلف الكهانة، وهي الإخبار عن الأمور الماضية الخفية بضرب من الظن (الكاهن) كل من يتعاطى علماً دقيقاً، ومن العرب من كان يسمى المنجم والطبيب كاهناً والذي يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته، وعند اليهود والنصارى من ارتقى إلى درجة الكهنوت، وعند أصحاب الديانات الأخرى من غير المسلمين من ساغ له أن يقدم الذبائح والقرابين ويتولى الشعائر الدينية.

والكهانة أيضاً ادعاء علم الغيب وذلك عن طريق اتصال الأرواح البشرية بالأرواح المجردة من الجن والشياطين، واستعلامهم عن الأحوال الجزئية للإنسان، ومعرفة أسراره، وما يتعرض له في يومه ومستقبله من مرض وشقاء، وعافية وشفاء[١].

ويسمى متعاطي الكهانة «الكاهن» وهو: «الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب»[٢].

العِرافة ضَرْب الرَّمْل: طريقة لقراءة المجهول، تعتمد على رسم خطوط وأشكال في الرّمل، فهي معرفة الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو المشابهة الخفية التي تكون بينهما، أو الاختلاط، أو الارتباط؛ على أن يكونا معلولي أمر واحد، أو يكون ما في الحال علة لما في الاستقبال[٣].

فإنه يُطلق على محترفها «العراف» وهو «المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب»[٤].

وهناك من يعدُّ أن العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ومن شابه هؤلاء من كل من يدعي معرفة المغيبات، سواء ما يكنه المستقبل أو ما يكنه الضمير، وسواء أكان ذلك عن طريق الاتصال بالجن أم النظر أو الخط في الرمل أو قراءة الفنجان أو خلاف ذلك.

روى مسلم في صحيحه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[١]، وذلك لأن مما أنزل على محمد ﷺ أن الغيب لا يعلمه إلا الله، قال تعالى:

---

(١) انظر تاج العروس من جواهر القاموس ج٣٦ ص٨١، التعاريف ج١ ص٢٠٢، المعجم الوسيط ج٢ ص٨٠٣، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج١ ص٣٦٤، وأبجد العلوم لصديق حسن ج٢ ص٤٥٣.

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ص٢٣٥، والمقدمة لابن خلدون ص٨٧.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ ص٩٤٤، انظر: مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج١ ص٣٥٧، وأبجد العلوم الصديق حسن ج٢ ص٣٧٩.

(٤) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٣ ص٢١٨.

(١) رواه مسلم في صحيحه-كتاب السلام- باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم(٢٢٣٠) ج٤ ص ١٧٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (النمل: ٦٥)، حتى النبي ﷺ لم يكن ليعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله عن طريق الوحي، ولهذا خاطبه بقوله تعالى:﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

كما أن الجن الذين يستعين بهم السحرة والكهنة ليس لهم قدرة على معرفة الغيب، وقد ذكر القرآن عن جن سليمان أنهم لم يعلموا موت سليمان:﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سبأ: ١٤).

لهذا كان تصديق الكهنة والعرافين– في زعمهم معرفة الغيب كفراً بما أنزل الله من آيات بينات.

وإذا كان إتيان هؤلاء وتصديقهم بهذه المنزلة من الشناعة في الدين، فما بالك بهؤلاء الكهنة والعرافين أنفسهم ؟ إنهم براء من الدين كما أن الدين برئ منهم، جاء في الحديث: « **لَيْسَ مِنِّي مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، إِنَّمَا أَنَا وَخَلْقِي، وَكُلُّ خَلْقِي لِي**»[1].

تنبيهات مهمة:

ومن الجدير التنبيه على بعض الأمور التي قد تشتبه على البعض، من ذلك: ما تذكره هيئات الأرصاد الجوية من احتمالات هبوب الرياح، وسقوط الأمطار، ودرجات الحرارة البرودة والرطوبة، والمد والجزر، وما يتعلق بذلك من الأمور، فهذه لا تدخل في الغيب، لأنها مبنية على أشياء مشاهدة، من وجود مرتفعات أو منخفضات جوية قادمة من الشمال أو من جنوب أو من الشرق أو الغرب، وتترتب عليها آثارها وفق سنن الله تبارك وتعالى، فما يذكره الراصدون هنا ليس من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، بل من المشاهدات التي عليها الله لخلقه من البشر.

على أن الأولى بالراصد المؤمن في هذا المقام أن يذكر في كلامه بعض الكلمات المفيدة مثل: إن شاء الله، أو يقول في النهاية: هذا والعلم عند الله تعالى.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم (٤٨٤٤) ج٥ ص ١١٨، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٠٤١) : صحيح لغيره ج٣ ص ٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان حرص الإمام البَنّا (رحمه الله) واضحاً في تنقية مصادر الدين مما سوى مصادره المشروعة، سواءً الرئيسة منها، أو الفرعية المعتبرة؛ لأن هذا هو من مقاصد الدين في تحريم الكهانة والعرافة وما كان يستخدم فيها من الودع والرمل،، وغير ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس

موقفه من التمائم والودع والرقى

التمائـــم والودع:

في اللغة: التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت الأعراب يعلقونها على أولادهم يَتَّقــون بهــا النَّفْس والعين بزعمهم، وهو باطل، وجعلها ابن مسعود: من الشرك لأنهم جعلوهــا واقيــة مــن المقادير والموت، فكأنهم جعلوا لله شريكا فيما قَدَّر وكتب من آجال العبــاد والأعــراص التــي تصيبهم، ولا دافع لما قضى، ولا شريك له عز وجل فيما قدَّر[١] وهى مأخوذة من تمَّ الشيء يــتم تكملت أجزاؤه، فأصل (تم) الكمال، وسميت التميمة بهذا الاسم، لأنهــا تمــام الــدواء والشــفاء المطلوب.

الودع: الودع بالفتح والسكون: جمع ودعة وهو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق فــي حلوق الصبيان وغيرهم.

وإنما نهى عنها لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين، وفيه ما رُوِي عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ**» [٢] أي لا جعله في دعة وسكون وقيل: هو لفظ مبني من الودعة : أي لا خفف الله عنه ما يخافه[٣].

والتميمة في الاصطلاح تطلق على معنيين هما:

الأول: خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين، في زعمهم[٤].

الثاني: ورقة يكتب فيها شئ من القرآن أو غيره، وتعلق على الرأس، مثلاً: للتبرك[٥]. ومن هــذا الباب تعليق التمائم، وهي خرزة كان العرب يعلقونها وخاصة على الأولاد، زاعمين أنهــا تــدفع عنهم الجن أو تقيهم العين ونحوها، فأبطلها الإسلام وعلمهم أن لا دافع ولا مانع إلا الله تعالى.

ومعنى (تعلق تميمة) أي علقها متعلقاً بها قلبه في طلب خير أو دفع شر.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر ج١ ص٥٣٦، تهذيب اللغة ج٥ ص ١.، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج١ ص٣٣٩، والمصباح المنير – للفيومي ج١ ص١٠٦، النهاية في غريب الأثر ج٥ ص٣٦٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ج٤ص١٥٤، والحاكم ج٤ص٢١٦، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد– محمد بن صالح العثيمين ج١ ص ١٢١

(٤) حاشية ابن عابدين ج٦ ص٣٦٣.

(٥) حاشية الجمل ج١ ص٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنما كانت شركاً، لأن فيها طلب دفع الضر من غير الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧).

ومن هذه التمائم ما يسمى (الجامعة) أو (الحرز) أو (الحجاب) أو ما شابه ذلك من الأسماء، فكلها من كبائر المنكرات، وإزالتها واجبة على كل مستطيع، جاء عن سعيد بن جبير: «**أنه من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة، أي كمن أعتق رقبة**».

فإذا كانت التميمة من آيات القرآن، أو تشتمل على أسماء الله تعالى وصفاته، فهل تدخل في النهي عن التمائم أم تستثني منه ويجوز تعليقها ؟ اختلف السلف في ذلك، فبعضهم رخص فيها، وبعضهم منع، والذي تختاره هو المنع من التمائم كلها وإن كانت من القرآن، لعدة أدلة:

أولاً: عموم النهي عن التمائم، فإنَّ الأحاديث لم تستثن منها شيئاً.

ثانياً: سد الذريعة، فإنَّ الترخيص في تعليق التمائم إذا كانت من القرآن، يفتح الباب لتعليق غيرها، وباب الشر إذا فتح لا يسد.

ثالثاً: إن هذا يعرض القرآن للامتهان، حيث يحمله من علقه في الأماكن النجسة، وفي وقت قضاء الحاجة، وفي حالة لجنابة والحيض ونحوها.

رابعاً: أن في ذلك استخفافاً بالقرآن ومناقضة لما جاء له، فإنَّ الله أنزله ليهدي الناس للتي هي أقوم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، لا ليتخذ تمائم وأحرازاً للنساء والأطفال(١).

ومع هذا لا ينبغي أن يشتد المسلم في إنكار التمائم إذا كانت من القرآن وذكر الله، أو يغيرها بيده، فإنه من المقرر أن لا إنكار في المسائل الاجتهادية الخلافية، وإن كان من حق المسلم المقتنع برأي أن يقيم الدليل على صحة ما ذهب إليه، وبيان خطأ الرأي الآخر، برفق وحكمة، دون طعن أو تجريح للآخرين، ودون عنف مصاحب للبيان.

وهذا ما جعل الإمام البَنّا (رحمه الله) يقول: «كل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته، إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة» (٢).

---

(١) انظر: حقيقة التوحيد- يوسف القرضاوي ص٥٢- ٥٣. انظر: فتح المجيد ص١٢٧- ١٢٨. موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى- يوسف القرضاوي ص١٤٧.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه الشهير (التوحيد) يقول: «التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم: ابن مسعود ﷺ» [1].

فمما يتنافى مع التوحيد الخالص اللجوء إلى أسباب خفية لم يشرعها الله لرفع البلاء بعد وقوعه أو للوقاية منه قبل وقوعه – كما زعموا.

ومن ذلك لبس حلقة من المعدن أو وضع خيط يربط بالعضد، فقد روى الإمام أحمد عن عمران ابن حصين، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً أُرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: «**وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ قَالَ مِنْ الْوَاهِنَةِ قَالَ أَمَا إِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْنًا انْبِذْهَا عَنْكَ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»[2].

وإنما غلظ ﷺ في الإنكار على الرجل، تحذيراً من الشرك بكل صورة وتعليماً للصحابة أن يسدوا هذا الباب جملة وتفصيلاً.

ولهذا حين دخل حذيفة بن اليمان ﷺ على مريض يعوده، فوجد عضده سيراً أو خيطاً يدفع به الحمى لم يسعه إلا أن قطعه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾ (يوسف: ١٠٦) [3].

ولهذا فإنَّ الإمام البَنّا (رحمه الله) تطرق للتحذير من تلك الطرق الملتوية التي لم تزد المؤمن إلا وهناً، وذلك في الأصل الرابع من الأصول العشرين، قائلاً: «والتمائم والرقي والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة»[4].

يقوم هذا الأصل على قاعدتين في غاية الأهمية:

١- تجريد التوحيد لله تبارك وتعالى، بحيث يعتقد المسلم اعتقاداً جازماً: أن لا دافع ولا مانع غير الله، ولا ضار ولا نافع غير الله، وأن الأمور كلها بيديه سبحانه، وأن من عداه، وما عداه لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم– ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، كما قال تعالى:

---

(١) فتح المجيد ص١٢٦– ١٢٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، رقم (٢٠٠٠٠) ج ٣٣ ص٢٠٤، وقال الألباني في السلسة الضعيفة رقم (١٠٢٩) ج٣ ص١٠١: (ضعيف).

(٣) انظر: حقيقة التوحيد– يوسف القرضاوي ص٥١– ٥٢.

(٤) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنعام: ١٧)، ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر: ٣٨)، فلا يجوز الاعتماد على أحد غير الله تعالى، ولا على أسباب لم يشرعها الله تعالى.

٢- رعاية سنن الله تعالى في الخلق والحياة والإنسان واحترام نظام الأسباب والمسببات الذي أقام الله عليه هذا الكون، فإنَّ ما أشاعه جو الشرك والوثنية قديماً وحديثاً من أباطيل وخرافات اعتقادية وعملية، أحدثت خللاً في مراعاة نظام السنن والأسباب: ومن هذه الأباطيل: تعليق التمائم، الرقى الشركية، ادعاء معرفة الغيب عن طريق المعرفة والكهانة والودع والرمل والتنجيم ونحوها، وهذه كلها، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته، كما قال الإمام البَنّا (رحمه الله) ولم يستثن من ذلك إلا ما كان» آية من قرآن أو رقية مأثورة»[(١)].

الرقى: الرقية العوذة، والجمع رقى، و استرقاه فرقاه يرقيه رقية بالضم فهو راق. (الرقية) العوذة التي يرقى بها المريض ونحوه.

فإنَّ مما ينافي التوحيد الخالص الرقى: والرقى: جمعة رقية، وهي: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع ولدغ الحيات والعقارب ونحوها، كما يرقى بها من (العين).

وقال الإمام الخطابي: وكان ﷺ قد رَقى ورُقِي، وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله، فهي مباحة ومأمور بها، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منه بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك[(٢)].

أوهي كلمات وتمتمات كان يتعاطاها أهل الجاهلية معتقدين أنها تدفع عنهم الآفات، مستعينين بالجن أو مرددين بعض الأسماء الأعجمية أو الألفاظ غير المفهومة، فجاء الإسلام فأبطل ذلك، كما في الحديث (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)، فالرقى المحرمة ما كان فيها استعانة بغير الله تعالى، أو كانت بغير اللسان العربي، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك.

---

(١) موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى: يوسف القرضاوي ص١٣٧-١٣٨.

(٢) المعجم الوسيط ج١ ص٣٦٧، مختار الصحاح ج١ ص٢٦٧، فتح المجيد ص ١٢٦، موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى- يوسف القرضاوي ص١٥١- ١٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما عدا ذلك فلا بأس بالرقية به، فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَﷺ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»(١).

ومن هنا قال الحافظ ابن حجر والسيوطي: «أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه أو صفاته. وباللسان العربي وما يفهم معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى» (٢).

الرقية كدواء من قدر الله تعالى: فهي لا تنافي القدر ولا تدفعه، بل هي من قدر الله تعالى، فإنَّ الله عز وجل كما قدر المسببات قدر الأسباب، وكما قدر النتائج قدر المقدمات فهو يقدر أن هذا المريض يشفى بتناوله للدواء الملائم، وهذا يشفى برقية رجل صالح، وذلك بأسباب يتخذها فهذا كله من قدر الله تعالى، والمؤمن الفقيه في دينه هو الذي يدفع الأقدار بعضها ببعض، كما أمر الله تعالى وشرع، فهو يدفع قدر الجوع بتناول الغذاء، وقدر العطش بشرب الماء وقدر الداء بتعاطي الدواء.

(١) صحيح مسلم- كتاب السلام- باب لا بأس بالرقى مالم يكن فيها شرك، رقم (٢٢٠٠) ج٤ ص١٧٢٧.

(٢) حقيقة التوحيد- يوسف القرضاوي ص٥٥، انظر: التوسل والوسيلة ص١٥٦، موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى- يوسف القرضاوي ص١٥٢- ١٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

دعاوى المناوئين لعقيدة الإمام البَنَّا (رحمه الله) في الولاء والبراء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة الولاء والبراء عند البَنَّا.

المطلب الثاني: دعاوى حول مسائل عقيدة الولاء والبراء عند البَنَّا.

www.manaraa.com

المطلب الأول

عقيدة الولاء والبراء عند البَنّا

ركز الإمام البَنّا (رحمه الله) على ترسيخ عقيدة الولاء والبراء في دعوة الإخوان المسلمين، وبين أنها دعوة إسلامية اتخذت من الله غايتها، ومن الرسول ﷺ قدوتها، ومن القرآن دستورها، ولها برنامج واضح الحدود، ظاهر المعالم، يرمي إلى تجديد الإسلام في القرن الرابع عشر، ونشر الإسلام ورفع راية القرآن في كل مكان[١]. ثم وضح معيار الولاء والبراء عند جماعة الإخوان، فقال: "إنما نؤيد ونعارض ونحب ونكره في الله"[٢].

الولاء في اللغة: جاء في لسان العرب: الموالاة تحمل معاني تقوم على النصرة والمحبة، الولي: فعيل بمعنى الفاعل وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان أو بمعنى المفعول فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله والولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي، ويكون الولي: بمعنى مفعول، في حق المطيع، فيقال: المؤمن ولي الله[٣].

الولاء اصطلاحاً: هو النصرة والعتق والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(البقرة: ٢٥٧)، فإن الله يخبر أنه يهدي من اتبع رضوانه سُبُل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير، وأن الكافرين إنما وليهم الشياطين تزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات، ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك، فموالاة الكفار تعني التقرب إليهم، وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا [٤].

---

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٣٤٥.

(٢) المصدر السابق ص٣٤٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج٣ ص٩٨٥ – ٩٨٦، وانظر القاموس المحيط ٢٩٤، التعريفات ص٣٢٩، المصباح المنير للفيومي ج٢ ص٨٤١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ج١ ص ٦٨٥، شرح الطحاوية ص٤٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البراء في اللغة: قال ابن الأعرابي: برئ إذا تخلص، وبرئ، إذا تنزه وتباعد، وبرئ: إذا أعذر وأنذر[1].

أما البراء في الاصطلاح: فهو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار[2]، ولكن قوماً اتخذوا من عقيدة الولاء والبراء تكأة لتعميق العداوة بين المسلمين وبين غيرهم، ولتكفير بعض المسلمين الذين يتصلون بغير المسلمين، واستغلوا جهل الناس بهذا الأمر وصالوا وجالوا، حتى أحدثوا بذلك فتناً بين المسلمين، وهدموا نظام الإسلام الاجتماعي بالنسبة إلي أهل الكتاب، من البر والعدل والإحسان، وظن أهل الكتاب أن الإسلام دين عنصري بدل أن يكون، (عالمياً)، ودين استئصال بدل أن يكون رحمة للعالمين، ودين لا يقبل الأخر، بدل ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ودين يخفر الذمة بدل أن يحفظها ويجيرها ويؤمنها.

وبهذا المنطق الكليل، والفهم العليل، حكموا على بعض أعمال الإمام البَنّا (رحمه الله) بالخطأ، أنها هادنت النصارى وأهل الكتاب في مصر، وحاولت التعايش معهم، وتفاعل الإمام بشكل إيجابي مع كثير من النظم السياسية والفكرية مثل القومية والوطنية وغير ذلك مما وصلنا في إطار التفاعل الثقافي، والتدافع الحضاري.

ومن يدقق النظر في أحكام وأقوال هؤلاء يجد أنه يلتبس عليهم الولاء والبراء، وبين البر الجائز شرعاً، وبين الحربي، والذمي، والمعاهد، والمستأمن[3].

فمن الركائز الأساسية في دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله)، بل ومن أصول الإصلاح الإسلامي وقواعده، العالمية أن البشرية كلها إخوانٌ على الحق وأعوانٌ على الخير.

فقال (رحمه الله) : «يخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصري بين طبقات الأمة، فنحن نعلم أن الإسلام عني أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بني الإنسان في مثل قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

---

(١) وفي حديث أبي هريرة ﷺ لما دعاه عمر إلى العمل فأبى قال عمر: إن يوسف قد سأل العمل، فقال أبو هريرة: إن يوسف مني برئ وأنا منه براء هذا الأثر ذكره ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الأحاديث ج١ ص١١٢، تحقيق الزاوي والطناحي.

(٢) كتاب الإيمان- محمد نعيم ياسين ص١٤٥.

(٣) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٢٣٤- ٢٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

وأوصى بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨).

كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، فلا ندعو إلى فرقة عنصرية، ولا إلى عصبية طائفية. ولكننا إلى جانب هذا لا نشتري هذه الوَحْدة بإيماننا ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى. فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنا له خطأ ما ذهب إليه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون: ٨) »[١].

وبين كذلك أن دعوة الإسلام هي دعوة عالمية وبرر ذلك بقوله (رحمه الله) : «لأنها موجهه إلى الناس كافه لأن الناس في حكمها إخوة: أصلهم واحد، وأبوهم واحد، ونسبهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم المجموع من خير سابغ وفضل شامل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان، ولكن ندعو إلى الأخوة العادلة بين بنى الإنسان»[٢].

وفي نطاق هذه المعاني يعيش أبناء آدم خلفاء الله في أرضه، وأمناء على خلقه، إذ سخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وفي تضاعيف هذه المعاني الكلية الحالية حقوق والتزامات، ونظم وأوضاع.

وإن انتماء الفرد المسلم إلى قبيلة أو إقليم، أو جمعية، أو نقابة، أو اتحاد، أو حزب، لا ينافي انتماءه للدولة وولاءه لها، فذلك الولاء والانتماء كله مشدود إلى أصل واحد هو الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والمحظور كل المحظور هو اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين:

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤٢٦.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٣٩)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (الممتحنة: ١).

فإنَّ المسلمين جميعاً أمة واحدة، تربطها العقيدة الإسلامية وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعاً، وأن السر في تأخير المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه، وإن فكرة الإخوان المسلمين تحقق هذه الغاية[١].

هذا هو مجمل الاعتقاد الذي وضعه الإمام البَنّا (رحمه الله) للعاملين معه مستمداً إياه من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وفي ذلك يقول: «إن العقيدة إسلامية توجب على كل مسلم قوي أن يعدُّ نفسه حامياً لكل من تشربت نفسه تعاليم القرآن، فلا يجوز في عرف الإسلام أن يكون العامل العنصري أقوى في الرابطة من العامل الإيماني، والعقيدة هي كل شيء في الإسلام، وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟»[٢].

فإنَّ تلك المواقف المتقدمة في دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله) التي ينظر من خلالها إلى البشرية جمعاء، في إطار التعارف الإنساني والتبادل الثقافي المعرفي، كل ذلك لم يمنعه من مواجهة من ينصب نفسه معادياً للإسلام وأهله.

فيقول: «نحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام، ولا تسير في الطريق؛ لاستعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام، سنعلنها خصومة لا سلم فيها، ولا هوادة معها، حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق، وهو خير الفاتحين»[٣].

ثم يوجه خطابه للإخوان فيقول: «فما اتبعتم غير رسوله زعيماً، وما ارتضيتم غير كتابه منهاجاً، وما اتخذتم سوى الإسلام غاية... فهو موقف إيجابي واضح لا يعرف التردد ولا يتوسط بين الحب والبغض. فإما ولاء وإما عداء!» [٤]. وأكد أن سبيل الإصلاح واحد، هو أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام فتطبقها تطبيقاً سليماً، كما ويحدد معيار القبول والرد للأفكار والمبادئ قديمة أو حديثة، شرقية أو غربية هو ما لا يتنافى مع تعاليم الإسلام ويكون فيه الخير للأمة [١].

---

(١) انظر: حسن البَنّا، الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٤٩٦.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤٢٢.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص١٩٠.

(٤) المصدر السابق ص١٩٠-١٩١.

(١) انظر: المصدر نفسه ص٣٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتضح بأن عقيدة الإمام البَنّا (رحمه الله) في الولاء والبراء أنها قائمة على أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنها تقف عند هذه الحدود الربانية، دون أن يقيد نفسه بغير ما يقيدنا الله به، ولا يلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، وأن الإسلام دين البشرية جميعاً[١].

وإن أفضل ما يتم الله على الإنسان من نعم، وهي نعمة كبرى وهي نعمة الإيمان به فليس في الدنيا أتم ولا أعظم منها- وليس في الدنيا ما هو أقوى ولا أعز ولا أقوم من رابطة الإسلام بين أبنائه، فالمسلمون مهما تباعدت ديارهم، واستطالت المسافة بينهم، لا تزال تجمعهم كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، عقيدة ألفت بين قلوبهم ووحدت بين أرواحهم. ووَحْدة العقيدة التي هي أساس كل وحدة، وهذه هي مهمة الإسلام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١).[٢].

وفي ركن التجرد من أركان دعوته تجده يصنف الناس وفق معيار الإيمان، فيقول: «الأخ الصادق واحد من ستة أصناف: مسلم مجاهد، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أو ذمي معاهد، أو محايد، أو محارب، ولكل حكمه في ميزان الإسلام، وفى حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات، ويكون الولاء أو العداء»[٣].

وقد أكد قدسية رابطة العقيدة، فقال عمن شاركونا الإيمان بالله ودين الله وكتابه وآمنوا ببعثه ورسوله وما جاء به: «هؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط، رابطة العقيدة وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض، فهؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحنّ إليهم ونعمل في سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال، في أي أرض كانوا ومن أية سلالة انحدروا»[٤].

أما سوى هؤلاء فمعيار التعامل معهم قائم على المسالمة ما سالمونا وخلوا بيننا وبين ما ندعو إليه، فقال: «فهؤلاء نسالمهم ما سالموا، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هي رابطة الدعوة، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه؛ لأنه خير الإنسانية كلها،

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٣٥.

(٢) انظر: حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص١٦٠-١٦١.

(٣) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٨٢- ٢٨٣.

(٤) المصدر السابق ص١٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين»[١].

ثم يضيف قائلاً: «لعلي أكون بذلك قد كشفت لك عن هذه الناحية من دعوتنا بما لا يدعها في نفسك ملتبسة أو غامضة، لعلك بعد ذلك عرفت إلى أي قبيل ينتسب الإخوان المسلمون»[٢].

ثم يذكر أثر ذلك الرابط القوي بين المؤمنين كأمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، فقال: "إن الإسلام يعدُّ المسلمين أمة واحدة، تجمعها العقيدة ويشارك بعضها بعضاً في الآمال والآلام، وأي عدوان يقع على واحدة منها أو على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعاً؛ لأنها الأخوة التي تربط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخت الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة: قوة الوحدة، ولا وَحْدة بغير حب"[٣].

بهذا المنطلق الواعي ناقش الإمام البَنّا (رحمه الله) عقيدة الولاء والبراء وفي رحاب منهج القرآن الكريم، والهدي النبوي الحكيم، والفقه الإسلامي الدقيق، فبين ما يجب علينا كمسلمين تجاه كل أصناف الناس وطوائفهم من غير تعسف ولا شطط بل وفق مقياس الحكيم الخبير.

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٤١.

(٢) المصدر السابق ص١٤١.

(٣) المصدر نفسه ص٢٨٣،٣٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

دعاوى حول مسائل عقيدة الولاء والبراء عند الإمام البَنّا (رحمه الله)

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: موقفه من حقيقة الصراع مع اليهود

أما عن موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من حقيقة الصراع الدائر الحالي مع اليهود على أرض فلسطين، أهو صراع سياسي أم صراع ديني؟

وللإجابة على هذا السؤال نذكر بحقائق مهمة في مدخلات أساسية في تركيبة الصراع مع اليهود، الذين تذرعوا بحقهم التاريخي في أرض فلسطين باعتبارها أرض الآباء والأجداد، بقيادة ما أطلق عليها اسم الحركة الصهيونية، وهي حركة سياسية بامتياز وإن كانت لا ترى بأساً في تجيش يهود العالم بدافع الدين والتاريخ للإتيان بهم إلى أرض فلسطين.

وإن الكثير من أدبيات الإسلاميين لم تكن تفرق (إلى سنوات قريبة) بشكل واضح بين معاداة أو محاربة اليهود لكونهم يهوداً وبين معاداة ومقاتلة اليهود المعتدين في فلسطين.

إلا أن الإمام البَنّا (رحمه الله) ومنذ مرحلة مبكرة جداً قدّم تصوراً واضحاً يفرق بين اليهود بكونهم أهل كتاب، تجرى عليهم الأحكام العامة، ولهم حقوقهم المعروفة في الفقه الإسلامي، وبين اليهود الصهاينة المعتدين الذين تجب محاربتهم؛ لقيامهم باغتصاب أرض المسلمين وحقوقهم.

أي أن قتالهم لا يكون لمجرد كونهم يهوداً وإنما ينحصر بقتال من قام منهم بالاعتداء على حرمات المسلمين، ولذلك قال الإمام البَنّا (رحمه الله) أمام لجنة التحقيق البريطانية – الأمريكية في ١٩٤٦/٣/٥ «إن خصومتنا لليهود ليست دينية... والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية... ونحن حين نعارض بكلّ قوة الهجرة اليهودية نعارضها لأنها تنطوي على خطر سياسي اقتصادي، وحقنا في أن تكون فلسطين عربية»[(١)].

ولكن ذلك يوجب علينا مواجهة هذا المشروع الصهيوني الاحلالي الاستيطاني بعقيدة صحيحة؛ لأنه في الوقت الذي يتسربل فيه اليهود بعقيدتهم الزائفة للذود عن افكهم وتحقيق

---

(١) محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون– أحداث صنعت التاريخ– رؤية من الداخل ١٩٢٨–١٩٤٨ ج١ ص٤٥٦، نقلاً عن دراسة بحث منشور في كتاب: بحوث مؤتمر مئوية الإمام البَنّا– المشروع الإصلاحي للإمام حسن البَنّا، تساؤلات لقرن جديد ص ٢٧٤–٢٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحلامهم التلمودية، لاينبغي أن نتنصل من ديننا وننسل من عقيدتنا الحقة، وفلسطين في فهم الإخوان المسلمين «أرض وقفٍ إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يفرّط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جداً منها ولذلك فهي ليست ملكاً للفلسطينيين أو العرب فحسب، بل هي ملك للمسلمين جميعاً.. فعلى المسلمين في كلّ مكان أن يساهموا عملياً في تقديم المال والدم للدفاع عنها»[1].

أما عن طبيعة الصراع وحقيقته مع اليهود على أرض فلسطين فهو صراع سياسي، وهذا ما يوجب علينا أن نتقن العمل السياسي من خلال فهم موازين القوى والتفاعل معها لفرض إرادتنا بحكم الواقع، وأن ندرك طبيعة القوى ومصالحها، ومن قبل أيدلوجيتها حتى يمكن التعاطي الإيجابي البَنّاء، بعيدًا عن العنتريات والقفز في الفراغ، والعيش في معزل عن المتطلبات الضرورية لمسايرة حركة المجتمعات، مع الأهمية كذلك لإدراك ما تمتلكه الأمة من قوى معنوية ومادية كامنة ومذخورة أو جلية وبينة.

وهذا ما برع به الإمام البَنّا (رحمه الله) فانظروا كيف يصف المشهد السياسي في عصره من خلال تلك الرؤية في غاية من الدقة والإيجاز وهو يشخص المشهد السياسي في رسالته الشهيرة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، فالعالم تتجاذبه شيوعية روسية، وديمقراطية أمريكية، وهو بينهما يتذبذب حائراً، لن يصل عن طريق إحداهما إلى ما يريد من استقرار وسلام، ولم تعد لساسة والزعماء تلك القوى فلسفة راقية يقودون بتوجيهها العالم إلا فلسفة المصالح المادية، والمطامع الاستعمارية ومناطق النفوذ والاستيلاء على المواد الخام!

وكل ذلك على صورة من الجشع والنهم لم تر الدنيا لها مثيلاً، وأصبحت هذه المعاني وحده محور التنافس بين الدول المنتصرة، روسيا من جانب وأمريكا وإنجلترا من جانب آخر، وإن حاولت كل منها أن تستر جشعها ومناورتها بستار من دعوى المبادئ الاجتماعية الصالحة، والنظم الإنسانية الفاضلة، باسم الشيوعية أو الديمقراطية، وليس وراء هاتين اللفظتين إلا المطامع الاستعمارية والمصالح المادية في كل مكان.

ويصف المشهد في العالم الإسلامي، فيقول: « وفلسطين مهددة بهذا الاجتياح الذي انتهت إليه هذه المؤامرة الدولية من الأمريكان والروس والإنجليز على السواء، بفعل الصهيونية

(١) مجلة الإخوان المسلمون ١٩٤٧/١٠/٢٥، نقلاً تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية- عبد الفتاح العويسي ص٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العالمية التي سخرت الحكومات والشعوب الغربية بالمال، مع استعدادها السابق، بكل تعصب ذميم على العرب والمسلمين أينما كانوا.

والباكستان الناشئة: تقاسي الأمرين من هذا العدوان الوثني المسلح، المؤيد بدسائس الاستعمار وأسلحة الاستعمار على اختلاف دوله، حتى روسيا- التي تتظاهر باحترام إرادة وأمم الشعوب- تتآمر هي الأخرى على الدولة الناشئة.

وإندونيسيا: التي تبلغ سبعين مليونا أكثرهم من المسلمين، تضغط عليها هولندا تريد أن تحول بين الشعب السلم الباسل وبين ما هو حق طبيعي له من حرية واستقلال.

وطرابلس الغرب وبرقة: تجهز لها حبائل الاستفتاء ولا يدري عواقب هذه اللعنة السياسية إلا الله، وإن غدا لناظره قريب.

وشمال أفريقيا بأقسامه: تونس والجزائر ومراكش، يستغيث ولا مغيث، ويجاهد ما استطاع ليكسر القيود والأغلال التي ضربتها من حوله فرنسا، وحرمته بها حقه في العيش الحر الكريم، ومن الاستقلال التام.

وقل مثل ذلك في كل شعب عربي إسلامي، فإنك لن تجد واحداً منها قد سلم من مناورات الغصب ودسائس الاستعمار... هذا في أوضاعه السياسية، وكلها من حيث الأوضاع الاجتماعية ليست أحسن حالاً مما تقدم ذكره في وادي النيل... وكلنا في الهم شرق.

هذه هي صورة الحال في وطننا الخاص، وفى وطننا العربي والإسلامي وفى وطننا الإنساني العام، وإذا لم تقم في الدنيا أمة تحمل رسالة الحق والسلام فعلى الدنيا العفاء، وعلى الإنسانية السلام» [1].

وبعد أن استعرض المشهد الدولي وما آلت إليه أحوال المسلمين قال: " إنه لمن واجبنا وفى يدنا شعلة النور وقارورة الدواء، أن نتقدم لنصلح أنفسنا وندعو غيرنا، فإنَّ نجحنا فذاك، وإلا فحسبنا أن نكون قد بلغنا الرسالة وأدينا الأمانة وأردنا الخير للناس، ولا يصح أبدًا أن نحتقر أنفسنا، فحسب الذين يحملون الرسالات ويقومون بالدعوات من عوامل النجاح أن يكونوا بها مؤمنين، ولها مخلصين، وفى سبيلها مجاهدين، وأن يكون الزمن ينتظرها والعالم يترقبها... فهل من مجيب؟

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٦٣٣-٦٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ:٤٦) » [١].

ومن جانب آخر نظر الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى فلسطين حيث موقعها الحضاري، ومكانتها الدينية، على أنها من الأهمية بمكانٍ في وجدان وضمير الأمة العربية والإسلامية، فهي خط الدفاع الأول، وليست قضية فلسطين قضية قطر شرقي ولا قضية الأمة العربية وحدها، ولكنها قضية الإسلام وأهل الإسلام جميعاً، ولا محل للتدليل على حقوق العرب فيها، فقال: «إنَّ قضية فلسطين قضية كل مسلم، وإن الحكومات الإسلامية والشعوب الإسلامية إن عجزت عن إظهار هذا الشعور المتمكن من نفوسها كل التمكن بوسائل الإظهار البالغة لظروف خاصة فإنَّ هذا مما يزيد ألمها ويضاعف همومها، وبالتالي لا بد من الانفجار يوما للشعور المكبوت» [٢].

وقد نظر الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى اليهود على أنهم علة العلل في العالم لما يحيكونه من مؤامرات أو ما يمارسونه من جرائم ضد الإنسانية، فقال عنهم: «إنهم أمة من الأمم هي أعرق شعوب الأرض في المشاكسات، ولا زالت هي علة العلل، تلك هي أمة بني إسرائيل، أمة لعنت ولا تزال تلعن، وهي التي أوقدت نار الفتنة ولا زالت توقدها في أطوار حياتها، أوقدتها في الحرب العالمية الأولى والثانية، وستوقدها في الحرب العالمية الثالثة، ولكن ستكون وقودها –إن شاء الله–، فهي شر أينما حلت، وهي بلاء أينما وجدت، فبقدر ما كان الفضل في أولها، بقدر ما فيها من الشر في آخرها»[٣].

وفي تحليل دقيق للإمام البَنّا لنفسية اليهود في ضوء القرآن، يقول: «إن من أخلاق اليهود الطمع، الذي من لوازمه الجبن والخوف والذل، ثم يعقب ذلك الحرمان: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٦٠)، فظلمهم قد رباهم على الذلة والمسكنة والضعف ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١)، فكان ذلك منشأ لمرض القلوب الذي لازمهم وما دام القلب مريضاً كانت الرهبة لغير الله مستولية عليه،

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص ٦٣٤.
(٢) مذكرات الدعوة والداعية– الإمام حسن البَنّا ص٣٠٣– ٣٠٤.
(٣) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا– أحمد عيسى عاشور ص ١٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولذا قال الله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠)، لا ترهبوا أحداً سواء كان من أصحاب الدنيا أم من أصحاب الدين، والآية تسجل على اليهود أنهم خالفوا أمر ربهم، وتذكرهم بعهد الله وحقه عليهم»[١].

ومن أوجه هذا الاعتناء بالقضية الفلسطينية أنه (رحمه الله) أولى لها كل اهتمام في الوقت الذي كانت الهيئات السياسية والأحزاب منصرفة كل الانصراف عن مناصرة فلسطين مناصرة جدية بحكم النعرة الوطنية الخاصة التي لم تكن قد تطورت إلى ذلك الشعور الدفاع بحق العروبة ورابطة الإسلام، ولم يكن المتحرك لفلسطين أو نحوها من أقطار الشقيقة إلا الهيئات الإسلامية.

ومن هنا تقدم الإخوان المسلمون إلى مناصرة فلسطين الثائرة المجاهدة بكل ما فيهم من قوة، ووقفوا على ذلك جهودهم مادياً وأدبياً من حيث الدعاية والخطابة والنشر وجمع المال الخ. وتألفت لذلك لجان وبعثات عملت ما وسعها العمل.

وقرر مكتب الإرشاد العام أن يقنت المسلمون في الركعة الأخيرة من كل صلاة بعد الركوع قنوتاً يدعون فيه بنصرة أهل فلسطين وخذلان أعدائهم ومناوئيهم، وكانت صيغة هذا القنوت على هذا النحو مثلاً: (اللهم غياث المستغيثين وظهير اللاجئين ونصير المستضعفين انصر إخواننا أهل فلسطين، اللهم فرج كربتهم وأيد قضيتهم واخذل أعداءهم واشدد الوطأة على من ناوأهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وارفع مقتك وغضبك عنا يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم؛ حتى تنكشف الغمة وتعود السكينة والله حسبنا ونعم الوكيل)[٢].

وقد لاقت تلك الجهود المباركة ترحيباً طيباً من المفتي الأكبر لفلسطين الحاج أمين الحسيني حيث أرسل إلى اللجنة خطاباً جاء فيه: «حُق علينا أن نشكركم بما أنتم أهله، ونقدر لكم شعوركم الفياض، وحميتكم الإسلامية حق تقديرها، ونعلمكم أن الرأي العام العربي في فلسطين قد تلقى مقرراتكم الحكيمة، ومساعيكم الحميدة بالشكر الجزيل والثناء الكثير، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكلل أعمالكم المباركة بالفوز والنجاح ويجزيكم الجزاء الأوفى على أفضالكم وشهامتكم.

(١) حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا- أحمد عيسى عاشور ص ١٩١.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٢٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولسنا نشك في أن الجهود المشكورة في سبيل نصرة هذه البلاد المقدسة ورفع الحيف والظلم عنها سيكون لها أثر فعال وسينتج عنها خير كثير بإذن الله، وثقوا أنكم بذلك تقدمون أعظم خدمة للمسلمين والعرب جميعاً الذين تهوى أفئدتهم إلى القبلة والمسجد الأقصى في هذه البلاد الصابرة المجاهدة» [١].

فأظهر الإخوان روحا عالية، ووطنية مثالية، واستماتوا في القتال والدفاع في جميع المواقع، حتى قال اللواء فؤاد صادق قائد الجيش في ذلك الوقت عندما سئل عن الإخوان: «كان الإخوان المسلمون جنوداً أبطالاً أدوا واجبهم كأحسن ما يكون»[٢].

وبهذا يتبين حقيقة موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من الصراع مع اليهود حيث عكس قوة بأسٍ لا تدانى في عصرٍ انشغل فيه الكثيرون بهمومهم الضيقة عن الهم العام بما يدمي القلوب ويفتت الأكباد! ووقوف عند مسؤولياته الدينية والوطنية على اعتبار: أن الإسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال، فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والمال فالموت خير من هذه الحياة، حياة العبودية والرق والاستذلال![٣].

الإمام البَنّا (رحمه الله) شهيد القضية الفلسطينية:

ذكر كامل الشريف في جلسات احتفالية نظمها الإخوان المسلمون في الأردن في الذكرى المئوية لميلاد الإمام البَنّا، أن الإمام البَنّا (رحمه الله) كان يخصص دروس الثلاثاء لقضية فلسطين، وكان يستوعب القضية ويتكلم فيها كلام العارفين.

وزاد يقول إن الإمام كان يدرك الخطر في فلسطين، موضحًا أن الإمام الشهيد اتصل به وسأله عن الأوضاع في فلسطين، وأخبره أنه سيحضر بعد أسبوع على رأس ١٠ آلاف مجاهد من الإخوان المسلمين للقتال في فلسطين، ولكن وبعد أسبوع واحد فقط استُشهد الإمام البَنّا! [٤].

وقد صدق الإمام البَنّا (رحمه الله) ربه، فكانت فلسطين هي المسرح الأول لجهاده، ومنها تجلت الصورة الباهرة التي كشفت عن نجاح تجربته، فقد قدم أبناؤه ورجاله أرواحهم خالصة

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٢٨٤.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين- كامل الشريف ص١٧٣- ١٨٩، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص١٦٠-١٦١.

(٣) انظر: مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٣٧٥.

(٤) انظر: الإخوان أون لاين ٢٠٠٦، في تغطية لاحتفالية في المملكة الأردنية الهاشمية: حبيب محفوظ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طاهرة، على نحو أذهل القوى الغربية الاستعمارية، ثم قدم الإمام البَنّا (رحمه الله) حياته وروحه مؤمناً بصناعة الموت وعلى النحو الذي رسمه وفهمه، فمات هذه الموتة الكريمة!![1].

الفرع الثاني: موقفه من التنصير

التنصير في اللغة: نصَّرَ ينصِّر، تنصيرًا، فهو مُنصِّر، والمفعول مُنصَّر، نصَّر ولدَه: جعله نصرانيًّا نصَّر بلدًا- شعبٌ مُنصَّر- سياسة التنصير[2]- وفي الحديث الشريف قال ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» [3].

فالتنصير: هو دعوة الناس للدخول في النصرانية، فإنَّ لم يدخلوا فيها فليخرجوا من دينهم وبخاصة المسلمون[4].

وورد تعريفه في الموسوعة الميسرة: «بأنه حركة دينية سياسية (نصرانية) بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم بعامة، وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب» [5].

فكان من وسائلهم: إرسال البعثات التنصيرية إلى بلدان العالم الإسلامي، والدعوة إلى النصرانية من خلال توزيع المطبوعات من كتب ونشرات تعرف بالنصرانية، وترجمات للإنجيل، ومطبوعات للتشكيك في الإسلام، والهجوم عليه، وتشويه صورته أمام العالم.

ثم اتجهوا أيضا إلى التنصير بطرق مغلفة، وأساليب غير مباشرة ولعل من أخطر هذه الأساليب ما كان عبر التطبيب، وتقديم الرعاية الصحية للإنسان: وقد ساهم في تأثير هذا الأسلوب عامل الحاجة إلى العلاج، وكثرة انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة في البيئات الإسلامية، خصوصا مع مرور زمن فيه ندرة الأطباء المسلمين، بل فقدانهم أصلا في بعض البلاد الإسلامية[6].

---

(١) انظر: حسن البَنّا- الداعية الإمام والمجدد الشهيد- أنور الجندي ص٤١٤- ٤١٥.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ ص٢٢٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، رقم (١٣٥٨) ج٢ ص٩٤.

(٤) انظر: أصول التنصير في الخليج- تأليف هـ. كونوي زيقلر- ترجمة مازن مطبقاني ص٧.

(٥) الموسوعة الميسرة- إحدى إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص١٥٩.
التنصير تعريفه أهدافه وسائله حسرات المنصرين ص٩.

(٦) انظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته- علي النملة ص ٤-٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهداف التنصير[1] :

أ- تفريق الوَحْدة الإسلامية.

ب- إخضاع العالم الإسلامي للسيطرة الغربية النصرانية والتحكم في خيراته ومدخراته.

ت- السيطرة السياسية والتوسع الاستعماري.

وكان قد شهد العالم الإسلامي ولا سيما مصر موجات مكثفة من حملات التّنصير التبشيرية مع بدايات القرن العشرين، تدعمها دول ومؤسّسات عالمية حاقدة على الإسلام، وصاحبت هذه الحملات التّنصيرية حملاتٌ إعلاميّة وثقافيّة وأكاديميّة موازية على الإسلام وحضارته، تثير حوله الشبهات تلو الشّبهات، وتنشر الأكاذيب الملفّقة، وتُضخِّم بعض الأخطاء الّتي يقع فيها أدعياء الإسلام هنا وهناك، وتنسبها إلى الإسلام ذاته، حتّى تنفِّر النّاسَ عنه.

وعقد مؤتمر تنصيري في القاهرة عام ١٩٠٦م - العام الذي ولد فيه الإمام البَنّا (رحمه الله) نوقشت فيه الموضوعات التالية: النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام. ووسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين. وتربية المبشرين والعلاقات بينهم. وكيفية التعليم في الإسلام [2].

وفي مواجهة حملات التنصير التي تستهدف الفقراء والمعوزين وتستغل حاجة الناس إلى العلاج والدواء لتشككهم في دينهم، اعتمد الإمام البَنّا (رحمه الله) في تلك المواجهة الحتمية أسلوب نزع الذرائع التي يستغلها المنصرون، وكذلك تحصين الأمة بالعقيدة الصحيحة، وإزلة الأمية الدينية التي كانت تضرب أطنابها في حاضره الإسلامي، حيث وصف الإمام في مذكراته الجهد الذي قامت به جمعيات الإخوان المسلمين في مواجهة حملات التنصير، فقال: «لقد أبلى الإخوان المسلمون أحسن البلاء في حركة التبشير التي نجم قرنها في هذا العهد، بعدما اعتصموا بالحلم، واستمسكوا بالحكمة، وناضلوا بالتي هي أحسن، واعتمدوا في خطتهم على دعامتين صامتتين:

أولاهما: إفهام الشعب ما يستهدف له، من الخطر بالاتصال بالإرساليات التبشيرية.

---

(١) انظر: التبشير والاستعمار ص٣٤ وما بعدها- وحقيقة التبشير ص ١٥٣ ما بعدها- والتنصير مفهومه وأهدافه- علي النملة ص٣٣.

(٢) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر- أحمد عبد الوهاب ص١٥٩-١٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثانيتهما: الوسائل العملية من جنس وسائل المبشرين.

وقد نجحت هذه الخطة والحمد لله نجاحاً باهراً، وتمكنت الجمعية من القيام بواجبها لا نقول كل الواجب، ولكنه المستطاع وجهد المقل، ونسأل الله المعونة على استيفاء هذا النقص»[١].

فقد كان الإمام البَنّا (رحمه الله) يولي تلك المواجهة أهمية خاصة لما تمثله من تهديد واضح لأغلى ما يملكه المسلمون وهو دينهم الذي هو عصمة أمرهم، لذا فقد كان يتابع التقارير الميدانية عن عمل جمعيات الإخوان المسلمين في تحديها للجمعيات التنصيرية [٢].

ويصف الإمام البَنّا (رحمه الله) : «قامت جمعيات التبشير في القطر المصري في السنين الأخيرة بحركات عنيفة ضد الإسلام، وما دل ذلك على أكثر من اليأس الذي استولى عليها من طول ما أمضت من وقت عظيم، وما بذلت من عناء جسيم، وما حزمت من حمر النعم دون جدوى، حيال ذلك الدين القويم المتين المحفوظ من صاحبه جلت قدرته، غير أن استقامة المسلمين في بث تعاليم الإسلام وآدابه أطمعت أخيراً هذه الجمعيات فينا نسبة لما وصلت إليه حالتنا الأخلاقية وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت!" [٣].

فإنه جهد عظيم الذي اضطلعت به جمعيات الإخوان المسلمين في مواجهة ميكروب التنصير الفتاك بذلك المصل الواقي بإنشاء لجان فرعية لجمعيات الإخوان المسلمين؛ لتقوم بواجبها الديني والوطني والأخلاقي، وفق مقررات مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين.

فيذكر الإمام البَنّا (رحمه الله) توصيف عمل تلك اللجان، فقال: «تحذير الشعب من الوقوع في حبائل المبشرين بالطرق السلمية المشروعة، وإنا لنرجو التوفيق التام لهذه اللجان في مهمتها المقدسة»[٤].

ونحن نستعرض تلك البيانات الميدانية والتوجهات من فضيلة الإمام البَنّا (رحمه الله) نشعر وكأنها ساحة وغى تدور في رحاها حرب لا هوادة فيها فئة تقاتل لتوقع الجيل كاملاً في خداع شَرَكِهم وأتيت كل أسباب الغلبة المادية، وأخرى مؤمنة تصد ذلك العدوان بما أتيت من قوة إيمان وحسن توجيه ومهارة في تجيش الطاقات الفاعلة في رد تلك الغائلة.

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص١٩٦.

(٢) انظر: المصدر السابق ص١٩٧-١٩٨.

(٣) المصدر نفسه ص١٩٩-٢٠٠.

(٤) المصدر نفسه ص٢٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلم يكن الإمام البَنّا ليدخر جهدًا في ذلك النزال الذي يتعرض له الشعب المصري من فلول الحملات الصليبية الفاشلة، فوجه خطاباً عبر مجلس عاما شورى الإخوان بمدينة الإسماعيلية بتاريخ ٢٢ صفر سنة ١٣٥٢ إلى الملك فؤاد، جاء فيه: راجين منكم حماية الشعب من عدوان المبشرين الصارخ على عقائده وأبنائه وفلذات كبده بتكفيرهم وتشريدهم وإخفائهم وتزويجهم من غير أبناء دينهم الأمر الذي حظره الإسلام وحرمه وتوعد فاعليه أشد الوعيد، ثم أضاف البيان قائلاً: «إن مصر زعيمة الشرق، لا تقبل أن تكون يوماً من الأيام مباءة تبشير أو موطن تكفير»(١).

واقترح وسائل ناجعة يمكن أن تقوم بها الحكومة المصرية في مواجهة تلك الحملة التنصيرية البشعة، وهي:

أولاً: فرض الرقابة الشديدة على هذه المدارس والمعاهد والدور التبشيرية.

ثانياً: سحب الرخص من أي مستشفي أو مدرسة يثبت أنها تشتغل بالتبشير.

ثالثاً: إبعاد كل من يثبت للحكومة أنه يعمل على إفساد العقائد وإخفاء البنين والبَنّات.

رابعاً: الامتناع عن معاونة هذه الجمعيات بتاتاً بالأرض أو المال (٢).

وكان بفضل الله أولاً ثم هذا الجهد المبارك الذي قامت به جمعيات الإخوان المنتشرة في أوساط الشعب المصري، والتوجيه المباشر من الإمام البَنّا (رحمه الله) أن باءت هذه المحاولات النصرانية- ولله الحمد- بالخسران المبين، فترتد خاسئة حسيرة.

(١) مذكرات الدعوة والداعية- الإمام حسن البَنّا ص٢٠٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ص٢٠٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثالث: موقف البَنّا من الأقليات الدينية

اتخذ قوم الولاء والبراء تكأة لتعميق العداوة بين المسلمين وبين غيرهم، وهدموا نظام الإسلام الاجتماعي بالنسبة إلي أهل الكتاب، من البر والعدل والإحسان، وظن أهل الكتاب أن الإسلام دين عنصري بدل أن يكون عالمياً، ودين استئصال بدل أن يكون رحمة للعالمين، ودين لا يقبل الأخر، والناظر في أقوال هؤلاء فيما سبق بيانه يجد أنهم لا يفرقون بين الولاء والبراء، وبين البر الجائز شرعاً- بينا ذلك فيما سبق-، ولا يفرقون بين الحربي، والذمي، والمعاهد، والمستأمن [١].

مما جعل الأمر ملتبساً على مناوئيه حيث العلاقة الطيبة للإمام البَنّا بكثير من الأقباط في مصر، وكثيراً ما زار كنائسهم، وجامل رؤساءهم[٢].

كما انه كان يصطحب معه في حضور المؤتمرات الوطنية الكبرى التي كانت تُعقد في عواصم المديريات في مصر؛ لشرح المطالب الوطنية أحد الأقباط المتخصصين في قضية (قناة السويس) وكان اسمه: (نصيف ميخائيل) فإنه لا يرى بأساً الاستعانة بغير المسلمين عند الضرورة، فقال: «ولا بأس أن نستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه ولا بالنوع، مادام موافقاً للقواعد العامة في نظام الحكم الإسلامي»[٣].

وما ذلك إلا تأكيداً على الوَحْدة الوطنية، ودليلاً على التسامح الإسلامي، وسداً لثغرة يتسلل منها الاستعمار عادة إلى التفرقة بين أبناء البلد الواحد (فرق تسد) [٤].

فإنَّ الإمام البَنّا (رحمه الله) قد تحدث عن الوَحْدة بين المسلمين والأقباط المسيحيين، خلال حديثة عن الوَحْدة إذ كانت العلاقة بين الطرفين طيبة، ولم تُثر فتنة الطائفية في ذلك الوقت بعد، بل كانت الوَحْدة هي النغمة السائدة، وكانت الصلات الحسنة تجمع بين المسلمين والمسيحيين بصفة عامة[٥].

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٢٣٥.

(٢) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص١٠٦.

(٣) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٢٧٩.

(٤) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص ١٠٧.

(٥) انظر: المرجع السابق ص١٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كتب الإمام البَنّا (رحمه الله) عن حماية الإسلام للأقليات عموماً، وذلك في رسالة (نحو النور)[1] ومما جاء في هذه الرسالة تحت عنوان: (الإسلام يحمي الأقليات، ويصون الأجانب): «يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساساً لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة، وينافي الوَحْدة بين عناصر الأمة، وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر، ولكن الحق غير ذلك تماماً.

فإنَّ الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الذي لا يحتمل لبساً ولا غموضاً في حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨)، فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم.

وإن الإسلام الذي قدّس الوَحْدة الإنسانية العامة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣)، ثم قدس الوَحْدة الدينية العامة كذلك فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعاً في قوله ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٣٦ – ١٣٧)، ثم قدس بعد ذلك الوَحْدة الدينية الخاصة في غير صلف ولا عدوان فقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: ١٠).

هذا الإسلام الذي بني على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سببا في تمزيق وَحْدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوَحْدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني فقط.

---

(١) وهي في الأصل خطاب أرسل به الإمام إلى الملك فاروق– ورئيس وزراء مصر يومئذ مصطفى النحاس– وإلى عدد من ملوك وحكام بلدان العالم الإسلامي– كما بعث به إلى عدد من الشخصيات الهامة– والمرموقة في الأقطار العربية والإسلامية. انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص١٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حدد الإسلام تحديداً دقيقاً من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم، فقال تعالى بعد الآية السابقة: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٩)، ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه.

وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا، فإنَّ فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (آل عمران: ١١٨ – ١١٩) وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحي جميعاً أدق العلاج وأنجحه وأصفاه» [١].

وكرر تلك المعاني وهذه المبادئ في التعامل مع الأقليات الدينية الذين يعيشون بين ظهرانينا في أكثر من مناسبة فقال في مؤتمر الطلبة- تحت عنوان حماية الأقليات: قد كفل الإسلام حقوق الأقليات بنص قرآني هو قول الله تبارك وتعالى ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨) [٢].

وأكد ذلك في مؤتمر الشباب، فقال: «يخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصري بين طبقات الأمة فنحن نعلم أن الإسلام عني أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بني الإنسان في مثل. قوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨) » [٣].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البنّا ص١٦٩-١٧١.

(٢) المصدر السابق ص٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه ص٤٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأضاف قائلاً: «كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا). نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية، ولا إلى عصبية طائفية، ولكننا إلى جانب هذا لا نشتري هذه الوَحْدة بإيماننا ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى. فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنَّا له خطأ ما ذهب إليه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨) »[١].

وفي رسالة مؤتمر رؤساء المناطق والشعب يجيب عَمَّا يثار من تساؤلات حول جدية المناداة بتحكيم شرع الله، فقال: «يقول الناس وما تفعلون بالأجانب وبغير المسلمين من المواطنين؟ فنقول: يا سبحان الله لقد حل الإسلام هذا الأشكال، وصان وَحْدة الأمة عن التشقق والانقسام، وقرر حرية العقيدة والتعبد وما يلحق بهما فقال القرآن الكريم ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، كما كان شعاع التعامل بين المواطنين في أرض الإسلام دائماً (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وليس وراء ذلك من التسامح زيادة لمستزيد»[٢].

فإنه وبهذا الفهم العميق لمعاني ديننا الحنيف يرسي قواعد العمل الوطني في إطار من الاحترام والتقدير لكل الخيرين الذين يجدون بأوقاتهم ويبذلون جهودهم في خدمة مجتمعاتهم بغض النظر عما تدين به لله رب العالمين، كما أنه يوضح أن تلك المودة والتواصل وهذه الوَحْدة ليست على حساب إيماننا كما أنه لا يُساوم في سبيلها على عقيدته.

أما عن الجزية التي وصفها بأنها أبلغ معاني الإنصاف والمرحمة التي جاء بها الإسلام، فقال (رحمه الله) : «الجزية ضريبة كالخراج تجبى على الأشخاص لا على الأرض، والكلمة عربية مشتقة من الجزاء لأنها تدفع نظير شيء هو الحماية والمنعة، أو الإعفاء من ضريبة الدم والجندية، وذهب بعض العلماء إلى أنها فارسية معربة وأصلها «كزيت» ومعناها الخراج الذي يستعان به على الحرب.

ولقد قرر الإسلام ضريبة الجزية على غير المسلمين في البلاد التي يفتحها نظير قيام الجند الإسلامي بحمايتهم وحراسة أوطانهم والدفاع عنها في الوقت الذي قرر فيه إعفاءهم من الجندية، فهي «بدل نقدي»لضريبة الدم، وإنما سلك الإسلام هذه السبيل ولجأ إليها مع غير المسلمين من باب التخفيف عليهم والرحمة بهم وعدم الإحراج لهم حتى لا يلزمهم أن يقاتلوا في

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٤٢٦.

(٢) المصدر السابق ص٥٧٨- ٥٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفوف المسلمين فيتهم بأنه إنما يريد لهم الموت والاستئصال والفناء والتعريض لمخاطر الحرب والقتال، فهي في الحقيقة (امتياز في صورة ضريبة) وفى الوقت نفسه احتياط لتنقية صفوف المجاهدين من غير ذوى العقيدة الصحيحة والحماسة المؤمنة البصيرة ومقتضى هذا أن غير المسلمين من أبناء البلاد التي تدخل تحت حكم الإسلام إذا دخلوا في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع أسقط الإمام عنهم الجزية، وقد جرى العمل على هذا فعلاً في كثير من البلاد التي فتحها خلفاء الإسلام، وسجل ذلك قواد الجيوش الإسلامية في كتب ومعاهدات لا زالت مقروءة في كتب التاريخ الإسلامي»[1].

ثم يصف مؤكداً أن الإسلام دين الوَحْدة السليمة، فقال (رحمه الله): «بذلك قضى الإسلام على كل مواد الفرقة والخلاف والحقد والبغضاء والخصومة بين المؤمنين من أي دين كانوا، ولفتهم جميعاً إلى وجوب التجمع حول «شريعة الإسلام» ونبذ كل ما من شأنه العداوة والخصام بين بنى الإنسان، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢).

فإنَّ أبى الناس إلا أن يفترقوا ويختلفوا ويحتكموا إلى أهوائهم باسم الدين فإنَّ الإسلام وبني الإسلام وشريعة الإسلام الإنسانية العامة منهم براء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٥٩ – ١٦٣)»[2].

فليس هناك بيان بعد هذا التأصيل العلمي المستنير، وحسن بيانه لمقصود الدين من قضية لاكها الكثير ظناً منهم أنها تعيب، ولكنها بحق كانت رحمة وامتيازاً كما إنها تنقية لصفوف المجاهدين من غير ذوي العقيدة الصحيحة.

ولهذا أمرنا الإسلام أن ندع أهل الأديان الأخرى، ونضمن لهم حرية إقامة شعائرهم وعباداتهم، مقابل أن يدفعوا الجزية، ويمكن أن تقوم مقامها الضرائب التي يدفعها لخزانة الدولة

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص٧٠٣.

(٢) المصدر السابق ص٦٨١– ٦٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المواطنون من ذوى الأديان الأخرى، بل أمرنا أن ندع لهم حرية في أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، وألا نقيم عليهم من الحدود إلا ما كان خاصاً بحقوق العباد، أما ما كان خاصاً بحقوق الله فأمره إلى الله، بل ذهب في تقديس حرية العقيدة إلى أن أمر المسلمين أن يعاملوا المجوس كما يعاملون الكتابيين(١).

فأهل الكتاب إذا في مجتمع المسلمين يُعرفون (بأهل الذمة) لهم حقوق، تجمعها القاعدة الإسلامية المعروفة: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) تلك القاعدة التي أجمع عليها فقهاء المذاهب، ومن هنا وجب حماية الدولة والمسلمين لهم فيما يأتي(٢):

١. حماية أموالهم وعدم ظلمهم، وحماية دمائهم وأعراضهم.
٢. حق الإقامة والتنقل للتجارة وغيرها.
٣. حقوق التملك وما يتبعها.
٤. عدم التعرض لهم في عقيدتهم وعبادتهم، وتركهم وما يدينون به.
٥. برهم والإحسان إليهم ماداموا على العهد مع المسلمين، وشروط ذلك معروفة.

المعلوم أن التسمية التي يسميها علماء الفقه الإسلامي لأهل الكتاب، وهى (الذميين) أو (أهل الذمة) هي ضمان الأمان، كل الأمان، فإنَّ فيها استثارة لمعاني الرجولة السامية، التي تجعل الإنسان بعيدًا كل البعد عن مجرد التفكير في خفر الذمة، والغدر بقوم أعطوا ميثاق الأمان؛ لأنها جريمة من أكبر الجرائم في عرف الإسلام، بل على العكس، فإنَّ مجرد الشعور بأنهم (أهل الذمة) يدفع المسلمين دفعاً إلى المبالغة في الحفاظ عليهم، حتى لا يشعروا بأقل مظاهر الظلم والعدوان، ومن ثم الحفاظ عليهم؛ ليعيش الجميع في محبة وسلام(٣)، ولكن على قاعدة: أن المسلم مُطالَب بالسماحة مع أهل الكتاب، ولكنه مَنْهِيٌّ عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم(١).

---

(١) قال عبد الرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب». أخرجه الموطأ- جامع الأصول في أحاديث الرسول ج٢ ص٦٦٠، انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٩٢-٩٣.

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة في موسوعة الفقه الإسلامي ج ٧ ص١٣١.

(٣) انظر: دستورنا- حسن الهضيبي ص ٩-١١، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٩٤-٩٥.

(١) انظر: في ظلال القرآن ج٢ ص٩١٠، عند تفسير الآية ٥١ من المائدة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الرابع: موقفه من القومية:

القومية[١] مبدأ سياسيّ اجتماعيّ يُفضّل معه صاحبه كلّ ما يتعلّق بأمّته على سواه ممّا يتعلّق بغيرها، أو هي الاعتقادُ السَّائد لدى الشَّعب في أنّه يشكّل جماعة متميِّزة ذات سمات خاصَّة تميِّزه عن الآخرين، مع توفّر الرَّغبة في حماية هذا التَّميُّز والارتقاء به ضمن حكومة ذاتيّة [٢].

أما وقد ابتليت الأمة بأناس يكفرون الأسماء، بصرف النظر عما يُقصد بها، فمثلاً من الغرائب التي يقولون بها: الوطنية كفر صراح، والقومية أشد منها كفراً!

هكذا بدون أسباب أو تفصيل، واكتفوا من الغنيمة بالإياب، ولم يكلف هؤلاء أنفسهم بالبحث فيما يوافق منها الإسلام وما يخالفه، وما ينبغي السكوت عنه وما لا ينبغي.

لكن يظهر أن هناك أناس يتعشقون التكفير والتبديع، ويتقربون إلي الله بإخراج الناس من الملة، فهؤلاء لا يقتصر ضررهم هذا على أنفسهم بل يتعداهم إلى المجتمع وإلى الإسلام[٣]، وإن كان مقصود القومية الحفاظ على الوطن الإسلامي وعلى ديار المسلمين، فالتكفير بالجملة ليس من شيم العلماء المعتبرين، ولهذا فصَّل الإمام البَنّا (رحمه الله) المفاهيم وبين ما فيها مما تحمله دلالات متعددة ومضامين متنوعة.

فعند حديثنا عن القومية كفكرة فإنها ومنذ بدايتها نادت إلى جمع العرب، لكن بفعل الضغط الغربي والنفوذ الفكري الذي مارسه من خلال تحكمه في التعليم والتنشئة، نشأت أجيال بث فيها ثقافاته وقيمه؛ فأصبحت القومية محملة بمضامين غربية ليبرالية، واشتراكية، وتقدمية، وبالتالي سقط في كثير من الحالات الهدف التوحيدي الذي نادت به، وذلك لأن الأيديولوجيات التي حكمت الفكرة القومية لم تكن أيديولوجيات جامعة، بل أيديولوجيات مفرقة، وعندئذ فقد فرقت تلك المضامين التي استوطنت القومية العربية شمل العرب، ولم تجمعهم على شيء، ولم

---

(١) القَوْميَّة: مفرد اسم مؤنَّث منسوب إلى قَوْم، مصدر صناعيّ من قَوْم، وهي صلة اجتماعيَّة عاطفيّة تنْشأ من الاشتراك في الوطن واللغة ووحدة التاريخ والأهداف، وهي دعوة إلى توحيد العرب تحت شعار القوميّة العربيّة. فـ(القومية) صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة كالقومية العربية. انظر: المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٦٨.

(٢) انظر معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ ص١٨٧٧.

(٣) انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٢٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحقق لهم شيئاً غير التردي والانحطاط، في ظل ما تعاني به أمتنا من غـزوٍ يهـدد مصـيرها، الأمر الذي جعل هذه الأيديولوجيات تنحسر يوماً بعد يوم [١].

ومن خلال ما تميز به الإمام البَنّا (رحمه الله) من القدرة على التحليل الـدقيق للمفـاهيم وتصنيفها وفق معيار المصلحة المتحققة في ضوء النص الشرعي نجده مـدافعاً عـن العروبـة والقومية كفكرة جامعة لوَحْدة العرب، بل ويدعو بوضوح إلى تأييد فكرة الجامعة العربية، وتأييد العروبة بعد أن فصلها مبيناً الغث من السمين في ظرف ذلك المفهوم.

فهي إذا قضية متداخلة وما أثير حولها من لغط حمَّلها دلالات غيرمـا تحتملـه؛ لـذلك سنوضح بشيءٍ من التفصيل موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) مـن القوميـة التـي لـم تبـرز – وخصوصاً القومية العربية – إلا في الخمسينيات من القرن الماضي الميلادي.

وقد تحدَّث عنها الإمام البَنّا (رحمه الله) من الوجهة النظرية، وقسمها إلى أنواع وألوان، منها ما يُقبل، ومنها ما يُرفض[٢]، وفق ما عُرف به الإمام البَنّا (رحمه الله) من سـعة الإطـلاع والتأني في إصدار الأحكام والقدرة الفائقة على الفرز بين النظائر والأشـباه؛ لـذا نجـده يقسـم القومية إلى أقسام؛ فيعطي كل قسم منها الحكم الذي يوافقه في ضوء الفقه السياسي الشرعي.

فقال (رحمه الله) مفصلاً أنواع تلك القوميات:

قومية المجد: فإنَّ كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسلاف في مراقي المجد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة، وأن تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة، وأن عظمة الأب مما يعتز به الابن ويجد لها الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة، فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به، وهل عدتنا في إيقاظ همة الحاضرين إلا أن نحدوهم بأمجاد الماضين؟ ولعل الإشارة إلى هذا ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا..** » [٣].

قومية الأمـة: وإذا قصد بالقومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيـره وبـره، وأحقهـم بإحسانه وجهاده، فهو حق كذلك، ومن ذا الذي لا يرى أولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فـيهم ونما بينهم؟

---

(١) انظر: حوارات قصي صالح الدويش– راشد الغنوشي ص٥٧.

(٢) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا– يوسف القرضاوي ص٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه– كِتَابُ المَنَاقِبِ– بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]، رقم (٣٤٩٣) ج٤ ص١٧٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قومية التنظيم: وإذا قصد بالقومية أننا جميعاً مبتلون مطالبون بالعمل والجهاد، فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى تلتقي جميعاً -إن شاء الله- في ساحة النصر فنعم التقسيم هذا، ومن لنا بمن يحدو الأمم الشرقية كتائب كل في ميدانها حتى نلتقي جميعاً في بحبوحة الحرية والخلاص؟ ويعقب بقوله: «كل هذا وأشباهه في معنى القومية جميل معجب لا يأباه الإسلام، ((وهو مقياسنا))، بل ينفسح صدرنا له ونحض عليه»(١).

وبعد أن استعرض الإمام البَنّا (رحمه الله) الأوجه الطيبة والدلالات الحسنة التي يتضمنها مفهوم القومية، نجده بعد ذلك يبين ما يسكنها من أمراض قد تفسد ما بها من جمال،، فقال موضحاً ومعقباً على كل منهما:

القومية الجاهلية: أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست، وإقامة ذكريات بائدة خلت، وتعفيه حضارة نافعة استقرت، والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس، كما فعلت بعض الدول في المغالاة بتحطيم مظاهر الإسلام والعروبة، حتى الأسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة، وإحياء ما اندرس من عادات جاهلية، فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة وسيئ المغبة، يؤدي بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرقه ونبله، ولا يضر ذلك دين الله شيئاً في: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد: ٣٨).

قومية العدوان: وأما أن يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى، والعدوان عليها والتضحية بها في سبيل عزة أمة وبقائها، كما تدعي كل أمة تنادي بأنها فوق الجميع. فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الإنسانية في شيء، ومعناه أن يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الأوهام لا حقيقة له ولا خير فيه»(٢).

ثم يبين موقفه من الشعارات الجاهلية مثل الفرعونية والفينيقية والآشورية وغيرها مما يثيره أعداء الإسلام علي حساب الولاء للإسلام وأهله.

فيقول: «الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها، ولا يقولون: فرعونية وعربية وفينيقية وسورية، ولا شيئاً من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز بها الناس، ولكنهم يؤمنون بما: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ**

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٣٧، ١٣٨.

(٢) المصدر السابق ص١٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى ألا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ : لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.. » (١).

ما أروع هذا وأجمله وأعدله! الناس لآدم فهم في ذلك أكفاء، والناس يتفاضلون بالأعمال، فواجبهم التنافس في الخير، دعامتان قويمتان لو بنيت عليهما الإنسانية لارتفعت بالبشر إلى علياء السموات، الناس لآدم فهم إخوان فعليهم أن يتعاونوا وأن يسالم بعضهم بعضاً، ويرحم بعضهم بعضاً، ويدل بعضهم بعضاً على الخير، والتفاضل بالأعمال.

فعليهم أن يجتهدوا كل من ناحيته حتى ترقى الإنسانية، فهل رأيت سموا بالإنسانية أعلى من هذا السمو أو تربية أفضل من هذه التربية؟» (٢).

ويبين موقفه من العروبة فقال متحدثاً عن خواص العروبة: «ولسنا مع هذا ننكر خواص الأمم ومميزاتها الخلقية، فنحن نعلم أن لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى والأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان، بل عليها أن تتخذ ذلك وسيلة إلى تحقيق النهوض بالإنسانية، ولعلك لست واجدًا في التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله ﷺ»(٣).

ثم يبين الإمام البَنّا (رحمه الله) أن ولاء المسلم لعقيدته وليس لغيرها فيقول متحدثاً عن رابطة العقيدة: «إن الإخوان المسلمين بالنسبة إليهم قسمين: قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه وآمن ببعثه ورسوله وما جاء به، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط، رابطة العقيدة وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض، فهؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحنّ إليهم ونعمل في سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال، في أي أرض كانوا ومن أية سلالة انحدروا، وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط، فهؤلاء نسالمهم ما سالموا، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هي رابطة الدعوة، علينا أن

---

(١) رواه أحمد في مسنده، رقم (٢٣٤٨٩) ج٣٨ ص٤٧٤، قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة- كتاب الحدود- باب تحريم دم المسلم وماله وعرضه، (٣٤٨٥) ج٣ ص ٢٢٦: رواه مُسَدَّد، ورجاله ثقات، أخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط ج٥ص٨٦، رقم (٤٧٤٩) قال الهيثمى ج٨ص٨٤ : رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٣٩-١٤٠.

(٣) المصدر السابق ص١٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ندعوهم إلى ما نحن عليه؛ لأنه خير الإنسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين»[1].

وبهذا العرض التفصيلي المتفحص لدقائق الأمور يكون الإمام البَنّا (رحمه الله) قد كشف لنا عن أهم جوانب دعوته بما لا يدع شيئاً في أنفسنا ملتبساً أو غامضاً، كل ذلك تجلى لنا من خلال علمه النابه، وفهمه العميق، وبصيرته النفاذة في معرفة السياسات الشرعية التي تحكمها المصالح المعتبرة وفق القواعد الكلية الضابطة.

وبعد تلك الدراسة يستطيع كل صاحب لب وعقل، أن يعرف حديث الرائد الذي لا يكذب أهله، وأن يفقه علم وجهد الدعاة الربانيين، وكفاح الصادقين المحتسبين: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

وليس بعد هذه الروعة في بيان الإمام البَنّا (رحمه الله) في العلم وسياسة العمل به، أن يأتي بعض أصحاب الطفولات العلمية فيخبط في الأمور خبطاً عشوائياً مضحكاً، بدل أن يجلس ويطلب العلم والفهم!

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الخامس: موقفه من الوطنية[1]:

عاصر الإمام البَنّا (رحمه الله) الدعوة الجارفة إلى الوطنية والقومية- كما سبق أن بينا- والتي أراد أعداء الإسلام أن يضعفوا بها ولاء المسلم لأخيه المسلم أينما كان، ويقيموا هذه الدعوات على حساب الولاء والبراء في الإسلام.

ولكنَّ أناس يتسرعون في الفتوى تسرعاً عجيباً وبعض هؤلاء المتسرعين من حملة الإسلام، أباحوا لأنفسهم أن يفتوا في أي قضية من القضايا دون أن يملكوا أهلية ذلك، وغابت عنهم النظرة الكلية للإسلام وغابت عنهم كليات الإسلام، وضاقت آفاقهم ولم يعرفوا عصرهم ولم يحسنوا أن يضعوا الأمور في مواضعها، ولم يحسنوا أن يتخذوا المواقف الصحيحة من حولهم؛ فاضطربت نتيجة لذلك نظراتهم، واختلطت تصوراتهم.

ومنهم من لم يعرف ضوابط الحكم العقلي وضوابط الحكم الشرعي، وضوابط الحكم التجريبي، فحدث نتيجة ذلك غلط كثير وخطأ كثير وضلال كبير عظيم، ومن ثم فإننا ندعو المسلم إلى دراسة العقائد الإسلامية، كما سجلها أئمتنا العظام، وندعو المسلم إلى دراسة الكتاب والسنة واتجاهات الأئمة عامة في فهم نصوصهما، وندعو المسلم إلى أن يعرف عصره لأن الفتوى تقدر زماناً ومكاناً وشخصاً[2].

وعندما أدرك أعداء الإسلام مدى جدوى وفاعلية رابطة العقيدة في تمتين الصف المؤمن، ومدى تأثيره في تجيش الأمة في مواجهة المخاطر والتحديات، كان لابد أن يوجهوا جهودهم نحو تلك الروابط التي مبناها الولاية الحق من خلال بث فكرة القومية والوطنية[3].

فماذا كان موقف الإمام البَنّا (رحمه الله) من الوطنية بعد أن بينا موقفه من القومية؟، فقال مبيناً موقفه من تلك الدعوات التي طغت في عصره ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار، فوزنها

---

(١) **وطَنِيَّة لغةً:** مفرد اسم مؤنَّث منسوب إلى وَطَن، الوطنية مصدر صناعيّ من وَطَن. **والوطنيَّة في الاصطلاح:** إرادة منبثقة من الوَطَن وممثِّليه. حُبّ الوطن والإخلاص والتَّضحية من أجله. وهي سياسة اجتماعيّة تقوم على حماية مصالح أهل البل معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ ص٢٤٦٣.

(٢) انظر: جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما- سعيد حوَّى ص٨١- ٨٢، انظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٢٢٣.

(٣) انظر: محمد سعيد القحطاني- رسالة ماجستير ص٤١٤، نقلاً : الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- توفيق الواعي ص٢٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بميزان دعوته، فما وافقها رحب به، وما خالفها تبراء منه: «ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءًا صالحاً من أية دعوة إلا ألمت به، وأشارت إليه»[١].

بتلك المنهجية العلمية التي ليس للعاطفة مكان فيها؛ فالحكم لله وبميزانِ عدل دقيق، مبني على أساس الإفادة من أي خير أياً كان مصدره، والتبرؤ من الشر مهما كانت جهته.

ولهذا تجد الإمام البَنّا (رحمه الله) يُفصّل القول في الوطنية تفصيلاً دقيقاً ومحددًا المفاهيم الغامضة، أو المحتملة لاختلاف الأفهام، وعلى تفصيل المعاني والمصطلحات المجملة، وضبط الكلمات الهُلامية، التي يفسّرها كل فريقٍ بما يمليه عليه هواه، أو تبعيته لفكرة معينة[٢].

فقسم الإمام البَنّا (رحمه الله) الوطنية إلى قسمين، قسم يتفق مع الإسلام، والآخر يختلف معه.

أولا: ما يتفق مع الإسلام[٣] :

وطنية الحنين: إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض، وألفتها والحنين إليها والانعطاف حولها، فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى، ولقد سمع رسول ﷺ وصف مكة من أصيل فجرى دمعه حنيناً إليها، وقال: **(وَيْهَا يا أصيل دع القلوب تقر)**[٤].

وطنية الحرية والعزة: وإن كانوا يريدون العمل بكل جهد في تحرير الوطن من الغاصبين وتوفير استقلاله، وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضا، وقد شدد الإسلام في ذلك أبلغ التشديد، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)، ويقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٤١).

وطنية المجتمع: وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد، وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضاً، ويراه الإسلام فريضة لازمة، ويقول القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ١١٨).

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٣١.

(٢) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص٥٩.

(٣) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٣٢-١٣٤.

(٤) ذكره الحافظ فى الإصابة، ترجمة أصيل بن سفيان، وعزاه لأبى موسى فى الذيل ج١ ص٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيقول نبيه ﷺ قَالَ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّـهِ إِخْوَانًـا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ**» (١).

وطنية الفتح: وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض، فقد فرض ذلك الإسلام ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣).

ثانيا: ما لا يتفق مع الإسلام(٢):

وطنية الحزبية: وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر، وتتضاغن، وتتراشق بالسباب، وتترامى بالتهم، ويكيد بعضها لبعض، وتتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء، وشكلتها الغايات والأعراض، وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصية، والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته، ويزيد وقود هذه النار اشتعالاً، يفرقهم في الحق ويجمعهم على الباطل، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض، ويحل لهم هذه الصلة به والالتفات حوله، فلا يقصدون إلا داره، ولا يجتمعون إلا زواره، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس.

ثم بعد هذا التقسيم الدقيق قبل أن يلقي الأحكام جزافاً، أو أن يأخذ الأمور على عواهنها، تجده يعقب، ويقول: «فها أنت ذا قد رأيت أننا مع دعاة الوطنية، بل مع غلاتهم في كل معانيها الصالحة التي تعود بالخير على البلاد والعباد، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنية الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام»(٣).

ثم يبن الحد الفاصل بين ما جاز من الوطنية وما سكنها من فساد، فقال: «أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعدُّونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس بإحساسهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب كتاب الأدب- باب ما ينهى التحاسد والتدابر، رقم (٦٠٦٥) ج ٨ ص١٩، وأخرجه مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، رقم (٢٥٥٩) ج٤ ص١٩٨٣.

(٢) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٣٤.

(٣) المصدر السابق ص١٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك، فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض، ويظهر ذلك الفارق العملي فيما إذا أرادت أمة من الأمم أن تقوى نفسها على حساب غيرها فنحن لا نرضى ذلك على حساب أي قطر إسلامي، وإنما نطلب القوة لنا جميعاً، ودعاة الوطنية المجردة لا يرون بذلك بأسًا، ومن هنا تتفكك الروابط وتضعف القوى، ويضرب العدو بعضهم ببعض.

غاية وطنيتنا: إن الوطنيين فقط جل ما يقصدون إليه تخليص بلادهم، فإذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك اهتموا بالنواحي المادية كما تفعل أوربا الآن، أما نحن فنعتقد أن المسلم في عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله في سبيل أدائها، وهي هداية البشر بنور الإسلام، ورفع علمه خفاقاً في كل ربوع الأرض، لا يبغي بذلك مالاً ولا جاهًا وسلطاناً على أحد ولا استعبادًا لشعبٍ، وإنما يبغي وجه الله وحده، وإسعاد العالم بدينه وإعلاء كلمته، وذلك ما حدا بالسلف الصالحين- رضوان الله عليهم- إلى هذه الفتوح القدسية التي أدهشت الدنيا، وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضل»[1].

كما أكد المعني نفسه في رسالة المؤتمر الخامس دفاعاً عن الإخوان، حيث غمزهم البعض في وطنيتهم وحبهم لبلدهم في فترة جن الناس بالوطنية، وصاروا يقيسون إخلاص الناس لأمتهم بمقدار حبهم لها، فوضح الإمام – رضوان الله عليه – الحق في ذلك، فقال: «فما موقف الإخوان المسلمين من هذا الخليط من الأفكار والمناحي؟ ولاسيما وكثير من الناس يغمزون الإخوان المسلمين في وطنيتهم، ويعدُّون تمسكهم بالفكرة الإسلامية مانعاً إياهم من الإخلاص للناحية الوطنية.

والجواب عن هذا أننا لن نحيد عن القاعدة التي وضعناها أساسا لفكرتنا وهى السير على هدى الإسلام وضوء تعاليمه السامية، ثم استطرد يفصل الأمور على نحو ما سبق بيانه» [2].

ثم يبين الإمام البَنّا (رحمه الله) درجة الاهتمام بالأوطان وتعددها، فقال: «قد وسع الإسلام حدود الوطن الإسلامي، فالوطن في عرف الإسلام يشمل: القطر الخاص أولاً، ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار، ثم يرقى إلى الإمبراطورية الإسلامية الأولى التي شيدها الأسلاف بدمائهم الغالية العزيزة فرفعوا عليها راية الله، ولا تزال آثارهم فيها

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٣٤-١٣٥.

(٢) المصدر السابق ص٣٦١-٣٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تنطق بما كان لهم من فضل ومجد، فكل هذه الأقاليم يُسأل المسلم عنها بين يدي الله تبارك وتعالى لماذا لم يعمل على استعادتها، ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعاً، ألست تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٣).

وبذلك يكون الإسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جميعاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣) »[١].

فبين أن وطنية المسلم بما ذكره تخالف وطنية الأمم غير الإسلامية مخالفة جذرية، وقد أبان الإمام البَنّا (رحمه الله) ذلك، فقال: «قد عملت الأمم الحديثة على ترسيخ هذا المعنى في نفوس شبابها ورجالها وأبنائها جميعاً. ومن هنا سمعنا: (ألمانيا فوق الجميع)، و(إيطاليا فوق الجميع)، و(سودي يا بريطانيا واحكمي).

ولكن الفارق بين الشعور الذي يمليه المبدأ الإسلامي، إن شعور المسلم يتسامى حتى يتصل بالله، على حين ينقطع شعور غيره عند حد القول فقط، من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ الإسلام حدد الغاية من خلق هذا الشعور وشدد في التزامها، وبين أنها ليست العصبية الجنسية والفخر الكاذب بل قيادة العالم إلى الخير، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤)، ومعنى ذلك مناصرة الفضيلة ومقارعة الرذيلة واحترام المثل الأعلى وملاحظته عند كل عمل، ولهذا أنتج الشعور بهذه السيادة في السلف المسلم منتهى ما أثر عن الأمم من عدالة ورحمة.

أما مبدأ السيادة في نفس الأمم الغربية فلم يحدد غايته بغير العصبية الخاطئة، ولهذا أنتج التناحر والعدوان على الأمم الضعيفة؛ فكان المبدأ الإسلامي أخذ خير ما في هذه الناحية، وأراد أن ينطبع بذلك أبناؤه، وجنبهم ما فيها من شر وطغيان، ولقد وسع الإسلام حدود الوطن الإسلامي فأوصي بالعمل لخيره، والتضحية في سبيل حريته و عزته»[٢].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام البَنّا ص١٦١- ١٦٢.

(٢) المصدر السابق ص١٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبذلك يتقرر أن الإمام البَنّا (رحمه الله) لا يرى تنافياً بين الدعوة إلى الوَحْدة الإسلامية، والدعوة إلى الوَحْدة الوطنية أو الوَحْدة العربية إذ فهم كل منها الفهم السليم، ووضعت في موضعها الصحيح، بل وتأكد من خلال عرضه السابق من أنه لا تعارض بين هذه الوحدات الثلاث الوطنية والقومية والإسلامية بهذا الاعتبار، وبأن كلاً منها تشد أزر الأخرى، وتحقق الغاية منها، أما إذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحاً يميت الشعور بما عداها فإنَّ ذلك مرفوض في دعوة الإمام البَنّا (رحمه الله) بل جعله فارقاً بينه وبين كثيرٍ من الناس.

ولذلك كان حرصه واضحاً في إزالة وهم التعارض بين الوَحْدة الوطنية، والوَحْدة العربية، والوَحْدة الإسلامية.

حيث ركز على هذا المعنى في أكثر من رسالة من رسائله الموجهة لأبناء جماعته. ففي الأصل الأول من (أصوله العشرين) التي جعلها أساس فهم الإخوان لأسس دعوتهم، فكان هذا الأصل أن الإسلام دولة ووطن أو حكومة وأمة.

والواقع أنه لا دولة بدون وطن، فمن مقومات الدولة أن يكون لها أرض مستقلة محددة الأبعاد تسود فيها وتحكم. وهذه هي الأوطان.

وأن الذي ينكره الإمام البَنّا (رحمه الله) هو(العصبية الإقليمية) الضيقة، والمبالغة في الوطنية بحيث تصبح بديلاً عن الدين، ويغدو الوطن وثناً يُعبد مع الله أومن دون الله!

وتمسي العاطفة الوطنية بديلاً عن العاطفة الدينية، ويصبح الولاء للوطن لا لله، والإقسام بالوطن لا بالله، والبداية باسم الوطن لا باسم الله، والعمل لوجه الوطن لا لوجه الله[1].

وفي هذا يقول الإمام البَنّا (رحمه الله) في رسالته إلى الشباب: «يخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية، وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين: إنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في أي شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر، حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا»[2].

(١) انظر: التربية السياسية عند الإمام حسن البَنّا- يوسف القرضاوي ص٥٢، ٥٧- ٥٨.

(٢) مجموعة الرسائل للإمام البنا ص١٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وانطلاقاً من ذلك الفهم المستنير والرؤية الواضحة نجد الإمام البَنّا (رحمه الله) يقرر مبدأً وهو (الوطنية الإسلامية)، ولعل هذا التعبير جديد على الأسماع، ولكنه التعبير الصحيح عن الوطنية كما يفهمها الإمام، حيث يربط كل أعماله ومبادئه ومعتقداته بالإسلام.

فالوطنية عنده ليست إلا جزءًا- من الدين، وأن الإخوان حينما يعملون للوطن، إنما يعتقدون أن عملهم هذا لون من العبادة، التي يتقربون بها إلى الله، وهذا يتفق مع ما سبق أن أوضحناه في فهم الإمام البَنّا (رحمه الله) الواسع للدين، وربطه الدين بالحياة(١).

لذا فإنَّ كل دوائر الانتماء هي درجات في سلم الانتماء الواحد يصعد عليها الإنسان المسلم عقيدة أو حضارة دونماً تناقضات وبعبارة الإمام البَنّا (رحمه الله) فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها دونما تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار(٢).

وعلى هذا فقد انعكست تلك المفاهيم البَنّاءة في ساحات العمل السياسي في كافة الميادين التي ينشط فيها الأخوان المسلمين، حتى أصبحت كل شُعب الإخوان المنتشرة في أغلب أرجاء العالم مدارس للوطنية والجهاد والكفاح، والمطالبة بالحقوق الوطنية المغصوبة، قاموا في الناحية الوطنية بمحو الأمية السياسية من الأوساط الشعبية من خلال ربط الأوساط الشعبية بالحياة الاجتماعية، وتربية جيل جديد يلتهب وطنية وحماسة وعلى أتم استعداد لبذل روحه وماله وكل ما يملك، في سبيل الدفاع عن الوطن وعزته وكرامته، كما هو حادث في البلاد الإسلامية التي تعرضت أو تتعرض للاحتلال، وما فلسطين عنا ببعيد!(٣).

وعليه فإنَّ أحدًا لا يستطيع أن ينكر بندًا واحدًا من تلك البنود الخمسة السابقة، فجهاد الإخوان في سبيل تنوير الأذهان واضح في الوعي القومي الحالي، وكفاحهم ضد الحكومات الفاسدة لا سبيل إلى إنكاره.

واليوم ما تشهده الأقطار العربية والإسلامية من طوفإنَّ الموجات الثورية إذ تميد بكل النظم الاستبدادية، وما للإخوان المسلمين من دور رائد ومتقدم في توجيه وإمداد ذلك الحراك الشبابي بكل عوامل الاستمرار والصمود، ما جعل بعض تلك الحكومات تتبرم بالإخوان وتشهر بهم فضلاً عن اتهامهم، مما لا عهد للناس به.

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص٦٦.

(٢) انظر: التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا- محمد عمارة ص٥٩.

(٣) انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري- محمد شوقي زكي ص١٥٦- ١٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخَاتِمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أحمده عودًا كما بدأتُ، فلله الحمد والشكر على ما ألهم بابتداءً هذا البحث وإنشائه، وأعان على انتهائه وإنجازه فهو صاحب الأفضال والمنن.

وأصلي وأسلم على الهادي البشير، والسراج المنير، نبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإنني ومن خلال معايشتي مواقف الإمام الشهيد حسن البَنّا (رحمه الله) من قضايا العقيدة والفكر والدعوة، في عصرٍ اشتد فيه تيار موجة التحلل باسم التحرر العقلي والحرية الشخصية، وكان الحديث عن الإسلام على أنه دين عبادي لاهوتي، بفهم مستمد من المفاهيم الغربية للدين، وبعيدًا عن حقيقة الإسلام من حيث إنه منهج حياة ونظام مجتمع!!

وما قدمه (رحمه الله) من تصورات كاملة في مختلف مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب والفن..إلخ، مستنداً على فهمه للإسلام في إطار الضوابط المعرفة المقررة.

وقد خرجت بنتائج ضمنتها بعض التوصيات أقدمها في خاتمة هذه الدراسة في عدة نقاط هي كالتالي:

١. كان نظر الإمام البَنّا (رحمه الله) كداعية ومصلح اجتماعي نظرة يجمع فيها شعث الأمة، لتعمل جميعاً في بوتقة الإسلام بتناغم وانسجام، فعمل جاهدًا من خلال المناهج التي طرحها، في إطار نظرته الكلية للإسلام، واحتياجات المسلمين ووحدتهم.

٢. وكان للتربية في منهجه الإصلاحي مكاناً بارزاً؛ وذلك تقديرًا منه لأهمية النفس وما لها من محورية في عملية الإصلاح المجتمعي، والتدرج في إحداث التغيير المنشود، حيث يتلخص منهجه في التغيير والبَنّاء على تكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم، ثم الحكومة المسلمة، فالدولة، فالخلافة الإسلامية، وأخيرًا يكون الوصول إلى أستاذية العالم وتكوين الجيل الواعي والقادر على حمل الرسالة الإصلاحية.

٣. انتهى الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى أن إعادة الخلافة والوَحْدة الإسلامية، وحكم الإسلام لا سبيل له إلا بالتعاون والوحدة وتأليف القلوب في إطارٍ جامع موجه وموحد، فأخذ البيعة كعقد ضمانة، وآلية لضبط الحقوق، والالتزام بما تؤمن به من مبادئ وأفكار، والإلزام لمن تعهدت أن تسلك معهم الطريق للوصول إلى الغاية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. من الثابت في منهجه تمتين أواصر المحبة للصالحين؛ لأن محبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى.

٥. لم يخض الإمام البَنّا (رحمه الله) في مسائل الاعتقاد خوضاً كلامياً فلسفياً، إنما عمل على تركيز العقيدة في النفوس لينعكس أثر هذا الإيمان في السلوك؛ لأن العقيدة لا بد أن يظهر أثرها في الأقوال والأعمال.

٦. ربط الإمام البَنّا (رحمه الله) بين الإسلام والعمل السياسي، فالسياسة بمفهومها العام عنده هي النظر في شئون الأمة الداخلية، والمحافظة على استقلال الأمة وحريتها.

٧. نظر الإمام البَنّا (رحمه الله) إلى الحكم الإسلامي على أنه فريضة شرعية، بل وضرورة قومية وإنسانية، بعدما جربت أمتنا خاصة والبشرية عامة الفلسفات البشرية والأنظمة الوضعية، فلم تجد من ورائها السعادة التي ترجوها، والحياة الطيبة التي تنشدها.

٨. أما موقفه من الدستور والحكم الدستوري وما يتضمنه من دلالات فوجد أن السياسة الإسلامية نفسها لا تنافي أبداً الحكم الدستوري الشورى، وهي واضعة أصله، ومرشدة الناس إليه، ورأى أن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الإسلام، وليست بعيدة من النظام الإسلامي ولا غريبة عنه.

٩. لم يجد الإمام البَنّا (رحمه الله) في النظام النيابي ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم، فهو ليس بعيداً عن النظام الإسلامي ولا غريباً عنه.

١٠. وجد الإمام البَنّا (رحمه الله) في الاحتكام للقانون الوضعي مسلكاً غير مبرر ولا معقول، ويؤدي إلى تعاسة الأمة وشقائها؛ لأن في القانون الوضعي ما يتناقض كلية مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها.

١١. أنكر الإمام البَنّا (رحمه الله) التعددية الحزبية التي نهجها الخلاف والانقسام، ولكنه في الوقت نفسه دعا إلى إصلاح نظام الأحزاب في مصر كمنهج سياسي ينسجم مع الحكم الدستوري النيابي.

١٢. يعتقد الإمام البَنّا (رحمه الله) بعقيدة السلف الصالح في الأسماء والصفات، فقال: «إن الخالق المتصرف – جل وعلا– تعرَّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله، يحسن بالمؤمن حفظها تبركاً، وتلذذاً بذكرها، وتعظيماً لقدرها»[1].

(١) سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث– جمعة عبد العزيز ص ٤٩– ٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣. رجح الإمام البَنّا (رحمه الله) مذهب السلف في موضوع الصفات، ولم يكن ترجيحه لمذهب السلف يستوجب الحكم على تأويلات الخلف وعلى المخالفين منهم بكفر ولا فسوق، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله.

١٤. وجد الإمام البَنّا (رحمه الله) في المبتدعين أسوأ الآثار في الإسلام بل وفي كل دين، ولكن بحث البدعة من أعضل البحوث في أحكام الإسلام لا يقطع فيه ببادئ الرأي، فهو مضلة الأقوام، ومزلة العقول والأفهام.

١٥. منهج الإمام البَنّا (رحمه الله) أن لا يكفر مسلماً أقرَّ بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض، برأي أو بمعصية، إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر.

١٦.مفهوم التصوف عند الإمام البَنّا (رحمه الله) هو الزهد في الدنيا، والالتفات إلى الآخرة، والاجتهاد في طاعة الله تعالى، وتطهير النفس من أدران البشرية حتى تصفو.

١٧.أجاز الإمام البَنّا (رحمه الله) الذكر الجماعي بشروط وضوابط حتى لا يكون بمستوى الحالة التي شاعت في عصره، بفعل بعض جهلة الصوفية، وما وصلوا به من الابتذال، والاسترزاق بالذكر.

١٨.التوسل عند الإمام البَنّا (رحمه الله) من بحوث علم الفقه لا من بحوث علم التوحيد، فهو خلاف في كيفية الدعاء، ما دام المدعو والمتوسل إليه هو الله تبارك وتعالى.

١٩.زيارة القبور عند الإمام البَنّا (رحمه الله) أيَّاً كانت فهي سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيَّاً كانوا ونداؤهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشيد القبور وسترها وأضاءتها والتمسح بها، وما يلحق ذلك من كبائر تجب محاربتها.

٢٠. ردَّ الإمام البَنّا (رحمه الله) كل ما يصطدم مع أحكام الدين ونصوصه: من الإلهام، والكشف، والرؤى، وما يمكن أن يقذفه الله في قلب المؤمن نتاج العبادة الصحيحة والمجاهدة الصادقة، دون التطرق إلى إنكارها أو التشكيك بوقوعها.

٢١.صنف الإمام البَنّا (رحمه الله) الناس وفق معيار الإيمان، ولكل حكمه في ميزان الإسلام، وفى حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات، ويكون الولاء أو البراء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٢.فرق الإمام البَنّا (رحمه الله) بشكل واضح بين معاداة أو محاربة اليهود لكونهم يهوداً وبين معاداة ومقاتلة اليهود الصهاينة المعتدين الذين تجب محاربتهم؛ لقيامهم باغتصاب أرض المسلمين وحقوقهم، وقدّم تصوراً واضحاً في ذلك.

٢٣.أكد الإمام البَنّا (رحمه الله) على المعاني والمبادئ في التعامل مع الأقليات الدينية الذين يعيشون بين ظهرانينا وفق منظور الإسلام، وبما يكفل لهم من الحقوق ما يوجبهم عليهم من الواجبات.

٢٤.واجه الإمام البَنّا (رحمه الله) حملات التنصير التي استهدفت الفقراء والمعوزين، فسلك أسلوب نزع الذرائع التي يستغلها المُنصِّرون، كذلك دعا إلى تحصين الأمة بالعقيدة الصحيحة.

٢٥.استعرض الإمام البَنّا (رحمه الله) الأوجه الطيبة والدلالات الحسنة التي يتضمنها مفهوم القومية، وبين ما يسكنها من أمراض قد تفسد ما بها من جمال. وقسم الوطنية إلى قسمين، قسم يتفق مع الإسلام وهي وطنية الحنين، ووطنية الحرية والعزة، ووطنية المجتمع، ووطنية الفتح، أما القسم الذي لا يتفق مع الإسلام وهي وطنية الحزبية التي تقسم الأمة إلى طوائف تتناحر، وتتراشق بالسباب، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس.

٢٦.وأخيرًا أوجه عنايتكم بأن كثيرًا من الرسائل العلمية في جميع التخصصات قد طرقت موضوعات مهمة وطرحت طرحاً متميزًا، وحظيت بمتابعة وتدقيق وتحر من باحثين ومرشدين ومشرفين وغيرهم، ثم يؤول هذا الجهد العلمي إلى رفوف مكتبات الجامعات فلا تكون الاستفادة منها كما لو طبعت ونشرت، ولذا فإنني أدعو جامعتنا العريقة إلى تبني مشروع خيري لطباعة الرسائل العلمية التي تنفع في تخصصها، ولا سيما وأن الإمام حسن البَنّا (رحمه الله) علم من أعلام الدعوة في القرن العشرين، ولازال فكره الدعوي الإصلاحي هو الذي يوجه أغلب التيارات الإسلامية.

وختاماً: فإني قد بذلت طاقتي وصرفت همتي، واستقصيت ما في وسعي، ولا أدعي الكمال فيما وصلت إليه، فإني على يقين أن غيري قد يطَّلِع على ما خفي عليَّ من معانى أدق أو وجه أحق، وتقرير أفصح، وأن غيري قد يقف على عثرات أو يعثر على زلات، فإنَّ التحرز عن الخطأ والخلل والنجاة من الهفوة والزلل يعجز عنه كافة البشر، والكمال لله وحده، والعصمة لمن عصمه الله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا ما يسعني أن أختم به، وحسبي أني توخيت الصواب ما استطعت، فإن أحسنت فمن الله وحده وله المنة والفضل، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس العامة

www.manaraa.com

المصادر والمراجع والأبحاث

١. القرآن الكريم.

٢. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (رضي الله عنهما)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان

٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، : مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م

٤. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٥. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٧٨م.

٦. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل مكان النشر بيروت، سنة النشر ١٤١١هـ.

٧. الأحزاب السياسية في الإسلام: صفي الرحمن المبارك فوري، الطبعة الأولى، الهند: رابطة الجماعات الإسلامية، ١٩٧٨م.

٨. إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر: دار االمعرفة – بيروت، د- ت.

٩. الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية شبهات وردود: توفيق الواعي، الطبعة الأولى، كويت: مكتبة المنار الإسلامية، ٢٠٠١.

١٠. الإخوان المسلمون والمجتمع المصري: محمد شوقي زكي، رسالة لنيل درجة الماجستير» ١٩٥٣م.

١١. الإخوان المسلمون، سبعون عاماً على استشهاد مؤسس الجماعة حسن البَنّا: يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.

١٢. الإخوان المسلمين في حرب فلسطين: كامل الشريف، الطبعة الثانية، م: مطبعة الاعتماد، ١٩٩٣م.

١٣. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: صالح الفوزان. ط دار العاصمة، الرياض، د- ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٤. الأسماء والصفات نقلا وعقلا: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة السنة الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣هـ، مايو ١٩٧٣م.

١٥. الأشباه والنظائر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، مكان النشر بيروت، سنة النشر ١٤٠٣هـ.

١٦. أعلام وأقزام في ميزان الإسلام: جمع وترتيب: سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، الناشر: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م

١٧. الأعلام: خير الدين الزركلي الدمشقي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

١٨. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي،تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ

١٩. الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام الغزالي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

٢٠. أمثلة من التربية الحضارية عند الإمام البَنّا: سيد دسوقي، الطبعة الأولى، الجيزة: مركز الإعلام العربي،٢٠٠٨م.

٢١. أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، ظروف النشأة وشخصية الإمام المؤسس: جمعة أمين عبد العزيز، الكتاب الأول، الطبعة الأولى، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٣.

٢٢. البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م

٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د– ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٤. تبسيط العقائد الإسلامية: حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٢٥. التبشير في منطقة الخليج العربي (دراسة في التاريخ الاجتماعي والسّياسي): عبد المالك خلف التّميمي، الناشران: دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع، نيقوسيا ــ قبرص، الطبعة الأولى: الكويت ١٩٨٢.
٢٦. التجديد في المشروع الحضاري للإمام حسن البَنّا: محمد عمارة، الطبعة الأولى، القاهرة: مركز الإعلام العربي،٢٠٠٨م.
٢٧. العقائد الإسلامية: سيد سابق، الطبعة الأولى: دار الكتاب العربي – بيروت، ت د.
٢٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، الطبعة الثالثة، عمان– الأردندار الفكر للدراسات والتوزيع، ١٩٧٩م
٢٩. التربية الإسلامية، ومدرسة حسن البَنّا: يوسف القرضاوي، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٢.
٣٠. التطرف العلماني في مواجهة الإسلام: يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، القاهرة: أندلسية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
٣١. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٥.
٣٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م
٣٣. تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م
٣٤. تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م
٣٥. التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته: علي النملة القاهرة: مصر دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،١٩٩٣م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٦. التوقف على مهمات التعريف: زين الدين محمد المناوي،عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٣٧. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ
٣٨. الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
٣٩. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض،١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.
٤٠. جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما: سعيد حوّى، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة وهبة،١٩٨١م.
٤١. حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري: العلامة الشيخ سليمان الجمل، دار النشر / دار الفكر - بيروت، د- ت.
٤٢. حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة: ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، مكان النشر بيروت، سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤٣. حديث الثلاثاء للإمام حسن البَنّا: إعداد أحمد عيسى عاشور، ط بدون القاهرة: مكتبة القرآن، د- ت.
٤٤. حسن البَنّا الحلقة المفقودة: عون معين القدومي الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبة،١٩٩٩م.
٤٥. حسن البَنّا الداعية الإمام والمجدد الشهيد: أنور الجندي، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم٢٠٠٠.
٤٦. حقيقة التوحيد: يوسف القرضاوي، الطبعة الثامنة، القاهرة: مكتبة وهبة،٢٠٠٦.
٤٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
٤٨. حوارات قصي صالح الدويش: راشد الغنوشي، ط بدون، د- ت.
٤٩. دراسة أثرية علمية منهجية في أصول وقواعد وضوابط وآداب الخلاف في الفقه الإسلامي: فوزي بن عبد الله بن محمد، الطبعة الثانية، د- ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٠. دراسة بحث منشور في كتاب: بحوث مؤتمر مئوية الإمام البَنّا- المشروع الإصلاحي للإمام حسن البَنّا، تساؤلات لقرن جديد، د- ت.
٥١. الذكر الجماعي بين الإتباع والابتداع: محمد بن عبد الرحمن الخميس،الأستاذ المشارك – قسم العقيدة. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، د- ت.
٥٢. السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف – الرياض، د- ت.
٥٣. السلسلة الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، د- ت.
٥٤. سلسلة من تراث الإمام البَنّا، العقيدة والحديث، التفسير، خواطر من وحي القرآن، الفقه والفتوى، عظات وأحاديث منبرية: إعداد جمعة أمين عبد العزيز، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الدعوة، ٢٠٠٥م.
٥٥. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر – بيروت، د- ت.
٥٦. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
٥٧. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د- ت.
٥٨. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: عبد الله محمد عبد الوهاب، ط١، مطبعة المنار، مصر ١٣٤٤هـ، ٣٦٧/٣.
٥٩. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى ـــ ١٣٤٤هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٠. سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.

٦١. السيرة النبوية لابن هشام: جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ابن هشام، تحقيق: طة عبد الرؤوف سعد، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٩م.

٦٢. شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي– بيروت،١٤١٤هـ.

٦٣. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية: محمد خليل هراس، الطبعة: الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، تاريخ النشر: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م

٦٤. شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http: //www.islamweb.net

٦٥. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: الشيخ عبدالعزيز الراجحي، موقع الشيخ على الشبكة [http: //www.sh-rajhi.com]

٦٦. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)– المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

٦٧. الصحاح في اللغة – الجوهري– موافق لصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

٦٨. الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي: يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

٦٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي – تحقيق: شعيب الأرنؤوط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٠. الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها: محمد بن خليفة بن علي التميمي الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

٧١. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤١٣هـ

٧٢. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد عمران،الطبعة الأولى، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٢م.

٧٣. ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة،١٩٩٣م.

٧٤. العدالة الاجتماعية في الإسلام: سيد قطب،الطبعة الخامسة، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م.

٧٥. عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة: محمد بن عبد الوهاب، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ.

٧٦. العقيدة في الله: عمر الأشقر، الطبعة الثانية، عمان: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٥.

٧٧. علاقة صفات الله تعالى بذاته: محمد راجح الكردي، الطبعة الأولى، عمان: دار العدوي للتوزيع والنشر، ١٩٨٠.

٧٨. علم أصول البدع، علي عبد الحميد. ط دار الراية، الرياض، د– ت.

٧٩. علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات: محمد سالم أبو عاصي، الناشر: دار البصائر – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٨٠. العمل الجماعي المؤسسي:عبد الوهاب الديلمي الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة، م١٩٩٩.

٨١. غريب الحديث: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي إبن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر، تحقيق: د.عبدالمعطي أمين قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥

٨٢. فتاوى الشبكة الإسلامية: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية– http: .//www.islamweb.net

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٣. الفتاوى الكبرى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

٨٤. فتاوى مهمة لعموم الأمة: عبد العزيز بن باز، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: إبراهيم الفارس، دار العاصمة، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٨٥. الفتاوى: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق صالح بن عبد الرحمن الأطرم ومحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر مطابع الرياض، مكان النشر الرياض، د– ت.

٨٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني. ط السلفية، و ط الريان.

٨٧. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، تاريخ النشر: ١٤٢١هـ

٨٨. فصول في العقيدة، بين السلف والخلف: يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٥.

٨٩. فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب: يوسف بن عبدالله الشبيلي، الأستاذ المساعد بقسم الفقه المقارن–بالمعهد العالي للقضاء– اللجنة العلمية، للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٩٠. الفكر التربوي والحضاري عند الإمام حسن البَنّا: عبد الرحمن النقيب، الطبعة الأولى، الجيزة: مركز الإعلام العربي،٢٠٠٨م.

٩١. فلسطين حتى لا تكون أندلساً أخرى: راغب السرجاني، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام تفريغها موقع الشبكة الإسلامية–ttp: //www.islamweb.net).

٩٢. قاعدة جليلة في الوسيلة والتوسل: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، الطبعة الأولى، بيروت: المكتبة العلمية، د– ت.

٩٣. القاموس المحيط، للفيروزآبادي. ط مؤسسة الرسالة، بيروت، د– ت.

٩٤. القانون الدستوري والأنظمة السياسية مع المقارنة بالمبادئ الدستورية في الشريعة الإسلامية: عبد الحميد متولي، ومصطفى أبو ذيد فهمي، الطبعة الأولى، القاهرو: دار المعارف، ١٩٦١م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٥. قواعد الفقه: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز، سنة النشر، مكان النشر كراتشي، ١٩٨٦م.
٩٦. القول المفيد على كتاب التوحيد – محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م.
٩٧. كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري: محمد السيد الوكيل، الطبعة الأولى، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٩٨٦.
٩٨. كتاب الإيمان: محمد نعيم ياسين، إعداد مركز البصائر للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٦م.
٩٩. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن على التهانوي، تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان– بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
١٠٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوني– تحقيق: د. علي دحروج– مكتبة لبنان– بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٦.
١٠١. كلمات مرتجلات في مئوية الإمام الشهيد حسن البَنّا: المستشار عبدالله العقيل، الطبعة الأولى، القاهرة: مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٨.
١٠٢. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر – بيروت.
١٠٣. المال والحكم في الإسلام– عبد القادر عودة، الطبعة الخامسة، القاهرة: دار المختار الإسلامي،١٩٧٧.
١٠٤. مبدأ الشورى في الشريعة الإسلامية: إسماعيل بدوي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨١.
١٠٥. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦
١٠٦. مجلة الإخوان المسلمين
١٠٧. مجلة البيان.
١٠٨. مجلة الفتح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٩. جريدة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية.
١١٠. مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس، المحقق: أنور الباز – عامر الجزار، الطبعة الثالثة، دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
١١١. مجموعة رسائل الإمام البَنّا: من تراث البَنّا، إعداد مركز البصائر للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦.
١١٢. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ط: جديدة، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت،١٤١٥ – ١٩٩٥.
١١٣. مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة– عبد العزيز بن عبدالله بن باز، رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة، د– ت.
١١٤. مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، الطبعة الأولى، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣م.
١١٥. مذكرات الدعوة والداعية: الإمام حسن البَنّا، ط بدون القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٠م.
١١٦. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
١١٧. مسك الختام في الذكر والدعاء بعد السلام، لأحمد بن سعيد الأنبالي، دار ابن حزم، بيروت، د– ت.
١١٨. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م
١١٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة،١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م
١٢٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٢١. مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٥ – ١٩٨٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، د– ت.
١٢٣. مُصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ ــ ٢٣٥ هـ) تحقيق: محمد عوامة– طبعة الدار السلفية الهندية القديمة.
١٢٤. المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين: أعضاء ملتقى أهل الحديث– ملتقى أهل الحديث.[عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة و لا يوجد مطبوع]
١٢٥. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م
١٢٦. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د– ت.
١٢٧. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٢٨. مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر / دار القلم ــ دمشق، د– ت.
١٢٩. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون، الطبعة الثالثة، القاهرة: مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م.
١٣٠. ملامح الفكر السياسي عند الإمام حسن البَنّا: عدنان أبو عامر، الطبعة الأولى، الجيزة: مركز الإعلام العربي،٢٠٠٨م.
١٣١. منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام بن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة لأولى، مؤسسة قرطبة، د– ت.
١٣٢. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق عطية سالم، الكويت: الدار السلفية الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.
١٣٣. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/٩٦ – ٩٧ م: أحمد معمور العسيري، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣٤. الموسوعة الحرة ويكيبيديا ttp: //ar.wikipedia.org.
١٣٥. الموسوعة الفقهية. ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت.
١٣٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية، الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
١٣٧. موقع إسلام أون لاين.http: //www.islamonline.net
١٣٨. موقع الإسلام– http: //www.al-islam.com.
١٣٩. موقع الإسلام http: //www.al-islam.com
١٤٠. موقع التفاسير http: //www.altafsir.com
١٤١. موقع الكاشف: www.alkashf.net.
١٤٢. موقع مكتبة المدينة الرقمية http: //www.raqamiya.org
١٤٣. موقع وزارة الأوقاف المصرية: http: //www.islamic-council.com
١٤٤. موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى: يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة وهبة،٢٠٠٤.
١٤٥. نظرات في رسالة التعاليم، محمد الخطيب، ومحمد عبد الحليم حامد القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط– ١٩٩٠.
١٤٦. نقد علمي لكتاب الإسلام ونظام الحكم: العلامة الطاهر بن عاشور، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ
١٤٧. النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي،الطبعة الأولى، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م
١٤٨. الوجه السلفي لجماعة الإخون المسلمين: شحاتة محمد صقر– دار الخلفاء الراشدين – دار الفتح الإسلامي– الإسكندرية، ط: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.
١٤٩. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة): عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة: الأولى، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرست الآيات

الآية الكريمة	الصفحة
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)	٢٣٣
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١)	١٧٣
﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠)	٢٦٥
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤)	٢٨٦
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١)	٢٦٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢)	٢٧٥
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ﴾ (البقرة: ١٣٦ – ١٣٧)	٢٧٢
﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨)	١٧٧
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)	١٣٣
(البقرة: ١٩٣) ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	٢٨٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)	١٠٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨)	٢٠٤
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩)	١٥٠
﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩)	٢٦
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)	٢٧٤،٢٥٦،٩٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ (البقرة: ٢٥٧)	٢٥٥
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٥)	٢٥٦، ٢٧٣
﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(آل عمران: ٧)	١٨٦
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ٢٦)	٢٤٢
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران: ١٠١)	٢٤٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٨)	٢٨٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ (آل عمران: ١١٨ – ١١٩)	٢٧٣
﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٨)	١٠١
﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥١)	٢٤٣
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١)	١٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)	٢٥٧، ٢٦٠
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (النساء: ٦٠)	١٢١
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥)	٨٣، ٨٥، ١٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء: ١٠٣)	٢٢٥، ٢٢٦
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٥)	١٢١
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء:١١٥)	١٩٨
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾(النساء: ١٣٩)	٢٥٨
﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٤١)	٢٨٣
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٤٢)	١٧٧
﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٦٠)	٢٦٤
﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ (النساء: ١٧١)	٨٤
﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢)	٢٣١
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة: ٦)	١١٣
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨)	٢٥٧، ٢٧٣
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤)	١٢١
﴿ لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (المائدة: ٤٥)	١٢١
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٧)	١٢١، ١٣٤
﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة: ٤٩)	١٢١، ١٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠)	١٢١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾(المائدة: ٥٤)	٢١٦
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥-٥٦)	١٥٢
﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٦)	١٠٢
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧)	٨٥
﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٩)	١٥٠
﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(الأنعام: ١٧)	٢٤٣،٢٥٣
﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (الأنعام: ٥٢)	١٨٩
﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ (الأنعام: ٥٧)	١٢٠
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (الأنعام: ١٢٢)	٩٧
﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (الأنعام: ١٢٥)	١٧٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: ١٥٩ – ١٦٣)	٢٧٦
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الأعراف: ١٨٠)	١٨٤، ٢٣٤
﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨)	٢٤٣،٢٤٨
﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ	٢٢٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)	
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال: ٩)	٢٣١
﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠)	١٧٨
﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٧٢)	٢٣٢
﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٧٣)	١٠٤
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢)	٢٢
﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (يونس: ٦١)	١٦٦
﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يونس: ٦٨)	٢٠٥
﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(يونس: ١٠١)	١٦٣
﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(يونس: ١٠٦)	٢٣١
﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يونس: ١٠٧)	٢٥١
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ١٨)	١٧٥
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٦)	٢٥٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(الرعد: ١١)	٦٣
﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: ١٧)	١٥٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد: ٤١)	١٢٠
﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (ابراهيم: ١٨)	١٧٥
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (الإسراء: ٥٧)	٢٣١
﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(الإسراء: ٨٥)	١٦٣
﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (الكهف: ٢٨)	١٩٩
﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾(الكهف: ٣٩)	٢٣٣
﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ (الكهف : ٦٨)	٨٣
﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (مريم: ٦٥)	١٨١
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (طه: ١١٠)	٢٠٥
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(طه: ١١٤)	٩٦
(طه: ٣٩) ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾	١٩٨
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(الأنبياء: ١٨)	ب
﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٩٢)	١٤٦
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠)	١٤٥
﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (المؤمنون: ٥٣)	١٤٩
﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٨)	١٨٨
﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩١)	١٨١
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور: ٣٩)	١٧٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(الفرقان: ٦٣) ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾	١٧٣
﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٢)	١٧٥
﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(الشعراء: ٩٧- ٩٨)	١٨٣
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (النمل:١٩)	ث
﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥)	٢٤٨
﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)	١٧٨
﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾(القصص:١٥)	٢٣١،٢٣٠
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)	٥٢،٦
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الروم: ٤-٥)	١٠٦
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٣٠)	١٨٢
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)	٢٨٣،٨٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)	٢٢٧
﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٢)	٢٢٦
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ (سبأ: ١٤)	٢٤٨
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ:٤٦)	٢٦٥
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠)	٢٥
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (فاطر: ٣٢)	٩١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾ (فاطر: ٤٣)	٣١
﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾ (ص: ٨٨)	٥٩
﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ (الزمر: ٣٨)	٢٥٣
﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣)	٢٣٦
﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (غافر: ٤٤)	١٨٦
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (فصلت: ١٨)	٨٦
﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۦۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾(الشورى:١١)	٢٠٦،١٩٧
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾(الشورى: ٣٨)	١٣٩
﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾ (الشورى: ٥١)	٢٤٥
﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف: ٥٨)	٩٩
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ (محمد: ١٧)	١٦٣
﴿ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ (محمد: ٢٠-٢١)	٨٦
﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ (محمد: ٣٨)	٢٨٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (الفتح: ١٠)	٧٩
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ (الحجرات: ١٠)	٢٧٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: ١٣)	٢٧٣،٢٨٧،١٥٨
﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (الطور: ٤٨)	١٨٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧)	١٩٩
﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾(المجادلة: ١٩)	١٤٩
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾(المجادلة: ٢٢)	١٤٩
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩)	١٠٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (الممتحنة: ١)	٢٥٩
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨)	٢٥٨، ٢٧٣، ٢٧٤
﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٩)	٢٧٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ (الصف: ١٤)	٨١
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(المنافقون: ٨)	٢٥٨، ٢٧٥
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(الملك: ١٤)	١٢٣
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٩)	١٧٨
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾(الشمس: ٧-٨)	٦٣
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ (الإخلاص ١-٣)	١٩٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرست الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ إِنَّكَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ	١٥٠
إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا	٢٢٧
أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ	٢١٢
اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ	٢٥٤
إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،	١٦٥
إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا	٢٠٩
إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	٧٥
إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوَا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْ قَالَ: الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِه	١٥١
إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً	٢١٣
إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ المَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا..	٢٠٢
إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ	١٨٩
إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ	٢٢٩
الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً..	٨٤
أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي	٨٧
أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ.. إِلَّا بِالتَّقْوَى	٢٨٠،٢٨١
بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نَفِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ	٧٩
بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا..	٧٩
تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ	٢٧٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يُزَكِّيهِمْ..	٨٢
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ	٢٤١
عَلَامَ تُبَايِعُنَا؟ قَالَ: «عَلَى الإِسْلَامِ وَالجِهَادِ	٧٨
فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ	٢١١
قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ	٢١٠
كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِه	٢٦٨
لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا	٢٨٥
لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا	٢٤١
لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ	ث
لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ	٢٢٧
لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ	٢٤١
لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ	٢٤١
للهِ تَعالى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مائة إِلاَّ وَاحداً، لا يحفظها أحد إلا دَخَلَ الجَنَّةَ، وهو وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرِ	١٧٩
اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ	٢٣٣
اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا	٢٣٤
لَيْسَ مِنِّي مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ	٤٢٧
مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلاَ حُزْنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ	٢٣٣
مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ	٩٩
مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ	٢٢٧
مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً	٢٤٧
مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ	٢٠٨
مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ	٢١٦
مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً	٢٥٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ	٢٤١
نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً	٢٤٠
والَّذِي نفسي بيدهِ لقَدْ سألَ اللهَ باسمهِ الأعظمِ الَّذِي إذا دُعيَ بهِ أجابَ	١٨١
وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ	٢٢٩
وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ قَالَ مِنْ الْوَاهِنَةِ قَالَ أَمَا إِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْنًا	٢٥٢
وَيْهَا يا أصيل دع القلوب تقر	٢٨٤
يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ	١٨٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
البسملة والآية	ب
الإهداء	ت
الشكر والعرفان	ث
مقدمة	٥
أهمـية الموضـوع	٧
مبررات المـوضوع	٧
الدراسات السـابـقة	٨
منهج البحث	٩
خطة البـحـث	٩
الفصل الأول: الإمام حسن البَنّا عصره وحياته واستشهاده	١١
المبحث الأول: عصر الإمام حسن البَنّا	١٢
المطلب الأول: الحياة السياسية	١٥
المطلب الثاني: الـحـيـاة الـعـلـمـيـة	٢١
المطلب الثالث: الحيـاة الاجتماعيـة والدينيـة	٢٧
المبحث الثاني: حياة الإمام حسن البَنّا واستشهاده	٣٤
المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته	٣٥
المطلب الثاني: شيوخه وطلبـه للعـلم	٣٩
المطلب الثالث: مكانتـه السياسيـة	٤٣
المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه	٤٧
المطلب الخامس: اسـتـشـهـاده	٥٢
الفصل الثاني: دعاوى حول منهج الإمام حسن البَنّا في الدعوة والقضايا السياسية	٥٥
المبحث الأول: دعاوى حول منهج الدعوة عند الإمام البَنّا	٥٦
المطلب الأول: دعوى الجمع بين المتناقضات	٥٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: التربية في دعوته	٦٢
المطلب الثالث: العمل الجماعي المؤسسي	٧١
المطلب الرابع: البيعة وما أثير حولها من شبهات وردود	٧٧
المطلب الخامس: دعوى غلو الإخوان في شخص البَنّا	٨٤
المبحث الثاني: منهج الإمام البَنّا في الاختلاف	٨٨
المطلب الأول: حقيقة الاختلاف وأنواعه وأسبابه	٨٩
المطلب الثاني: موقف البَنّا من الخلاف	٩٤
المطلب الثالث: موقفه من الهيئات ومؤسسات العمل الإسلامي	١٠٠
المطلب الرابع: موقفه من المسائل التي لا ينبني عليها عمل	١٠٥
المبحث الثالث:منهج الإمام البَنّا في القضايا السياسية	١٠٩
المطلب الأول: موقفه من العمل السياسي	١١٠
المطلب الثاني: موقفه من الحكم (الحاكمية)	١١٨
المطلب الثالث: موقفه من الدستور المصري	١٢٦
المطلب الرابع: موقفه من القانون الوضعي	١٣٠
المطلب الخامس: موقفه من الديمقراطية والمجالس النيابية	١٣٥
المطلب السادس: موقفه من الأحزاب السياسية.	١٤٧
الفصل الثالث: منهج الإمام حسن البَنّا في قضايا العقيدة	١٥٨
المبحث الأول: مكانة العقيدة في دعوة الإمام البَنّا	١٥٩
المطلب الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية	١٦٠
المطلب الثاني: منهجه في عرض قضايا العقيدة	١٦٤
المطلب الثالث: دعوى إهمال الإخوان الجانب العقدي	١٧٠
المبحث الثاني: عقيدة الإمام حسن البَنّا في توحيد الأسماء والصفات	١٧٦
المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات عند الإمام البَنّا	١٧٧
المطلب الثاني: المشابهة بين صفات الله تعالى وصفات الخلق	١٨٣
المطلب الثالث: التفويض في الصفات	١٨٥
المطلب الرابع: شبهة التفويض التي أثيرت حول عقيدة البَنّا	١٨٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس: موقفه من الخلاف في آيات الصفات وأحاديثها	١٩٦
المبحث الثالث:دعاوى المناوئين لموقف الإمام البَنّا من البدعة الابتداع	٢٠٦
المطلب الأول: حقيقة البدعة	٢٠٧
المطلب الثاني: بدعة التكفير	٢١١
المطلب الثالث: بدعة التصوف	٢١٧
المطلب الرابع: دعوى في مسائل اتهم البَنّا بابتداعها	٢٢٥
الفرع الأول: الذكر الجماعي	٢٢٥
الفرع الثاني: التوسل بالمخلوقين	٢٢٩
الفرع الثالث: القبورية	٢٣٨
المطلب الخامس: موقفه من ادعاء معرفة الغيب(الكهانة، المعرفة، الرمل).	٢٤٣
المطلب السادس: موقفه من التمائم والودع والرقى.	٢٤٩
المبحث الرابع: دعاوى المناوئين لعقيدة الإمام البَنّا في الولاء والبراء	٢٥٤
المطلب الأول: عقيدة الولاء والبراء عند البَنّا	٢٥٥
المطلب الثاني: دعاوى حول مسائل عقيدة الولاء والبراء عند البَنّا	٢٦١
الفرع الأول: موقفه من حقيقة الصراع مع اليهود	٢٦١
الفرع الثاني: موقفه من التنصير	٢٦٦
الفرع الثالث: موقف البَنّا من الأقليات الدينية	٢٧١
الفرع الرابع: موقفه من القومية	٢٧٨
الفرع الخامس: موقفه من الوطنية	٢٨٣
الخاتمة	٢٩٠
المصادر والمراجع	٢٩٦
فهرست الآيات القرآنية	٣٠٨
فهرست الأحاديث	٣١٧
فهرس المحتويات	٣٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com